جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ميسان / كلية التربية
قسم اللغة العربية

ملحمة الغدير لبولس سلامة
دراسة تداولية

رِسَالةٌ تَقَدّمت بِهَا الطَالِبةُ

مروة رشك جاسم

إلى مَجْلِسِ كُلّيَة التَربِيَة / جَامِعَة مَيسَان وهي جزء من

مُتَطَلَبَات نَيل شَهَادَة المَاجسْتِير في اللُغةِ العَرَبِيَة وآدابها / اللغة

بإشراف

أ. م. د.

موفق مجيد ليلو

شوال/١٤٤٤هـ

آيار/٢٠٢٣

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

(سبأ : ٦)

الإهـــــــداء

إلى مصلح الامة والمؤمل الغائب . . .

الإمام صاحب العصر والزمان المهدي (عجل الله فرجه الشريف).

الشكر والعرفان

أحمدُ الله رب العالمين على جليل نعمه وجليل عطائه حمداً كثيراً طيباً مباركاً وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء وخير الخلق علماً وتعليماً وعلى آله واصحابه أجمعين ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين .

وبعد ...

أتوجه بعد شكر الله سبحانه وتعالى بخالص الشكر والتقدير إلى كل من أنار لي الدرب بفكره وعلمه وتوجيهه وإرشاده وكان له الفضل في اختيار الموضوع وأخص بالذكر الاستاذ المشرف الدكتور موفق مجيد ليلو، فجزاه الله خيراً والشكر موصول إلى كل من رئيس قسم اللغة العربية جامعة ميسان / كلية التربية أ.م.د محمد مهدي حسين، والأستاذ الدكتور علي موسى الكعبي والأستاذ الدكتور عبد الزهرة عودة لما قدموه من معلومات قيمة وآراء سديدة، كما أقدم شكري وامتناني لعائلتي: والدي(رحمه الله) وولدتي وإخواني وأخواتي وبنات أختي فكانوا لي نعم العون والسند .

الباحثـــــــــة

فهرست المحتويـــــات

المحتويـــــــات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ – ج
التمهيد : الأصول والمفاهيم (الملحمة، الغدير، التداولية)	١ – ١١
❖ مفهوم الملحمة	٢
❖ حديث الغدير	٣ – ٤
• بولس سلامة – شاعريته وآثاره ومكانته الشعرية	٤ –٦
• ملحمة عيد الغدير	٦–٧
• علاقة التداولية بالخطاب الشعري	٧– ١١
الفصل الأول : الأفعال الكلامية في ملحمة عيد الغدير	١٢ ـ٦٢
المبحث الأول : مفهوم الفعل الكلامي	١٣ – ٢٢
ماهية الفعل الكلامي speech Act Theory عند أوستن وأقسامه	١٣– ١٩
أفعال الكلام عند جون روجرز سيرل (John Searle) وإسهامه في نظرية الأفعال الكلامية	١٩–٢٢
المبحث الثاني : الأفعال الكلامية في ملحمة عيد الغدير	٢٣– ٦٢
أولاً : الإخبارية أو التصورية Reperesntatives	٢٣– ٣٠
ثانياً : التوجيهيات أو الطلبيات Directives	٣٠– ٥٢
أ– البعد التداولي للاستفهام	٣٠– ٣٦
ب– البعد التداولي للأمر	٣٦– ٤١
ج– البعد التداولي للنداء	٤٢– ٤٧
د– البعد التداولي للتمني	٤٧– ٤٩
هـ– البعد التداولي للنهي	٤٩– ٥٢
ثالثاً : الوعديات Commissives	٥٣ـ ٥٦
رابعاً : التعبيرية Expressives	٥٦–٦٠
خامساً : الاعلانية Deslarations	٦٠– ٦٢
الفصل الثاني : الاستلزام الحواري في ملحمة (عيد الغدير)	٦٣– ٩٩

المبحث الأول : مفهوم الاستلزام الحواري	٦٤– ٦٨
• أنواع الاستلزام الحواري	٦٨
• خصائص الاستلزام الحواري	٦٨– ٦٩
المبحث الثاني :قواعد الاستلزام الحواري في ملحمة (عيد الغدير)	٧٠– ٩٩
أ– قاعدة الكم	٧٠– ٧٧
ب– قاعدة الكيف	٧٨– ٨٣
ج– قاعدة الملائمة	٨٣ – ٩٠
د– قاعدة الجهة	٩٠– ٩٩
الفصل الثالث : الحجاج في ملحمة (عيد الغدير)	١٠٠– ١٦١
مفهوم الحجاج وتاريخه	١٠١– ١٠٦
المبحث الأول : الروابط الحجاجية في ملحمة (عيد الغدير)	١٠٧– ١٣١
١– الرابط الحجاجي (حتى)	١٠٩– ١١١
٢– الرابط الحجاجي (لكن)	١١١– ١١٥
٣– الرابط الحجاجي (الواو)	١١٥– ١١٧
٤– الرابط الحجاجي (بل)	١١٧– ١٢١
٥– الرابط الحجاجي (إذن)	١٢١– ١٢٢
٦– الرابط الحجاجي (ثُمَّ)	١٢٢– ١٢٥
٧– الرابط الحجاجي (ولام التعليل)	١٢٥– ١٢٦
٨– الرابط الحجاجي (الفاء)	١٢٦– ١٢٩
٩– ادوات الشرط (لو، لولا، إذا، إن الشرطية)	١٢٩– ١٣١
المبحث الثاني : العوامل الحجاجية في ملحمة (عيد الغدير)	١٣٢– ١٤٣
العوامل الحجاجية، مفهومها، ووظيفتها	١٣٢– ١٣٥
عاملية الحجاج بأدوات القصر	١٣٥– ١٤٣
المبحث الثالث : السلم الحجاجي في ملحمة (عيد الغدير)	١٤٤– ١٦١
• مفهوم السلم الحجاجي	١٤٤– ١٤٥
• قوانين السلم الحجاجي	١٤٥– ١٤٧
• السلالم الحجاجية في ملحمة (عيد الغدير)	١٤٧– ١٦١
الخاتمة	١٦٢– ١٦٤

المصادر	١٦٥–١٨١
ملخص الرسالة باللغة الانكليزية	i–ii

المُقَدِّمَـــــــة

المُقَـــــــدَّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الّذي لا مُنتهى لحمدهِ، وصلَّى الله على مُحمَّدِ البشيرِ النذيرِ، وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين ومن تبع هُدَاهُم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين وبعد:

و تُعدُّ التَداوليَّة إحدى الحقول المعرفية وحقول اللسانيات الّتي تدرسُ اللُّغة حال الاستعمال، وقد وقع اختيارنا على مدونة (عيد الغدير) لبولس سلامة، لنضع لها عنوانا (ملحمة الغدير لبولس سلامة دراسة تداولية)؛ لأهمية هذه الملحمة بوصفها وثيقة تاريخية ومدونة إبداعية قل نظيرها في التراث العربي وثق لأهم المنعطفات السياسية في التاريخ الاسلامي فضلاً عن عدم تناولها بمنظور الدراسة الحديثة ومناهجها ولأنها محايدة ، والتي اقتصرت الدراسة عليها وهي: (أفعال الكلام) عند سيرل و(الاستلزام الحواري) لدى غرايس، وما يقابل ذلك (الحجاج) الذي له أثر فاعل في تغيير وجهة نظر المتلقي وإقناعه، وقد اخترنا هذه الملحمة للدراسة لاستخراج المعاني المضمرة الّتي تَتدرجُ تَحت ظاهرة الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري؛ لما تحمله من مقاصد يستطيع المتلقي فهمها والوصول إليها بوساطة السياق الذي ترد فيه النصوص، فقد يكون السياق اجتماعياً مُتَمثلاً بما وظفه بولس سلامة من حوادث فعلية تمت في المجتمع الإسلامي مُمَثلاً لها بولادةِ الإمام علي (عليه السلام)، وزواجه من فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وعيد الولاية، ووفاة النبي(صلى الله عليه وآله) ...الخ، وقد يكونُ السياق سياسياً وهذا ما يجسده الشاعر في مدونته من الحروب التي قادها الإمام علي (عليه السلام) وهي موقعة أحُد وخيبر والخندق، وكذلك موقعة كربلاء... ووصف المواقف البطولية للشجعانِ والأبطال فيها ودورهم المُهم في المجتمع الإسلامي، والسياق النفسي مُمثلاً له بولس سلامة بقصيدته الّتي بعنوان (الخاتمة)، حيثُ تعبر عن آلامه، وأحاسيسه، وما مرَّ به من مُعاناة حملته على نظم هذه الفرائد الثمينة واخراجها أو النماذج المُختارة إلى غيرها من السياقات التي تتضمنها الملحمة، والتي

تحمل أرق الدروس والعِبر تجعلُ القارئ يَفهمُ ما يريدُ المتكلَّم وما يقصدهُ، وهذا أن دلّ دل على وعي الشاعر وثقافته وقدرته على إخراج تلك الكلمات بحق أهل البيت (عليهم السلام).

أما أهمية الدراسة فإنها تقوم على تحليل الخطاب الشعري المُعاصِر ودراسته دراسة تداولية، وهذا نابع من اعتماد الشاعر على السيرة النبوية ومؤرخي الإسلام . وإنَّ الوقوفَ على ظواهرِ التداولية- مُتمثلة بـ (أفعال الكلام) عند سيرل، و(الاستلزام الحواري) عند غرايس في قبال ذلك (الحِجاج) عند ديكرو وأنسكومبر- ورصدها في مدونة ملحمة (عيد الغدير)؛ للوقوف على دلالات الخطاب الشعري حيث تكشف هذه الدراسة كما ذكرنا سابقاً عن أهم مظاهر التداولية، ومقاصد النَّصّ الشعري، وما يعنيه المتكلّم ويَفهمه السامع؛ لأجل دراسة اللُّغة لحظة الاستعمال ووفق سياقات تحكم النَّصّ الشعري.

أما بالنسبة إلى منهج الدراسة المُعتمد، فأنّه يقوم على اختيار بعض النماذج الشعرية من المدونة، والذي يتضمنُ تحليل هذه النماذج تحليلاً تداولياً، تحلل المختارات من النّصِّ بالاعتماد على بعض مصادر التراث؛ لأنّها تضمُ تلك الحوادث المُهمَّة في الملحمة بوصفها دليلاً على ما أتى به الشاعر.

واقتضتْ الدراسة أن تقومَ خطتها على ثلاثة فصول تبدأ بتمهيد وتنتهي بخاتمة تَظهرُ فيها أبرز النتائج الّتي توصلنا إليها، وقائمة للمصادر والمراجع وفهرس للموضوعات، فاشتملت المقدمة على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهداف الدراسة ومنهجها، كما تضمنت ذكر أهم الدراسات السابقة مُتمثلة بـ (أهل البيت عليهم السلام في شعر بولس سلامة دراسة موضوعية) للباحثة نيران رحمن عبد الله، و(ملحمة الغدير لبولس سلامة دراسة بلاغية) رسالة تقدمت بها الباحثة دعاء عدنان، و (ملحمة عيد الغدير لبولس سلامة دراسة نحوية) رسالة تقدم بها الباحث عقيل عباس لعيبي ، فضلاً عن ذلك هناك بحث نُشر في الأمانة العامة للعتبة

الحسينية المقدسة تقدم به الباحث راسم أحمد الجرياوي بعنوان (نظرية أفعال الكلام في ملحمة عيد الغدير للشاعر بولس سلامة دراسة تداولية)، أما التمهيد فقد حددت الباحثة فيه الحديث عن مفهوم الملحمة في اللُّغة والاصطلاح، وذِكر حادثة الغدير، ثم التعريف بالشاعر وآثاره ومكانته الشعرية والأدبية، ثم وصف ملحمة الغدير، ثم ختمت الباحثة التمهيد بالحديث عن علاقة الشعر بالتداولية. أما الفصل الأول فيشتملُ على مبحثينِ، المبحث الأول يتضمنُ الحديث عن الأفعال الكلامية عند أوستين وسيرل وهذا يمثله الجانب النظري، وأما المبحث الثاني فقد عرضت له الباحثة بعض النماذج الشعرية المنتقاة ليحمل عنوان (الأفعال الكلامية في ملحمة عيد الغدير)، وأما الفصل الثاني فيشتمل على مبحثينِ، المبحث الأول ضمن الحديث عن مفهوم الاستلزام الحواري، ومبدأ التعاون، وخرق المبادئ الغرايسية للحصول على موضوع الاستلزام الحواري، وأما المبحث الثاني، فقد جاء تحت عنوان: (قواعد الاستلزام الحواري في ملحمة عيد الغدير)، وأما الفصل الثالث يحملُ عنوان: (الحجاج في ملحمة عيد الغدير)، فقد جاء على ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول: (الروابط الحجاجية في ملحمة عيد الغدير) والمبحث الثاني (العوامل الحجاجية في ملحمة عيد الغدير) يسبقها مدخل نظري لكلٍّ منهما، والمبحث الثالث: (السلم الحجاجي في ملحمة عيد الغدير)، ضمن مدخل نظري التعريف بمفهوم السلّم وجانب تطبيقي يسلط الضوء على النماذج الشعرية التي تتضمن السلّم الحجاجي. وختمت الدراسة بخاتمة ضمنت النتائج التي توصلت إليها الباحثة، أما بالنسبة للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود أحمد نحلة، واللسان والميزان أو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمن، واستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية): عبد الهادي بن ظافر الشهري، ونظرية الفعل الكلامي: هشام عبد الله الخليفة، اللُّغة والحجاج: أبو بكر العزاوي، والسلميات الحجاجية أزفالد ديكرو، والعوامل الحجاجية في اللُّغة العربية عز الدين الناجح. أما سبب اختيار الباحثة لهذه المظاهر الثلاثة في دراسة اللُّغة تداولية؛

لأهميتها وجلائها للباحثة رغم الصعوباتِ التي واجهتها في التطبيق على جوانب هذه النظريات، ومن هذه الصعوبات: تعدد التسميات للمصطلح الواحد أي أن المصلح الواحد يحمل أكثر من تسمية هذا من جانب، ومن جانب آخر ما يتعلق بالديوان حيث إنّ النصوص الشَّعريَّة غير مُحركَة فضلاً عن ذلك الديوان غير محلل وهذا يستغرق وقتا طويلا وعناء كبيراً لدى الباحثة محاولة منها عدم استعمال النصوص المدروسة من الناحية البلاغية والنحوية لغرض الدراسة إلّا ما ندر. واعتمدت في دراستي هذه على الطبعة الثانية ـ في لبنان ـ من الديوان (عيد الغدير) لبولس سلامة لوضوح هذه النسخة .

وأود أن أتقدم بخالص الشكر إلى أُستاذي ومشرفي الأستاذ المساعد الدكتور موفق مجيد ليلو على ما بذله من جهدٍ طيلة إشرافه على ما أبداه من اهتمام بالموضوع، وما قدمه من نصائح وتوجيهات قيِّمَة دفعاً لمواصلة البحث، ولم يبخل بملاحظاته واقتراحاته عليَّ، كما أقدم الشكر والتقدير إلى رئاسة قسم اللُّغة العربية متمثلة برئيسها الأستاذ المساعد الدكتور محمد مهدي حسين، وإلى أساتذة قسم اللُّغة العربية بجامعةِ ميسان/ كلية التربية .

وفي الختام لا يسعنا إلّا أن نسأل الله أن يتقبلَ منا هذا الجهد المتواضع خدمة لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

التَّمْهيـــــد

الأصول والمفاهيم

(الملحمة ، الغدير ، التداولية)

التَّمْهيـــــد : الاصول والمفاهيم (الملحمة ، الغدير ، التداولية)

❖ مفهوم الملحمة

في اللُّغة "(لحم) اللام والحاء والميم أصلٌ صحيح يدلُّ على تداخلُ كاللِّحم الذي هو متداخلٌ بعضهُ في بعض من ذلك اللَّحم وسمِّيت الحربُ مَلْحَمةَ لمعنيين أحدهما تَلَاحُمُ الناس تداخُلُهم بعضهم في بعض والآخر أَنَّ القتلى كاللَّحمِ الملْقى"[١].

أما في الاصطلاح: فهي قصيدة طويلة مليئة بالشخصيات البطولية والأحداث الهائلة والأعمال الخارقة التي يَستَمتع بها الناس؛ لأنهم يجدون فيها تعويضاً خيالياً عن عجزهم البشريِّ، فإنّ أول تأثير سَيكولوجي للملحمة هو الانتقال بالقارئ من تفاهات الحياة اليومية إلى مستويات الأبطال الصَّناديد[٢]. وقد عرّفها بعض الباحثين بأنها قصيدة سردية خارقة للمألوف، وتستندُ إلى سرد أحداث تَمتزجُ فيها الأوصاف، والشخصيات والحوارات والخطب والنصائح، وهي متطورة ومتسلسلة حسب أساليب الرّوُاة الأَولين بإغراقها في تشابيه واستعارات[٣].

وأما موضوع الملحمة: فيرتكزُ على نوع من الشِّعر البَدائِيّ الَمعنيّ بالمآثر البطوليّة، فترضي الشّعوب الناشئة بحكايات جميلة تَسْتَثِيرُ مختلف العواطف من حُبّ، وحقد، ورهبة، واعتزاز. وممّا لا شكّ فيه أن كلّ أُسطورة ملحميّة تَتَضمّنُ في تاريخها بَذرة تاريخيّة حقيقيّة يضيف إليها الشُّعراء ما يحلو لهم من فصول ومشاهد لتمجيد جذورها وأبطالها، من ذلك نجد أن الملحمة تتملّق طموح الشُّعوب الشّابة بتثبيت تخيلاها وأوهامها وترسيخ الأحداث الفاصلة في تاريخها وتخليد ذِكرى الرّجال الذين كان لهم فضل في منطلقاتها، وبهذا تَنْسجُ اللُّحمة التي تربط الماضي بالحاضر وتساعد على يقظة الوعي على أن يفرض فيها تقادم الزمن على مضمون الحكاية ليتيسر تحليلها بالإعجاز والإغراب[٤].

---

[١] مقاييس اللغة: ابن فارس مادة (لحم) :٥ /٢٣٨.

[٢] يُنظر: فنون الأدب العالمية : نبيل راغب، الشركة العالمية للنشر. لونجمان، ط١، ١٩٩٦: ٣٧.

[٣] يُنظر: المعجم الأدبي: جبور عبد النور، دار العلم للملايين . بيروت، ط١، ١٩٧٩: ٢٦٤.

[٤] يُنظر : المصدر نفسه : ٢٦٤.

❖ حديث الغدير

تَشيرُ هذه الكلمة إلى حادثةٍ تاريخيةٍ وقعت في السنةِ الأخيرةِ من حياة الرسول بعد أن حجَّ حُجته المعروفة بحجة الوداع ، رَاجِعاً إلى المدينة ومعه جموع غفيرة من المسلمينَ، فلما وصل (غدير خم)[١] نزل جبرائيل عليه في ذلك الموضع بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[٢] حيث أمره الله سبحانه وتعالى أن يقيم علياً إماما للأمة[٣]، ذكر ابن عساكر(ت ٥٧١هـ): " عن جرير بن عبد الله البجلي قال: شهدنا الموسم في حُجّة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وهي حجّة الوداع، فبلغنا مكاناً يقال (غدير خم)، فنادى : (الصلاة جامعة) فاجتمعنا المهاجرون والأنصار، فقام رسول الله صلّى الله عليه [واله] وسلّم وسطنا فقال: ثمّ مه؟ قالوا: وأن محمّداً عبده. قال :(فمن وليّكم؟)، قالوا: الله ورسوله مولانا. قال: (فمن وليّكم؟) ثمّ ضرب بيده إلى عضد عليّ فأقامه فنزع عضده فأخذ بذراعيه فقال: (من يكن الله ورسوله مولاه فإنّ هذا مولاه، اللّهم وال من ولاه وعاد من عاداه، اللّهمّ من أحبّه من الناس فكن له حبيباً ومن أبغضه فكن له مبغضاً؛ اللّهمّ إنّي لا أجد أحداً أستودعه في الأرض بعد العبدين الصالحين غيرك فاقض فيه بالحسنى)"[٤]. والذي لاشك فيه أن هذا الحديث صادر عن النبي، وأما دلالة هذا الحديث على إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، فلا شك أن لفظة (المولى) سواء أكانت نصاً في المعنى أم

---

[١] خُمٌّ اسم رجل صباغ أُضيف إليه الغدير الذي بين مكة والمدينة بالجحفة : يُنظر : معجم البلدان : للشيخ الإمام شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، حرف الخاء ٤٤٥/٢، ويقع في منطقة الجحفة وهي بمثابة مفترق طرق تتشعب منها طرق المصريين والمدنيين والعراقيين . يُنظر: الغدير والمعارضون: جعفر مرتضى العاملي، دار السيرة بيروت . لبنان، ط٣ ،١٩٩٠: ١٤.

[٢] المائدة :٦٧.

[٣] يُنظر: الغدير والمعارضون: جعفر مرتضى العاملي :١٣، ١٤، و: في ظلال الغدير : جمال محمد صالح ، مركز الأبحاث العقائدية، ط١، ٢٠٠٠: ١٣.

[٤] طرق حديث الغدير برواية بن عساكر : الحافظ أبي القاسم بن علي بن الحسن الدمشقي الشافعي (ابن عساكر) ، تحقيق: أمير التقدمي المعصومي ، منشورات الدليل ، ط١، ٢٠٠٠: ٥٨.

بالوضع اللُّغوي أم مُجملة في مفادها لاشتراكها بين معان جمَّة، أم أكانت عريّة عن القرائن لإثبات ما يُدعى عن معنى الإمامة، فإنَّها في المقام لا تدلُّ إلا على ذلك لفهم من وعاه من الحضور في ذلك المحتشد العظيم[١].

- **بولس سلامة[٢]– شاعريته وآثاره ومكانته الشعرية :**

شاعريته:

إنّ الشاعر وهو على فراش المرض كابدته الآلام فخرجت منه الفرائد التي تنيرُ الافق المحدق به[٣]، فالشاعر يرى أن سبب شاعريته وفصاحته أتت من القرآن الكريم، وكلام النبي البليغ، وتاريخ الإمام علي (عليه السلام) البطولي والمشرف، كلّ ذلك فجّر شاعريته ووسع خياله الشعري، ويرى أنه لا فرق أن من يكتب بحق أهل البيت (عليهم السلام) مسلم أو مسيحي أو من أي ديانة أخرى. وظهرت له مطولات شعرية وملاحم خلال مدة من الزمن[٤]. فنراه يقول في هذا الإطار: " في عنق الشاعر العربي دين للإسلام، سواء أكان الأديب مسلماً أم مسيحياً، اذ انه لم يجرِ قلم

---

[١] يُنظر: نظرة إلى الغدير :علي أصغر المروجي الخرساني، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ط١، ١٤١٦: ٦٥.

[٢] هو شاعر وكاتب لبناني من المكون المسيحي يطلق عليه بالشاعر الملحمي؛ لأنه غلب على شعره النفس الملحمي وخاصة في مطولاته (عيد الرياض وعيد الغدير وعيد الستين)، ومطولة أخرى (فلسطين وأخواتها) ومطولة (الأمير البشير)، ولد بقرية بتدين اللقش في لبنان (١٣٢٠. ١٤٠٠هـ) (١٩٠٢. ١٩٩٧م)، وتلقى دراسته في مدرستي الفرير والحكمة، ثم التحق بالجامعة اليسوعية ونال شهادة الحقوق منها عام (١٩٢٦م)، وتوفي في لبنان(١٩٧٩م) بعد صراعه مع المرض حتى لقب بأيوب القرن العشرين يُنظر: معجم أعلام المورد (موسوعة تراجم لأشهر أعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مُستقلة من موسوعة المورد: منير البعلبكي، دار العلم الملايين بيروت، ط١، ١٩٩٢: ١٤٠.

تكملة معجم المؤلفين (وفيات ١٣٩٧. ١٤١٥هـ)، (١٩٧٧. ١٩٩٥م): محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت . لبنان، ط١، (١٤١٨هـ)، (١٩٩٧م) :١٠٣.

عاشوراء في الادب العاملي المعاصر: حسن نور الدين: ١٢٢.

[٣] يُنظر: عيد الغدير (أول ملحمة): بولس سلامة، مكتبة الروضة الحيدرية بيروت، د.ط ، د.ت:١٧.

[٤] يُنظر: بولس سلامة شاعر الغدير وكربلاء في الزمن الأخير : كمال السيد، الغدير بيروت لبنان، د. ط ، د. ت: ١٧.

بالفصاحة إلّا وعليه رشاش من غيث القرآن الكريم، ولم يكتحلْ جفن بسحر البيان إلّا وقد أشرف من باب رحب على هذه المروج الخضر التي تعهدها بالماء والظلال، وأول من يطل عليك من هذه الجنان بعد الرسول سيد البلغاء... وسدرة المنتهى في الكمال الإنساني علي بن أبي طالب "[١].

اشتهر بولس سلامة بلقب الشاعر الملحمي[٢]. وغديرية بولس سلامة هي إحدى قصائد ملحمته الكبرى التي تحمل عنوان عيد الغدير. وتقع (عيد الغدير)في(٤٧) قصيدة، ويبلغ مجموع أبياتها (٣٤١٥) بيتاً[٣].

آثاره الأدبية :

لبولس سلامة جملة من المؤلفات في الشعر والنثر منها [٤]:

١. عيد الغدير: وقد مثّل فيها حياة الإمام علي (عليه السلام) وزواجه من فاطمة (عليها السلام) والمعارك التي شارك فيها...

٢. عيد الرياض: هي ملحمة تقع في ثمانية آلاف بيت كان الدافع على تأليفها سيرة الملك عبد العزيز آل سعود.

٣. عيد الستين .هذا من ناحية الشعر، أما من ناحية النثر فله عدّة كُتب على سبيل الذكر لا الحصر:

١. الصراع في الوجود .

٢. حديث العشية .

---

[١] المصدر نفسه : ١٧.

[٢] يُنظر: عاشوراء في الادب العاملي المعاصر: حسن نور الدين، الدار الاسلامية، د ـ ط، (١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م):١٢٢.

[٣] يُنظر: المصدر نفسه :١٧.

[٤] يُنظر: تكملة معجم المؤلفين: محمد خير رمضان يوسف :١٠٣، ١٠٤،
بولس سلامة شاعر الغدير وكربلاء في الزمن الأخير: كمال السيد :١٣.

٣. في ذلك الزمان .

٤. حكاية عُمْر .

٥. مذكرات جريح.

٦. من شرفتي .

٨. تحت السنديانة.

١٠. خبز وملح .

فـ (الصراع في الوجود)، وهو كتاب في الفلسفة والأدب، أما كتاب (حديث العشية)، وهو في الفلسفة أيضاً، ولكن ليس الفلسفة الممزوجة بالأدب، وأما كتاب (مذكرات جريح)، ومن خلال اطلاعي على هذا الكتاب، فإنّ المؤلف يسردُ فيه رحلة حياته والمعاناة التي كابدته، فيحاول أن يقدم شيئاً من النصائح والدروس والعِبر للشباب مستثمراً تلك الظروف التي مرَّ بها لتوجيههم، وتحدثه عن الكثير من المحطات التي وقف عندها في مراحل حياته أما (في ذلك الزمان، وحكاية عمر، من شرفتي ، تحت السنديانة، وخبز وملح .

- **ملحمة عيد الغدير:**

انطلقَ بولس سلامة في كتابة ملحمته بالاعتماد على القلة من كتب الشيعة، وأشار إلى ذلك، وقد نهل من كتب السنة، فيقول في ذلك عن ملحمته :" قلّما اعتمدت مؤرخي الشيعة، بل من أهل السنة الذين عصمهم الله من فتنة الأمويين وتقيدت بالتاريخ جهد الاستطاعة ... وبالرغم من الانطلاق الشعريّ الذي حاولته فلقد بقيت مغلول الجناحيين لا استطيع أن أخلع على الواقعات من الفن إلا بمقدار؛ ذلك أن الملاحم تدور على الأساطير حيث يسبح الشاعر ولا رقيب إلا ذوقه وكتابي هذا محوره التأريخ، والتأريخ حرام على الخيال حتى في الحوادث العادية فكيف به عندما

يستند على الأحاديث النبوية"[١]. ويشير بولس سلامة إلى قضية مهمة بأن العنوان لا يستوعب سوى فصل من الكتاب الذي مداره ـ أهل البيت (عليهم السلام). في أهم ما يتصل بهم من الجاهلية إلى ختام مأساة كربلاء[٢].

المفاهيم الإجرائية التي تقوم عليها التداولية:

قامت التداولية المعاصرة على مفاهيم نذكر منها: الفعل الكلامي، القصدية، الاستلزام الحواري، متضمَّنات القول، ونظرية الملاءمة، الإشاريات، الافتراض المسبق[٣].

- **علاقة التداولية بالخطاب الشعري**

قد تقدم التداولية فائدة أساسية للمقاربة الأدبية، إذ تجعل الأدب يضع الدارسين في قلب عالم من العلامات يفتح النظر على السياقات التواصلية والتفاعلية حيثُ تتجابه الشخصيات تماماً مثلما يتجابه المخاطبون في الحياة. فضلاً عن ذلك يمكن للتداولية أن تواجه القارئ بوضعيات محدودة، وبوضعيات غير متوقعة أو لا تندرجُ في إطار القواعد المعلنة من لدن النظرية التداولية[٤]. وينقلُ أحد الباحثين رأيه حول هذا الأمر، ويرى أن استثمار التداولية في الحقل الأدبي والشعري ظل بعيداً عن الدرس على رغم من اهتمام النظرية بالجانب الاستعاري للكلام وكذا بعض المظاهر الصوتية كالتنغيم والإيقاع التي تتعلق بقصدية المتكلم، وبالمقابل وجدت فنوناً قولية كانت حقلاً للمقاربات التداولية؛ ذلك أن الفنون ـ كالمسرح ـ مثلاً تستعمل لُغة قريبة من اللُّغة اليومية، بيد أن النصوص الشعرية بقيت بعيدة عن الاستفادة من

---

[١] عيد الغدير (أول ملحمة عربية): بولس سلامة: مكتبة الروضة الحيدرية :٢٤، ٢٥.

[٢] يُنظر: عيد الغدير: بولس سلامة : الشركة العالمية للكتاب بيروت لبنان ، ط٢ ، د . ت ،: ٧.، و عيد الغدير (أول ملحمة عربية) بولس سلامة: ٢٤.

[٣] يُنظر: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني): مسعود صحراوي ٣٠.

[٤] يُنظر: المقاربة التداولية للأدب: إلفى بولان :٦٥.

الإمكانات التحليلية التي ينتجها الدرس اللساني[١]. وذلك ما نادى به أوستن. ويذكر فيليب بلانشيه أنه لقد شدّ النصُّ الأدبيُّ وتحديداً الخياليُّ اهتمامَ أوستن الذي وصفه بأنه ملفوظ غير جاد، ويتبين من ذلك أن أوستن أطلق على النصِّ الأدبي ـ الملفوظ غير جاد، ويتضح من خلاله أنه يحاولُ أن يبعد النصّ الأدبي عن اهتمامه، فعلى سبيل المثال أن تلفظاً أنشائياً ما مليئا أو فارغا إذا مثله مُمَثل ما، فاللُّغة في مثل هذا الوضع لا تُستعمل بشكل جدّي، أما سيرل يقدمُ الخطاب الخيالي بوصفه عملاً لُغوياً غير مباشر، ويهتمُ التحليل الأدبي بالعناصر الإشارية والروابط ... والذي يبدو عليه أن نمط النص استأثر باهتمام التداوليين، ويتضح من ذلك أن التحليل التداولي مُفيد للنصِّ المسرحي بحسب رؤية العالمينِ[٢].

وتجدر الإشارة إلى أن العمل الأدبي قد يكون هو تحويل التجربة المعيشة إلى علامات لُغوية يُترقَب إعادة تحويلها إلى لُغة ومعنى، فالعالم اللفظي للُّغة هو عالم مُغلق؛ لأنه مجرد الانتهاء منه في حدود شكله الثابت، فهذه الحدود تنظم وبشكل مستقل وجوده وتشكيلة المعاني التي يكون محتمل ناقلاً لها، ويكون مفتوحاً؛ لأنه يمثل واقعاً تنقله معارف الكاتب وأحاسيسه[٣].

إنَّ التداولية لها امتداد واسع مع علم الاجتماع والفلسفة وعلم النفس وعلم الاتصال وتحليل الخطاب ونظريات التلقي والشعريات ... ولعل السمة التي يحملها علم التخاطب هي إيلاء أهمية كبرى لأقطاب العملية التواصلية اللسانية وللظروف السياقية بوصفها عناصر مُساعدة في تأدية المقاصد والوصول إلى المعنى الذي قصده المخاطِب، فالمخاطب لو نطق القول: الجو حار ينجز فعلاً تتحدد طبيعته من خلال السياق الذي ورد فيه[٤]. فلهذا اهتم بالتداولية الكثير من الباحثين نظراً لتنوع

---

[١] يُنظر: تداولية النص الشعري (جمهرة أشعار العرب نموذجاً)، أطروحة: شيتر رحيمة، المقدمة: ٢.

[٢] يُنظر: التداولية من أوستين إلى غوفمان : فيليب بلانشيه :١٥٣، ١٥٤، ١٥٥.

[٣] يُنظر: المقاربة التداولية للأدب : الفى بولان :٧٣.

[٤] يُنظر: التحليل التداولي للخطاب الشعري (روميات أبي فراس الحمداني أنموذجا): عمار لعويجي، أطروحة: ٤.

مجالاتها واطلاعها على الكثير من العلوم التي ذكرت انفاً، وجاءت تَستندُ قصدية المتكلم وموقف المتلقي والسياق في فهم النص الأدبي وتحليل ما يتصل بهذه العناصر؛ لتحويل المتلقي إلى شريك أصيل في انتاج المعنى خاصة في تلقي النصوص الابداعية لتجددها[١].

إنّ قراءة النّصُّ الشَّعري تعتمد آليات يراها المؤلف صعبة، وبخاصة إذا كانت معدومة الكفاءة اللُّغوية والادبية والمعرفة الشاملة بالأطر المرجعية المحيطة بالنَّص الشعري، لذا يجب الاعتماد على آلية غير غامضة واضحة المعالم في تحليل النَّص، لمعرفة المعاني الخفية التي تكمن خلف المعنى الأصلي، ومن المعلوم أن النَّصّ وبخاصة الابداعي له بنية مؤسسة على نقض العلاقات النسقية العرفية مما يبلغه الاقاصي وخرق عتبات الزمان والمكان، وهذا ما يضمن للنّصِّ النمو والاستمرارية والتجدد[٢].

وللتداولية اهتمامات تتمثلُ في المنجز اللُّغوي في إطار التواصل ضمن سياق معين، فالمنتج يبحث عن أفضل طريقة لِينتج خطاباً يؤثر في المتلقي أو المخاطَب، وبذلك تسعى التداولية إلى وضع المخاطِب والمخاطَب في سياق واحد. كما تَدرسُ التواصل المباشر وغير الحرفي بين المرسل والمستقبل، ومن أهم ما تدرسه التداولية قصدية المتكلم حين أنتج خطابه، والمستويات اللُّغوية التي استعملها في خطابه، والعلاقة بين الافتراضات المسبقة وبين مقصده، وتهتمُ كذلك بالوقوف على البعد العلاماتي، وما يتضمنه من محددات سياقية كالشخصية، والزمانية، والمكانية...، وهذه العلامات الإشارية مثل أسماء الإشارة والضمائر التي ليس لها معنى في حد ذاتها الا عن طريق سياق يفهمه طرفا العملية التواصلية من متكلم وسامع، وتهتمُ بدراسة الأفعال الكلامية، وتستعملُ أفعالاً تعبيرية وفق السياق الذي ترد فيه: كالطلب

---

[١] يُنظر: المقاربة التداولية في الشعر العربي المعاصر قصيدة (لا تصالح للشاعر أمل دنقل نموذجا): حمدة خلف مقبل العنزي، حولية جامعة الأزهر الكلية اللغة العربية، العدد ٢٤/ ١٤ ، ١٤٤٢هـ. ٢٠٢٠: ١٣٨٧٤.

[٢] يُنظر: مدخل للتحليل اللساني للخطاب الشعري: نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، ط١، . ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٨م: ٦٨.

أو الاستفهام أو الأمر أو التمني...، ومدى انجاز الفعل لقصد المتكلم، فالمتكلم يبني رسالته اللُّغوية بشكل مفارقات على مبدأ تداولي هو مبدأ (التعاون) الذي يعتمدُ على قَواعد ضَامِنة لتشكل الوضع المثالي للتواصل الإنساني تتمثلُ في مبدأ(الكم، وقاعدة الكيف، وقاعدة المناسبة، وقاعدة الطريقة)[١]. إنّ التجربة الشعرية يمكن أن تمثلَ مُقاربة للخطاب الأدبي ضمن إطار الاتجاه التداولي، شريطة أن يَسعى الخطاب الأدبي إلى تجاوز اللُّغة الشعرية التقليدية المباشرة الواصفة مع مراعاة أبعاد غير لُغوية تستندُ إلى سياقات وإشارات تدور في فلك الخطاب وتحف جوانبه [٢].

وهذا يعني أن التداولية تَدرسُ المجالات التي تتعلقُ بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم ويفسره المستمع، فهي مرتبطة بما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه عبارات هذه الالفاظ منفصلة، أي أنها تدرس المعنى الذي يقصده المتكلم، وتدرس تحليل ما يعنيه الناس في سياق معين وكيفية تأثير السياق في ما يقال، وكذلك النظر في الآلية التي يُنظم من خلالها المتكلمون ما يريدون قوله طبقا لهوية الذي يتكلمون إليه، وأين، ومتى، وتحت أي ظروف، أي هي دراسة المعنى السياقي، وتدرس كذلك الكيفية التي يصوغ المستمعون عبرها استدلالات حول ما يقال للوصول إلى تحليل المعنى الذي يقصده المتكلم، فالتداولية يقصد بها هنا دراسة كيفية ايصال أكثر ما يقال، وتدرس التداولية التعبير عن التباعد النسبي أي ينطوي القرب المادي أو الاجتماعي أو المفاهيمي على افتراض قرب المستمع أو بعده تلك هي أهم المجالات التي تدرسها التداولية[٣] .

---

[١] يُنظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان: فيليب بلانشيه، ٨٥. وينظر: المقاربة التداولية في الشعر المعاصر: حمدة خلف مقبل العنزي حولية : ١٣٨٧٥، ١٣٨٧٦.

[٢] يُنظر: المصدر نفسه حولية :١٣٨٧٧.

[٣] يُنظر: التداولية: جورج يول: ترجمة قصي العتّابي، دار العربية للعلوم ناشرون بيروت ـ لبنان دار الأمان، ط١ ، ٢٠١٠م .١٤١٣هـ ،١٩،٢٠. و تداولية الخطاب الشعري (ديوان الإمام الشافعي نموذجا): ريمة لعبادليه، رسالة ماجستير: ١٤.

من ذلك يتبين أن للتداولية صلة بالخطاب الشعري، بما يتضمنه من مفاهيم سياسية وتاريخية واجتماعية وقضايا متداولة ومعروفة لدى الناس؛ أن النص الشعري نص تفاعلي يؤثر في السامع.

الفصلُ الأول

الأفعال الكلامية في ملحمة(عيد الغدير)

المبحث الأول : مفهوم الفعل الكلامي

المبحث الثاني : الأفعال الكلامية في ملحمة عيد الغدير

الفصل الأول : الأفعال الكلامية في ملحمة عيد الغدير

المبحث الأول: مفهوم الفعل الكلامي

وتَعُدُّ عملية التحليل نقطة مركزيّةً للمنهج الفلسفي، وأشهر أعلامه (غوتلوب فريجه، برتراند رسل، ولودفيغ فيتغنشتاين)[١]، إنَّ دراسة المعنى نشأت وتطورت على يد فلاسفة من أمثال أوستن Austin وسيرل Searle، لا على اللُّغويين أنفسهم، ويرى هذان الفيلسوفان؛ لكي يعبر المتكلم عن نفسه يقوم بتأدية ثلاثة أعمال ذات قوى مختلفة في وقت واحد، أولها القوة التعبيرية. والقوة الثانية فهي قصد المتكلم (المتحدث) من أطلاقه هذا التعبير. أمّا القوة الثالثة فهي الأثر أو نتيجة التعبير بالنسبة للمتلقي أو المستمع [٢]. وتجدر الإشارة إلى أنَّ مضمون الفعل الكلامي : بأنه كلُّ ملفوظ ينهضُ على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري فضلاً عن ذلك يُعدّ نشاطاً يتوسل أفعالاً قولية لتحقيق أغراض إنجازية كـ (الطلب والأمر والوعد والوعيد ... الخ)، وغايات تأثيرية تَخُصُّ ردود فعل المتلقي المستمع كـ (الرفض والقبول)، ويطمح (الفعل الكلامي) أن يكون ذا تأثيرٍ في المخاطب، اجتماعياً أو مؤسساتياً، ومن ثَمّ انجاز شيء ما[٣] .

ماهية الفعل الكلاميSpeech Act Theory عند أوستن وأقسامه:

ينظر أوستن إلى الفعل اللُّغوي بوصفها جنساً عاماً من ثلاث جهات، التلفظ، والنطق والخطابة، فيختص فعل التلفظ بمخارج الحروف المادية، ويتعلق فعل النطق بمقاصد العبارة، أما فعل الخطاب فيهتم بمقاصد المتكلم الخارجة عن العبارة

---

[١] يُنظر: في البراجماتية (الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي) : علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط١، ٢٠١٠ :٢٢، وينظر : معجم أكسفورد للتداولية : يانغ هوانغ ، ترجمة هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط١، ٢٠٢٠: ١٠٥.

[٢] يُنظر: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب والخطاب : علي عزت، دار نوبار للطباعة . القاهرة، ط١، ١٩٦٩: ٥١.

[٣] يُنظر: التداولية عند العلماء العرب : مسعود صحراوي :٤٠.

والمفهومة من السياق، [1]، ويمكن تلمس الفروق الدقيقة بين هذه الوجوه، حيثُ إنَّ الفعل الفونطيقي هو مجرد فعل التلفظ ببعض الأصوات المحمولة في الهواء، وأما الفعل الكلامي هو النطق ببعض الألفاظ والكلمات أي إحداث أصوات على انحاء مخصوصة، متصلة على نحو ما بمعجم معين، ومرتبطة به ومتمشية معه، وخاضعة لنظامه، وأما الفعل الخطابي فهو طريق تأدية الإنجاز وكيفيته باستعمال تلك الألفاظ مقرونة ـ إلى حد ما وبمعنى ما ـ بالمعنى والمرجع، ولتوضيح ذلك:

إذا قال قائِل : إنَّ القطة توجد فوق الوسادة، فهو يخبر بفعل كلامي، بينما إذا قال : بأنّ القطة كانت موجودة فوق الوسادة، فهو مخبر بكلام خطابي...الخ)[2].

إنَّ الُّلغة تهدفُ إلى وصف الواقع، فكلّ الجمل ـ عدا الاستفهامية والأمرية والتعجبية ـ يمكن الحكم عليها بأنّها صادقة أو كاذبة، فهي صادقة إذا كان الوضعُ الذي تصفه قد تحقّق فعلاً في الكون، وهي كاذبة بخلاف ذلك، وهذه الملاحظة التي انطلق منها أوستن لا تستعمل هذه الجمل الاستفهاميّة والامرية والتعجبية لوصف الواقع بل لتغييره، فهي لا تقول شيئاً عن حالة الكون الراهنة أو السابقة إنّما تغيرها أو تسعى إلى تغييرها[3] .

وقد بدأ أوستن كتابه بهدم إحدى مسلمات الفلاسفة والتي أطلق عليها اسم المغالطة الوصفية (Descriptive Fallacy)، وقد فضّل تسميتها بـ (المغالطة الخبرية)، والتي مضمونها أنّ اللُّغة أو المقولات يتناولها مستعملو اللُّغة شفاهاً وكتابةً لا تستعملُ لوصف حالة مُعينّة أو للتصريح بحقيقة معيّنة، وهذا الوصف والتصريح

---

[1] يُنظر: نظرية افعال الكلام (كيف ننجز الاشياء بالكلام) : أوستين، ترجمة :عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، ١٩٩٠ : ٧.

[2] يُنظر: نظرية افعال الكلام العامة (كيف ننجز الاشياء بالكلام): أوستين، ترجمة ، عبد القادر قينيني، افريقيا الشرق، ١٩٩١: ٦، ١١٦، ١١٧.

[3] يُنظر: التداولية اليوم علم جديد آن روبول وجاك موشلار:٢٩، ٣٠، وينظر: نظرية الفعل الكلامي (بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والاسلامي) هشام عبد الله الخليفة ، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠٠٧ :٣٠.

يجب أن يكون أما صادقاً أو كاذباً أي يجب أن يحتملَ التصديق أو التكذيب[١]. وقد ركّز أوستن على صنف مهم من المقولات أطلق عليه اسم المقولات الإنجازية، فمجرد النطق بالكلمات لفعل أو عمل يُعدّ إنجازاً، وهذه بعض الأمثلة التي تدلّ على ذلك:(بسم الله افتتح جسر الشهداء)، حين يقولها المتكلم وهو يقص الشريط، و(أوصي بثلث ثروتي إلى ابن أخي) حين ترد في وصية قانونية، و(أشهد أنَّ لا اله الّا الله واشهد أن محمّداً رسول الله) و، (أسمي هذه السفينة الملكة إليزا بيث[٢])، ففي المقولة الأولى لا يصف المتكلم حقيقة ما، ولا يخبر بخبر بل بنطقهِ للكلام قام بفتح الجسر، فهو لم يخبر عن افتتاح الجسر، بل أنجز ذلك الافتتاح، وكذا الحال بالنسبة للمقولة فمجرد نطق المتكلم بالتوصية بثروته يتغير العالم، فهو ليس ينقل خبراً، وإنما ينجز فعلاً كلامياً في حال نطق المتكلم، فقد انجز فعلاً في ظروف معيّنة، وكذلك الحال بالنسبة للمقولة الثالثة فعندما ينطق المتكلم الشهادة يحصل تغير في العالم وأيضاً تم الفعل الإنجازي في ظل ظروف خاصة بالمتكلم، وأما المقولة الأخيرة فأنّها لا تصف حقيقة، وإنّما تنجز فعلاً، هو فعل التسمية[٣].

وقد ميّز أوستن بين نوعين من الملفوظات: هي الملفوظات التقريرية الوصفية، وتظل خاضعة لمعيار الصدق والكذب، والملفوظات الإنجازية والتي تمتاز بأن يكون الفعل المحوري للملفوظ إنجازيا (وعد، تحذير، التماس). ومن الجدير بالملاحظة أن أوستن وضع شروط لنجاح الإنجازية أسماها شروط الموفقية تقي الإنجازية من الأخفاق وإساءة الاستعمال (Felicity conditions) فأي خلل في هذه الشروط يؤدي إلى الإخلال بها، ومن ثم أنتاج ملفوظات فاشلة وهذه الشروط تتلخص في :

١. وجوب أن يكون إجراء عرفي متواضع عليه له تأثير متعارف عليه، ويتضمن ذلك الإجراء النطق بكلمات معيّنة من قبل أشخاص معينين وفي ظروف معيّنة .

٢. إنَّ الأشخاص والظروف ينبغي أن يكونوا مناسبين .

---

[١] يُنظر: نظرية الفعل الكلامي هشام عبد الله الخليفة:٤٠.

[٢] يُنظر: التداولية أصولها واتجاهاتها : جواد ختام: ٨٦.

[٣] يُنظر: نظرية الفعل الكلامي :هشام عبد الله الخليفة :٤، ٤١.

٣. وجوب أن يُنفذَ الإجراء من قبل كل من المشاركين بطريقة صحيحة وكاملة، وتامة .

٤. يجب على الطرف الذي يشارك في الإجراء أن يتوفرَ فعلياً على الأفكار والمشاعر، كما على المشاركين أن تكونَ لهم نية قبول التصرف المذكور،[١]. ولكن يُبيّن بالقول (بالتلفظ)، ولا يعني ذلك فصله عن الضمائر المبهمات، فإنّ لكل ملفوظ علامات للشخص وللزمن التي تميز التلفظ بها .

وقد صنف أوستن الفعل الكلامي الكامل في الجملة إلى ثلاثة أفعال :

الأول : فعل القول ، أو الفعل اللفظي (Locutionary Act): ويتجسد في ثلاثة مستويات للجملة وليس للكلمة وهي : الصوتي والتركيبي والدلالي للجملة التي يعبرُ بها المتكلم عن قصده أي أنَّ الألفاظ تكون في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات معنى، [٢]. عقب المحاولة غير الناجحة لتأسيس تمييز نظري بين الملفوظ الوصفي والأدائي تعهَّد أوستن بإعادة النظر من وجهة نظر أكثر عمومية، وقاده التحليل الدقيق لفعل التلفّظ إلى التمييز بين الجوانب الثلاثة الأولى :

- الفعل الصوتي : فيكون هذا الفعل بإنتاجِ أصوات معيّنة، أو هو عملية فيزيائية لتوليد أصوات بغض النظر عن أنها كلمات .
- الفعل التركيبي : ويكون إنجاز هذا الفعل بإنتاج مفردات أو كلمات معيّنة وفقاً لبناء معين أي وفقاً لقواعد معيّنة مع بعض التنغيم ...إلخ

الفعل الإحالي (الدلالي) : وينجز هذا الفعل ويستخدم لإنجازه سمة مميّزة أو أجزاء من مكوّناتها بمعنى محدد وبمرجع محدد بشكل ما، وهذا يعني قصد المتكلّم معنى وضعياً

---

[١] يُنظر: نظرية الفعل الكلامي هشام عبد الله الخليفة :٤٣،٤٤، وينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها : جواد ختام :٨٧،٨٨.

[٢] يُنظر: التداولية عند العلماء العرب : مسعود صحراوي :٤١، وينظر: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ : محمود عكاشة : مكتبة الآداب . القاهرة، ط١، ٢٠١٣: ٩٩.

بعينه دون غيره من المعاني الوضعية المحتملة[١] . فالقول : إنها ستمطر، أن معنى الجملة يمكن أن يكون مفهوماً، ويمكن تأويلها على أنها إخبار بأنها ستمطر، أو تحذير من عواقب الخروج في الرحلة أو أمر بحمل مظلة، كل ذلك يتم معرفته عن طريق قرائن السياق لغرض تحديد قصد المتكلم أو غرضه من الكلام[٢] .

ثانياً : الفعل الكلامي : هو مصطلح استعمله أوستن للدلالة على تنفيذ المقاصد التداولية المقصودة من الكلام أي للدلالة على المعاني الثواني على حدّ تعبير البلاغيين، وقد فرق أوستن بين فعل القول والفعل الكلامي، حيثُ يرى أن فعل القول متعلق بالمعنى الحرفي أو الوضعي أي المقصود بالمفردات المعجمية، ويشمل ما يسميه بالمعنى الأول أو أصل المعنى بتعبير البلاغيين، أما الفعل الكلامي فيكون مرتبط مع المغزى الكلامي أو الداعي للكلام، ومثال على ذلك تحديد هدف المقولة هل هو تحذير ؟ أم نصيحة ؟ أم تهديد ؟ أم إخبار ؟ أم استفهام ... الخ . ويتحقق الفعل الكلامي إدراك أو استيعاب المخاطب[٣]لقصد الانعكاسي للمتكلم[٤] .

ثالثاً : الفعل التأثيري (الناتج عن القول) : هو عبارة عن حصول تأثيرات معيّنة عن طريق الكلام، وقد تكون هذه التأثيرات مُختلفة جداً، فقد تكون ردود فعل نفسية أو استجابة لفظية أو ردود فعل جسدية، أو هو النتائج أو العواقب أو التبعات التي يولدها الفعل الكلامي، والتي تؤثر على مشاعر المخاطب و المستمع أو المتكلم، وتعد هذه النتائج خارج نطاق اللُّغة وأن التأثيرات ليست نتيجة ولازمة ضرورية

---

[١] يُنظر: نظرية الفعل الكلامي هشام عبد الله الخليفة : ٨١ ، ويُنظر: قاموس التداولية : جوليان لونجي، جورج إيليا سرفاتي ، ترجمة : لطفي السيد منصور، لبنان . بيروت ، ط١، ٢٠٢٠: ٣٠ ، ٣١.

[٢] يُنظر: التداولية عند العلماء العرب مسعود صحراوي :٤١، ٤٢.

[٣] القصد الانعكاسي : هو ما يقصده المتكلم توليد إدراك أو تأثير كلامي لدى السامع عن طريق جعل السامع يدرك قصد المتكلم . ينظر : نظرية الفعل الكلامي : هشام عبد الله الخليفة: ١٠٦.

[٤] يُنظر: نظرية الفعل الكلامي هشام عبد الله الخليفة : ٨٨، ٨٩.

في أفعال الكلام[١] . وقد طور هذا المفهوم أوستن (Austin) ويترك هذا الفعل أثراً معيَّنا في المُخاطب أو يحقق تأثيراً معيّناً فيه بوساطة النُّطق فيه بتعبير لُغوي، لذلك فهو فعل منجز بوساطة فعل التكلّم، مثلا: عند سماع ميري لكلام (مقولة) جون : ناوليني النظارات رجاءً قد تمتثل للطلب أو تتجاهله[٢] .

" وعليه، فأن نظرية أفعال الكلام تجسد موقفاً مضاداً للاتجاه الوضعي المنطقي الذي ركَّز على التحليل المنطقي للعبارات، مجردة من سياقها اللُّغوي والاجتماعي والتاريخي .في حين أن الأقوال اللُّغوية تعكس نمطاً ونشاطاً اجتماعياً أكثر منها أقوالاً تتصف بالصدق والكذب التي ألفها الفلاسفة . أن هذه الخطوط العامة لنظرية أوستن هي التي ستشكّل صلب نظرية أفعال الكلام أو الخطاب التي أسسها سيرل"[٣].

من ذلك نستنتج أن نظرية أفعال الكلام في نظر أوستن مرت بثلاث مراحل ، حين تمييزه بين أفعال الكلام التقريرية والإنجازية، وهذه هي المرحلة الأولى، أما المرحلة الثانية فتجسدت في أعادة النظر من قبل أوستن في ثنائية الإنجازية والإخبارية [٤]. أما في المرحلة الثالثة، فقد صنف أوستن الأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية إلى خمسة أصناف :

الأول: الأفعال الدالة على الأحكام : والتي تقوم على الإعلان عن حكم، كالإذن، الحكم، والإقرار... الخ، وتصدر عمن بيده القدرة ، مثل القاضي والرئيس ممن هو أعلى رتبة وتسمى (الحكميات) .

---

[١] يُنظر: نظرية الفعل الكلامي : مسعود صحراوي : ٩١، وينظر: قاموس التداولية : جوليان لونجي، و جورج سرفاتي:٣٢.

[٢] يُنظر: معجم أكسفورد للتداولية : يانغ هوانغ Yan Huang: ترجمة هشام إبراهيم عبد الله الخليفة ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط١، ٢٠٢٠: ٤٧٦.

[٣] الفلسفة واللغة نقدُ (المنعطف اللغوي) في الفلسفة المعاصرة : الزواوي بغروه، دار الطليعة . بيروت ، ط١، ٢٠٠٥: ١٠٧.

[٤] يُنظر: النظرية البراجماتية اللسانية التداولية (دراسة في المفاهيم والنشأة) : محمود عكاشة :٩٩، ١٠٠.

ثانياً: الأفعال اللُّغوية الدالة على القرارات ويمكن تسميتها بـ (التنفيذيات) : هي الأفعال التي تقوم عل إصدار القرارات لصالح سلسلة الأفعال، أو ضدها نحو : الدافع، والإدانة، الطلب...

ثالثاً: الأفعال اللُّغة الدالة على التعهد (التعهدات) : نحو الضمان واليمين (القسم) والاشتراط ... وتسمى أيضاً (الوعديات) .

رابعاً: الأفعال اللُّغوية الدالة على السلوكيات (السلوكيات) : وهي ردود الفعل تجاه سلوك الآخرين نحو: الاعتذار، التهنئة، الشكر، الترحيب...الخ.

خامساً: الأفعال الدالة على الايضاح (العرض) وقد تسمى بـ (العرضيات) : وهي الأفعال التي تستعمل لعرض الآراء والمفاهيم بصورة واضحة ومبسطة نحو: التأكيد، النفي، الوصف، القول... إلخ [1].

أفعال الكلام عند جون روجرز سيرل (John Searle) وإسهاماته في نظرية الأفعال الكلامية :

أعاد سيرل تناول نظريته وطوّر فيها بُعدين من أبعادها الرئيسيّة وهما القصد والمواضعات [2]. ويتجسد إسهام سيرل الرئيس في التمييز داخل الجملة بين ما يتصل في العمل المتضمن في القول ويطلق عليه واسم القوة المتضمنة في القول، وما يتصل بمضمون العمل ويطلق عليه واسم المحتوى القضوي، ففي قول: أعدك بأني سأزورك غداً يعد قول: أعدك: واسماً للقوة المتضمنة في القول، أما سأزورك فهو واسم المحتوى القضوي، فإن المتكلم ينوي وهو يتلفظ في هذه الجملة أن يُبلغ المخاطب بقصده الوعد؛ لأن للقائل نية الوعد بالزيارة من هذا نستنتج أن للقائل

---

[1] يُنظر: التداولية من أوستين إلى غوفمان : فيلب بلانشيه ، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار . سوريا، ط، ٢٠٠٧: ٦٢. وينظر: المقاربة التداولية : فرانسواز أرمينكو ، ترجمة: سعيد علوش، مركز الأنماء القومي (د.ط)، (د.ت) : ٦٢. ويُنظر: النظرية البراجماتية : محمود عكاشة : ١٠١.

[2] يُنظر: التداولية اليوم (علم جديد في التواصل) : جواد ختام :٣٣. وينظر: التداولية في الدراسات النحوية : عبد الله جاد الكريم: ٨٨.

مقصدين الوعد والإبلاغ[١]. ولعل أهم ما قام به سيرل يمكن تحديده على النحو الآتي:

أولاً – عدل التقسيم الذي قدمه أوستن للافعال الكلامية فصيّره أربعة أقسام أبقى منها على القسمين الإنجازي والتأثيري بيد أنه جعل القسم الأول وهو (الفعل اللفظي) قسمين :

أحدهما : الفعل النطقي، ويشمل الجوانب الصوتية والنحوية والمعجمية.

والثاني : الفعل القضوي : وهو يضم المتحدث عنه أو المرجع، والمتحدث به أو الخبر [٢] ولإيضاح ذلك نذكر لك الجمل الآتية :

– أنصحكم بمغادرة القاعة.

– غادروا القاعة فوراً.

– حبذا لو غادر القاعة.

– هل غادر القاعة؟

– لقد غادر القاعة.

إنّ منطوقات هذه الجمل في مناسبة معيّنة أداء على نحو مميز لأفعال غرضية مختلفة[٣] فنحن إزاء أمثلة عند النطق بها (الجملة) ينجز المتكلم ثلاثة أنواع من الأفعال في آن واحد، فالقضية (المحتوى المشترك) في هذه الأمثلة تشير إلى أن المضمر أو الضمير صريح ويحيل دائماً على الشخص عينه (الإحالة بالإشارة) والإسناد (مغادرة القاعة)، في حين أن هنا عدة أفعال إنجازية، ففي المثال الأول تكون الإنجازية بقصد النصيحة والأمر والتهديد، وتكون في المثال الذي يليه بقصد

---

[١] يُنظر: التداولية اليوم (علم جديد في التواصل) : جواد ختام : ٣٣ ، ٢٧٣.

[٢] يُنظر: افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود أحمد نحلة : ٧٢.

[٣] يُنظر: التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد : صلاح اسماعيل عبد الحق ، دار التنوير بيروت . لبنان ، ط١، ١٩٩٣، ٢١٨.

الامر، والمثال الثالث التمني، والذي يليه الاستفهام والاستعلام، والمثال الأخير التقرير والإخبار[١] .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الفعل التأثيري ليس له أهمية كبيرة عند سيرل؛ لأنه ليس من الضروري أن يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما[٢].

ثانياً – إنّ الفعل الكلامي عند سيرل مرتبطٌ بالعرف اللُّغوي والاجتماعي ويرى أنه أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلّم .

ثالثاً – لقد طوّر سيرل تصور لشروط الملائمة وطبقها على أفعال الرجاء، والإخبار والتهنئة والنصح ... وجعلها أربعة[٣] :

١. شرط المحتوى القضوي : يشير هذا المفهوم إلى المحتوى الدلالي لجملة أو قضية في اطار نظرية أفعال اللُّغة[٤].

٢. الشرط التمهيدي : المخاطب قادر على إنجاز الفعل والمتكلم متيقن من قدرة المخاطب على إنجاز الفعل، فضلاً عن ذلك ليس من الواضح عند كل من المتكلم والمخاطب سينجز الفعل المطلوب في المجرى المعتاد للأحداث .

٣. شرط الإخلاص : حيث إنَّ المتكلم يريد حقاً من المخاطب أن ينجز هذا الفعل .

٤. الشرط الأساسي : محاولة المتكلم التأثير في المخاطب لينجز فعلاً[٥].

---

[١] يُنظر: نظرية الفعل الكلامي : هشام عبد الله الخليفة : ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٢.وينظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها : ترجمة محمد يحياتن، جامعة تيزي وزو، الساحة المركزية بن عنكون . الجزائر: ٢٦.

[٢] يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : محمود أحمد نحلة :٧٢، ٧٣.

[٣] يُنظر: المصدر نفسه :٧٤.

[٤] يُنظر: قاموس التداولية :٦٩.

[٥] يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود أحمد نحلة :٧٥.

رابعاً – تمييز سيرل بين الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة حيث إنَّ وجود علاقة مباشرة بين البنية والوظيفة يعني ذلك الحصول على (فعل كلامي مباشر)[١] أما الفعل الكلامي غير المباشر فتكون العلاقة غير مباشرة بين البنية والوظيفة .

من هذا يُستنتَج أن سيرل ميّز بين الفعل الكلامي المباشر وغير المباشر فبيّن أنّ المتكلِّم قد ينقلُ إلى المُستمِع أكثر مما تحمله الكلمات، وذلك اعتماداً على الخلفية المعرفية المشتركة بينهما، سواء أكانت لغوية أو غير لغوية، مع قدرة المستمع على الاستنتاج والتعقل والتفكير[٢].

[١] يُنظر: التداولية : جورج يول :٩٢.

[٢] الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي : نادية رمضان النجار: ٩٣.

المبحث الثاني : الأفعال الكلامية في ملحمة عيد الغدير

صَنفت أفعال الكلام إلى خمسة أقسامَ رئيسة تَكونُ على النحو الآتي :

أولاً : الإخبارية أو الأثباتية [١] **أو التصورية(Reperesntatives)**: وهي الأفعال الَتي يكونُ فيها قول المتكلّم مُنَاسباً أو مطابقاً للعالم الخارجي، وغرضها هو بيان اعتقاد المتكلّم بخبر ما أو قضيَّة ما، وهذه الأفعال تَصِفُ وقائع وأحداثَ العالم الخارجي، ويمكن للجوانب الانفعالية أن تدخلَ ضمن هذهِ الأفعال كما في (يفتخرُ بـ) و(يشكي)، وتُعدّ هذه الأفعال حقيقية، وقد يكونُ النطقُ بها بـ (أنا أؤكد، اعتقد، افترضُ[٢]) .

ويَتضحُ الفعل الكلامي(الإخباري) في قول بولس سلامة بوساطة هذا المقطع :

فكأن النبي يرفع بند العـــــزّ عيـــــداً للقائد المنصـــــور

راوياً للزمان فضـــــل علـــيّ باسطاً للعيون حق الوزيـــــر

حيدر زوج فاطم وأبو الســـبطَيْن، والرمـــح يوم طـــعن النحـــور

وربيب الرسول وابن مربّيه المُعاني في البـــذل جهد الفـــقير

والفقيه العظيـــم أصوب خلق الله رأياً لطـــالبٍ مستنيـــر

وأميـــــر الزهّاد قبلاً وبعداً حسبه في الطعام قرص الشعير[٣]

يتضمن هذا الخطاب وصف قضية يطابق محتواها العالم الخارجي بمعنى أنها ينطبق عليها معيار الصدق والكذب مع كون المتكلم معتقد بصدقها ، فهي أفعال

---

[١] وتسمى البيانية والتقريرية والتأكيدية :استنتاج الباحثة .

[٢] يُنظر: نظرية الفعل الكلامي: هشام عبد الله الخليفة :١٢٥ ، ويُنظر: الخطاب القرآني دراسة في البُعد التداولي : مؤيد ال صوينت ، مكتبة الحضارات، بيروت . لبنان ١٠٢ ، ١٠٣ .

[٣] عيد الغدير : بولس سلامة ، الشركة العالمية للكتاب بيروت . لبنان، ط٢ : ٨١.

غير مباشرة ولتوضيح ذلك لو قال المتكلم كان النبي يرفع بند العز يكون : فعل كلامي مباشر، أما القول فكأنّ النبي : فعل كلامي غير مباشر؛ لأن الخطاب تخيلي، وهذا ما أضافه سيرل على أوستن في دراسته للخطابات التخيلية ولا سيما الاستعارة ويندرج تحت ذلك الشعر. وهذه القضية هي أنّه في يوم الغدير قام الرسول(ﷺ) بجمع المسلمينَ بعرفات، وكان الإمامُ علي (عليه السلام) إلى جانبه، فخطب بهم قائلا: إن هذا الإمام قام برفع راية العزة ونصرة المسلمينَ، وقادهم نحو هذا انتِصَار تلو انتِصار وتشهدُ الملائكةُ على طِيب خلقه ونفسه، فقام الرسول(ﷺ) برفعِ ذراع الإمام علي (عليه السلام) زوج ابنته فاطمة (عليها السلام) وأبي سبطيه الذي مثّل رسالة روح التضحيّة والفداء والإباء والولاء لرسول البشريَّة، والذي أمتاز بفقاهةِ وصوابِ رأيه مُتنوراً بخلقِ مُحمّد (ﷺ)، وهو أمير الزهاد الذي لم تزغ نفسه عن رغبة من قبل، كان يكفيه من الزادِ كسرة خبز من شعير .

فالباحثة ترى أن الشاعر ذكر قضايا واقعية، ويتضح من هذا التمجيد والفخر لشخصه (عليه السلام) مع التنبيه على ذكر نسله المبارك والتأكيد عليه .

من الملحوظ أن الشاعر لجأ إلى تغيير مواقع عناصر التركيب لأغراض وغايات تداولية يريد تحقيقها وتقريرها في ذهن السامع فقدم المسند اليه(النبي) على المسند (يرفع) للدلالة على التأكيد والقوة، فالتأكيد بلغة سيرل هو فعل كلامي مندرج ضمن التقريريات، وهذا الفعل الكلامي كثير الورود في لغة التواصل اليومية، والشرط الافتراضي الذي تقوم عليه التقريريات هو امتلاك الأسس القانونيَّة أو الأخلاقية التي تؤيد صحة محتواها[1]

يَقولُ بولس سلامة فالسياق ـ مناسبة القول ـ هجرة الإمام الحسين (عليه السلام) من يثرب إلى مكة أيضاً :

فـاصـدقـونـي إن كـنتم نـاصـريـه واشـحـذوا لـلـجـهـاد بـيـضاً رقـاقـا

[1] يُنظر: التداولية عند العلماء العرب : مسعود صحراوي ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٧ .

لا تـغرّوه واعـلمـوا أن دون النـصـ ـر ضـربـاً يـفـري الـكلـى والـصـفـاقـا

إنـهـا الـحرب فـاستجـيدوا الـمواضـي وأعـدوا لـهـا الـجيادَ الـعتـاقـا

خـــمـــدت هذه الأكفّ وكانـــت تسبق البرقَ للسيوف امتشاقا

ضَـمُـرَ الســاعدُ الـلفيـفُ وقـِدما كـان عـبلاً وأجـدّلا عـمـلاقـا [1]

يَنقلُ بولس سلامة قضية مهمة، ويشير إليها إشارة واضحة عن طريق تصويرها، والتي محتواها يقتضي أنه بعد أن سَمِعَ المعارضون ـ لدعوة الحسين(عليه السلام) ـ خطاب سليمان الخزاعي[2] تراجعوا، وتنازلوا عن نصرته، فَأفعالهم وشت بتخاذلهم، وهم قبل هذه الدعوة كانت سيوفهم التي ينحرون بها الأعداء تتجاوز بسرعتها البرق، ويتضح أن هممهم قد فترت وتخاذلوا عن نصرة الأمام الحسين (عليه السلام)، فأنشأ حاجز التخاذل بينهم، وبين قوتهم بعد أن كانت قوتهم كالجبابرة .

إنَّ الواقعة تاريخية حقيقية لكن الوصف ـ النقل ـ تخيلي، والدليل على ذلك خمدت الأكف (استعارة)، وتسبق البرق أيضاً(استعارة)، فالفعل الكلامي هنا غير مباشر وهو التقرير.

والذي يدلُّ على ذلك الفعل الماضي (خَمد، ضَمُرَ) تَدلّ على شيء قد وقع وتقرر في الماضي، فهذه الأفعال تَدلّ على الوصف والتقرير والإخبار، فالعملية التواصلية قد تمت في هذا الخطاب ونقلت القضية بصدق، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم الخارجي بحسب رأي سيرل. فالفعل التأثيري قد ثبت لدى السامع

---

[1] عيد الغدير :١٥٦.

[2] سليمان الخزاعي: أحد زعماء الحركة الشيعية وهو ممن كتب إلى الإمام الحسين (عليه السلام) يطلب منه القدوم إلى الكوفة، وحين قدمها ترك القتال معه ولما قُتل الحسين ندم على ذلك واخذ يقود الحركات الشيعية (ت ٦٥هـ في بموضع يُقال له عين الوردة، يُنظر: اعيان الشيعة : محسن الأمين، تحقيق : حسن الامين، دار التعارف للمطبوعات . بيروت : ٧ / ٢٩٩.

عدم استجابة المعارضين لنداء سليمان لغرض مساندة الإمام (عليه السلام) وتقاعسهم عن نصرته بعد أن كانوا يساندوه، وأن المحتوى القضوي دلالة على النفاق.

وفي مقطع آخر من هذه القصيدة يُبيّن الشاعر لسان حال العراق مُبينا موقفهم وإجابة دعوة سليمان الخزاعي، بأنهم سَيجِيبُون دعوته، وأنهم متلهفون للقائه، وأنهم سيفدونه، وسيفدونه بأرواحهم ودمائهم وأولادهم في سبيل نصرة سليل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يَقولُ بولس سلامة في هذا الصدد :

فأجابوا: يا سليمانُ أرسلْ لحسينٍ إنّا نذوب اشْتِياقا

لحفيدِ الرسولِ يَسْبقنَا قلـ ـب، فيذكي خيالنا الخلّاقا

نَفتديه بما لدينا ونفنـــي في تجاعيد نعله الأعلاقا

تفتديه أبناؤنا بدمـــــاءٍ مجدُها في سبيله أن تراقا[1]

إنّ مضمون الخطاب الشعري عبارة عن أفعال كلامية إخبارية، حيث يتضمن أفعال تطابق الحقيقة تعبر عن قضية تمت بالفعل، والذي تهدف إليه (الإخباريات) تقرب وتثبت الحقائق في ذهن السامع، والذي يَدلُّ على تلك الأفعال هي فعل الأمر(أرسلْ)، وهو طلب حقيقي توجيهي من أهل العراق، والأفعال المضارعة (نذوب، يسبق، يذكي، نفتدي، ونفني) وهي أفعال إنجازية، القوة الإنجازية الحرفية فيها هو الإخبار والتقرير، وأما القوة الإنجازية غير المباشرة فهي التعبير عن حالة المتكلم وبيان الشوق واللهفة للقاء الإمام الحسين (عليه السلام)، وهذه الأفعال تَدلُّ على الحركية والنشاط في النص الشعري ليتحقق الفهم في العملية التواصلية للُّغة بين المتكلّم والسامع (المتلقي) في الخطاب الشعري، أمّا الفعل الإنجازي / القضوي هو (الوعد) من قبل المتكلمين بدليل الأفعال التي يكون القصد منها الوعد هي (نفني ونفتدي)، وهي يمكن أن تندرج تحت صنف (التعبيريات) التي سنفصل الحديث عنها

[1] عيد الغدير :١٥٦.

عنها؛ لأنها تعبر عن المشاعر التي يكنها أهل العراق للحسين (عليه السلام)، فالقصد منها الوعد هي (نفني ونفتدي) .

يستفيض بولس سلامة في الحديث عن وصفِ أحد أحداث كربلاء قائِلاً في ذلك :

قال : يا قومُ لم أجئكُم عدواً بل أميراً دَعوتموه فَسارا

وذكرتم حق الحسين فقلتم إنه الضوء بل ينير النهارا

وشكوتم حكامكم ونويتم أن تبيدوا الغواشم الفجَّارا

وقلتم يا حسينُ أقدم فإنا قد شحطنا للظالم البتَّارا

قد خذلتم أبي، وغيل ابن عمي فنقضتم مودَّةً وجوارا

كُنتمُ للظلومِ خيرَ المطايا وعلينا أشرعتمُ الأظفارا

إن كرهتم إمامتي فدعوني أسلك البر أو أخوض البحارا[1]

يُوضّحُ الشاعر بوساطة هذه الأبيات لسان حال الإمام الحسين (عليه السلام) وهو يخاطب الجيوش المعارضة بقيادة ابن زياد خطاباً شديداً، بعد أن فرضوا الحصار على قافلة الإمام (عليه السلام)، قاطعين عليهم مصدر شربة الماء، فاقدم إليهم معاديا لهم، فأتى بصحبة الأطفال والنساء بناءً على طلبهم، ورغبتهم بمبايعة الحسين (عليه السلام)، بعد أن أرسلوا إليه كمّاً هائلاً من الرسائل التي يطلبون فيها قدومه، وأنهم قد ضاقوا ذرعاً من حكّامهم الطَّاغين، وأنهم ليبذلوا دِمَاءهم وأرواحهم وأولادهم في سبيل نصرة سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لكنهم قاموا بإنكار الأعمال وجحدها، فرد (عليه السلام) عليهم أن لو

[1] عيد الغدير :١٨٥.

رفضوا مبايعته عليهم أن ينهوا الحصار الذي فرضه ابن زياد وأعوانه، إمّا أن يعودَ لحكمه بعد أن رُفضت مُبايعتهم أو أن يرفعوا حصار الماء عنهم[1] .

إنَّ مضمون هذا الخطاب يمكن أن يندرج تحت صنّف (الإخباريات) إذ إنه يخبر عن حدث قد تم وترك أثراً في نفس السامع، وبوساطة خطابه (عليه السلام) يتضح لدى المتلقي حالة الإنكار والتناقض . إنَّ قوله: لم أجئكم عدواً، فعلٌ كلاميٌ إخباريٌ مباشرٌ، الغرض الإنجازي له هو (النفي)، ويُعدّ إحدى الآليات اللُّغوية في العملية التواصلية، ويتضمن هذا النّص أفعالاً كلامية إنجازية ماضية هي (ذكر، شكى، قال، ونوى، شحط ، خذل، ونقض، كان، اشرع، كره)، وغرضها الإنجازي (التقرير)، والأفعال المضارعة (ينير، تبيد، أسلك، أخوض) هي أفعال كلامية، ولا ننسى أن الفعل اللفظي حمل دلالة النداء متمثلة في قوله (عليه السلام) : يا قوم وهو فعل إنجازي مباشر لفظه يدلُّ على (التنبيه والتذكير)، من ذلك نستنتج أن الغرض الإنجازي لهذه الأفعال التقرير والتثبت فضلاً عن ذلك مطابقتها للعالم الخارجي؛ إذ إنه (عليه السلام) أراد إرسال رسالة عن طريق عرض ووصف القضية .

فالمتمعن في الخطابِ السابق يجد أن الحسين (عليه السلام) يوجه خطابه بصورة مباشرة إلى جيوش ابن زياد، فإنجازية الفعل الكلامي تكمن في (التقرير)، والفعل القضوي يتمثلُ في موقف الإمام الحسين (عليه السلام) من جيوش ابن زياد وتذكيرهم بأفعالهم وحالة النفاق التي هم عليها، فالخطاب على ما يبدو واضح من دون غموض فيه واستعمال اللُّغة الحقيقية من قبل المتكلم، وهذا أن دلَّ على شيءٍ فإنه يدلُّ على مطابقة الكلمات للعالم الخارجي، وذلك عندما راح (عليه السلام) يذكرهم عندما طلبوا منه القدوم فذكرهم بخذلان أبيه وقتل ابن عمه... الخ .

---

[1] يُنظر: عيد الغدير :١٨٢.

يصف بولس سلامة بعض الحقائق التي جرت في (غزوة الرمل) فيقول:

هكذا قال أحمد : وعلي قد اعدّ الخطَّاف للأعمارِ

ركَّب النصل في الرديني عَسَّالا كعسلِ الشراع فوق الصاري

واعتلى الأشقر الذي تركك الأفراس خلف الهباء في المضمارِ

سَائِراً بالوعورِ في الجيشِ ليلاً كامناً في النهارِ عبر القفار[1]

أورد الشاعر في هذا النّص الشعري ما أخبر به الرسول (ﷺ) أثناء (غزوة الرمل)عن الإمام علي (عليه السلام) الذي قد أعد سيفه وسله واصفاً إيّاه (بخاطف الأعمار) ،فتلاحم مقبض سيفه مع نصله يصفه كموضع الشراع على صاري السفينة في شموخه، فامتطى جواده العربي الأصيل سائراً بالطريق الوعر، قائداً لجيوشِ المسلمينَ ليلاً، وفي النهار عبر الصحاري الخاوية. إنَّ التأكيد من وجهة نظر التداولية هو فعل كلامي كثير الورود في لغة التواصل اليومية وليس فقط وظيفة نحوية محدودة، وهو فعل كلامي مندرج تحت صنف التقريريات[2]، وقد تجسد في(قد اعدّ)، وهو تأكيد بـ (قد) التحقيقية[3]. أمّا من الناحية النحوية، فهو تثبيت الشيء في النفس، وتقوية أمره ، والغرض منه إزالة ما علق في نفس المخاطب من شكوك [4]. إنّ اللُّغة المستعملة في هذا الحوار جاءت بتعابير حقيقية وهذا يَعد مطلباً أو شرطاً لكي يتحقق القصد في النّصِّ التداولي لوضوح العلاقة التواصلية بين المتكلم والمتلقي ولنحصل على دلالة النّص عند تحقيق الوضوح والصدق في وصف هذه الحادثة أو غيرها، فالفعل يتمثل في البنية التركيبة للجملة (للنص) وذلك بوساطة الأفعال الماضية المضعفة، وهذه الأفعال تَدلّ على التأكيد، وهي (أعدّ، ركَّب)، فالتأكيد جاء

---

[1] عيد الغدير :٦٧.

[2] يُنظر: التداولية عند العلماء العرب : مسعود صحراوي : ٢٠٧، ٢٠٦.

[3] يُنظر: المصدر نفسه : ٢١١.

[4] يُنظر: في النحو العربي نقد وتوجيه : مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي بيروت . لبنان،ط٢، ١٩٨٦ : ٢٣٤.

بالتضعيف، وذلك لإثبات الحقيقة وتأكيدها في ذهن المتلقي، وتكون دلالة هذه الأفعال على وقوع حدث في زمان ماض حيث إنّ وقوع هذه الأفعال في النّصّ الشعري هنا أمر محقق[1]، فالفعل القضوي يكمن في وصف شجاعة الإمام (عليه السلام). فالقوة الإنجازية الحرفية للخطاب هي التأكيد أو التقرير .

ثانياً : التَوجيهيَّات أو الطَلَبيَّات (Directives): وغَرضها مُحاولة جَعل المُخاطب يَقومُ بعملٍ ما، ورغبة المتكلِّم في تحقيق وضع في المستقبل يكونُ فيه العالم الخارجي مُطابقا لكلماته. ولا يحوي هذا الصنف أفعالاً مثل (يَأمر) و(يَطلبُ) و(حسب)، ولكنه يشمل أيضاً أفعالاً مثل (يدعو إلى) و(ويتحدى)[2] .

يتضمن الخطاب الشعري في (عيد الغدير) كثيراً من الأفعال التي تندرج ضمن صنف الطلبيات، ويمكن أن يطلق عليها تسمية الأبعاد التداولية ويمكن إجمالها على النحو الآتي :

أ. البعد التداولي للاستفهام :

الاستفهام : هو طَلَب الإفهامِ والاسْتِفْسَارِ لِمَعرِفَة شيءٍ مجهول لَدَى المُستَفهِم أو السَّائِل، ويتمُ بوساطة هذه الأدوات (الهمزة، مَا، مَنْ، مَتَى، أيْنَ، كَيْفَ، كَمْ، أَيّ، أيَّان ، أنَّى)، والفائدة منه هي الاستِفسَار عن شيء مجهول للسائل ويحتاج إلى جواب، هذا هو الاستفهام الحقيقي، والغاية منه توجيه المخاطب بشكل مُباشر، وقد يخرجُ عن هذه المعاني الأصلية؛ لمقاصد أُخر بحسب السياقات المختلفة أو القرائن ليعطي معاني غير مباشرة تُفهم بوساطة السياق في النصوص اللُّغوية والأدبية، وهذه المعاني هي (الإنكار، التوبيخ، التقرير، التعجب ،التعظيم، التنبيه، النهي، الإسترشاد

[1] يُنظر: المصدر نفسه :١٥٥.

[2] يُنظر: نظرية الفعل الكلامي هشام عبد الله الخليفة :١٢٥.

، الترجي ، التهديد ، التهكم ، السخرية ، التحقير والاستهانة ، الامر والدعاء...[١])، وهذه المعاني يطلق عليها (أفعال الكلام غير المباشرة) في وجهة نظر التداوليّين، وبوساطة هذه المقاصد (الثانوية)، تكون للمتكلِّم رغبة في الكشف عن نواياه للمخاطب [٢] .

" والذي ذهب إليه سيرل : إنّ القائل متى أراد بالضبط وبصفة حرفية ما قاله كان العمل المتحقق مباشراً؛ أنه على خلاف ذلك إذا أراد ما يفهم من ظاهر اللفظ وبلغ أكثر مما قال وسُمِعَ كان العمل اللغوي المتحقق غير مباشر"[٣]. ويَرى الدَّارسون أنَّ الاستفهام " استعمال الإسئلة من الآليات اللُّغويّة التوجيهيّة، بوصفها توجه المرسُل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها، ومن ثمّ، فإن المرسِل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث، بل وللسيطرة على ذهن المرسل إليه ، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسل، لا حسب ما يريده الآخرون، وتُعدّ الإسئلة المغلقة من أهم الأدوات اللغوية لاستراتيجية التوجيه "[٤].

ومن النماذج التي عبر فيها بولس سلامة بوساطة هذه الاستراتيجية التوجيهية (الاستفهام بالهمزة) عن وصف حال الكوفة، والمتأمل في ملحمة (عيد الغدير) يجد العديد من الشواهد الشعرية التي تحمل الكثير من الأفعال الكلامية التي تنجز أغراضاً أُخر غير الدلالة الحرفية (الأساسية) التي يتضمنها الفعل يقول الشاعر:

إن نـخنه فلتفتح الأرض فـاها وليـغر فـي الـفجـاج مـاء الـفـرات

---

[١] يُنظر: الكافي في البلاغة البيان والبديع والمعاني : أيمن أمين عبد الغني، القاهرة ، دار التوفيقية للتراث، ٣٤٠،٣٤١. ويُنظر: المعجم المفصل في الإعراب : طاهر يوسف الخطيب، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط٤، ٢٠٠٧: ٤١.

[٢] يُنظر: التداولية أصولها واتجاهاتها : جواد ختام: ٩٣.

[٣] التداولية اليوم علم جديد في التواصل : آن روبول ، وجاك موشلار، ترجمة : سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني: ٢٦٨.

[٤] استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) : عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت ـ لبنان ، ط١، ٢٠٠٤: ٣٥٢.

ولـتمـزق أعـراضـنا كـفّ بـاغٍ أَطـلقـت فـي نـسائـنا الخـدرات
نـخـرب الـكـوفـة الـعـظـيـمـة حـتـى لـيـقـولـون فـي الـزمـان الآتـي
أو كـانـت تـلـك الـمـديـنـة ؟ أم أسـط ـورة الـوهـم فـي خـيـال الـرواة ؟[1]

تُجسّد هذه الأبيات نظرة كلام أهل الكوفة عن أنفسهم في حال لو خانوا الإمام الحسين (عليه السلام)، خاصة بعد المُبايعة الكاذبة من قبل عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل بعد أن قام عبيد بإغراء بعض أهل الكوفة ببضع دراهم وتخويفهم إلا يبايعوا وينصروا الإمام الحسين (عليه السلام).

يحمل هذا البيت دلالة حرفية مباشرة متمثلة في القول (أو كانت) وهي همزة الاستفهام، والتي دلت عليها القرينة (أم المعادلة) إلى جانب الفعل الإنجازي غير المباشر الذي يُفهم من سياق الكلام وهو(التعجب)، حيث إنّ المتكلّم (المرسل) متعجب من الدمار الذي حلّ بالكوفة، ويمكن أن يكون له فعل إنجازي آخر غير مصرح به هو (التحسر) لحال هذه المدينة .

إنّ الفعل اللفظي يتمثل : أو كانت، والفعل القضوي : بيان حال ما جرى للكوفة، والفعل الإنجازي يحمل قوتين، إنجازية مباشرة مُتمثلة في السؤال (الاستعلام) وإنجازية غير مباشرة متمثلة في التعجب والتحسر.

واستعمل الشاعر أيضاً هذا الأسلوب (الاستفهام بالهمزة) ليصور الحوار بين الإمام علي (عليه السلام) ، وبين معاوية في موقعة (صفين) يقول في ذلك :

لـو سـبـقـنـاك لـم نـحـلْ بـيـن مـاء وشـفـاهٍ لـهـابـة يـلـتَـظـيـنـا
أتـراه يـمـوت ظـمـئـاً ؟ ومـاء الـنـهـر يـروي سـبـا سـبـا[2] **وحـزونـا** [3]

---

[1] عيد الغدير :١٦٠.

[2] السباسب : المَفازَة، والقَفْر، الأَرضُ المُسْتَوِية البعيدة وقيل : مستوية و غير مستوية، غليظة وغير غليضة ، لا ماء فيها ولا أنيس، ويوم السبَّاسِب، عيدٌ للنصارى ولها معاني مختلفة ... ، يُنظر : لسان العرب : مادة (سبسب) :١/٤٦٠. حزونا : ما غُلظ من الأرض : يُنظر: نفسه : مادة (حزن):١٣/ ١١٢.

[3] عيد الغدير : ١١٨.

محور القضية هنا، إنَّ اتباع معاوية قاموا بفرض الحصار على الماء ومنع جيشه (عليه السلام) من الوصول إليه ، فرد (عليه السلام) عليهم : إنَّ الماء للخالق، وإنهم ما جاءوا من أجل شربة الماء، وانّما لأجل قضية ما، ويخاطبه (عليه السلام) أن لو وصلنا إلى شربة الماء قبلهم ما قطعوه عليهم ؛ بحكم السجايا المغروسة فيه (عليه السلام) [1] .

واستناداً على ذلك نوضح ما ذكره الدينوري قائلاً :" منع معاوية الماء من أصحاب علي قال: وذكروا أنه لما نزل معاوية بصفين، بعث أبا الأعور بمن معه، ليحولوا بينهم وبين الفرات، وأن أهل العراق لما نزلوا بعثوا غلمانهم ليستقوا لهم من الفرات، فحالت خيل معاوية بينهم وبين الماء، فانصرفوا، فساروا إلى علي، فأخبروه فقال علي للأشعث: اذهب إلى معاوية، فقل له: إن الذي جئنا له غير الماء، ولو سبقناك إليه لم نحل بينك وبينه، فإن شئت خليت عن الماء، وإن شئت تناجزنا عليه وتركنا ما جئنا له" [2] .

الفعل اللفظي : أتراه يموت ؟ والفعل القضوي : النبل والأخلاق التي يتحلى بها جيشه (عليه السلام) على العكس من معاوية وجيشه حيث يتصفون بالخبث والقطيعة والحقد، المحتوى القضوي : إعلام الإمام علي (عليه السلام) معاوية بأنَّ الجيش لم ولن يموت في حال إذا قُطِع الماء عليه، والفعل الإنجازي، القوة الإنجازية المباشرة له هي السؤال، والإنجازية غير المباشرة هي دلالته على الاستنكار بدليل تأويل القول كيف تمنعه عن الانسان وهو يروي جميع الاراضي. والفعل التأثيري : ردة فعل المتكلم على المخاطب باللامبالاة لما يفعله المخاطب .

إنَّ القول : (أتراه ؟) ظاهره استفهام بـ (الهمزة)، وهو الدلالة الحرفية المباشرة للاستفهام، إما مضمون القول (اللفظ)هو الاستنكار، بدلالة أنّ المتكلم يذكر القرينة على ذلك (وماء النهر يروي سباسبا وحزونا) . وعليه أنّ القوةَ الإنجازية الحرفية

---

(1) يُنظر : عيد الغدير الهامش :١١٦.
(2) الامامة والسياسة : ابن قتيبة الدينوري، تحقيق : محمد طه الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع ١: ٩٤.

مؤشر لها بأداة الاستفهام هنا بـ (الهمزة)، وينتج معناها الصريح من ضمَّ محتواها القضوي إلى قوتها الإنجازية الحرفية[١] .

كثّف بولس سلامة من الأقوال الإستفهامية (التوجيهية)، واستعمل أدوات الإستفهام المختلفة في هذا الخطاب الشعري، فالفعل الكلامي يحمل قوة إنجازية حرفية مباشرة تدل على الأستفهام، وقوة إنجازية أخرى تدلُّ على غرض إنجازي له معنى مختلف عن سابقه بحكم السياق الذي ترد فيه هذه الأداة فيقول :

قال : يـا صحب أحمد هل نسيتم في (الحديبية) الوثاق العهودا

أين أنتم أنصار طه وشـــوس الخزرجيين يقنصون الفهـــودا[٢]

في هذا الخطاب يوجه النداء العباس وهو ـ لإصحاب الرسول (ﷺ) بعد أن حلت الهزيمة بالمسلمين في واقعة (حُنيَن) ـ يذكرهم بالعهد الذي قطعوه للرسول مُحمَّد (ﷺ) ، ويناديهم : يا أصحاب بيعة الشجرة ، يا أصحاب سورة البقرة إلى أين تفرون ؟ بعد سماع النداء إلتف جماعة من المسلمين الذين هموا بالهرب من ساحة القتال، ورجعوا إلى الرسول(ﷺ) وحاربوا ببسالة وظفروا بالقتال، ويتساءل العباس بلهجة العتاب أنصاره بعد فرارهم من أرض معركة حُنيْن، ويناديهم أن يعودوا أدراجهم، ويذودوا عن الأطفال والنساء، وكان نداؤه (العباس) مُزلزلاً لقلوبهم وضمائرهم، فعاد من عاد، وقاوموا بدمائهم، وظفروا بالقتال[٣] .

يحمل هذا الخطاب أفعالاً كلامية، فالفعل القولي (اللفظي): يا صحب، و هل نسيتم ؟ وأين أنتم ؟ الفعل القضوي : مخاطبة أصحاب طه من قبل العباس في واقعة حنين يذكرهم بالوعود التي قطعوها، والفعل الإنجازي : القوة الإنجازية المباشرة هي (السؤال)، والقوة الإنجازية غير المباشرة هي (التذكير والتنبيه) أما الفعل التأثيري لهذا

---

[١] يُنظر: التداولية عند العلماء العرب : مسعود صحراوي :٣٥.

[٢] عيد الغدير :٧٣.

[٣] يُنظر: عيد الغدير :٧٠.

الخطاب فقد يكون قد أثر هذا التوجيه ببعض المخاطبين، وأن الدلالة الحرفية للفعل الكلامي قد تمت بوساطة حرف النداء (يا) وحرفي الاستفهام (هل) و(أين)، أمّا الفعل الكلامي غير المُباشر (الغرض الإنجازي غير المُباشر)، فيتمثل في تنبيه المتكلّم ـ العباس ـ للمتلقي ـ انصار طه ؛ لغرض التأثير في السامع (المتلقي) . إنّ للاستفهام وظيفة تداولية تتمثل في التوجيه أو الطلب من قبل المتكلّم، إذن الغرض الإنجازي غير المُباشر في هذا الخطاب الشعري هو (التذكير والتنبيه) .

ووظف بولس سلامة أداة الاستفهام (متى) في هذا البيت يقول :

لا لمجد يريدها أو جهادٍ فمتى كان من غواة الرماح [1]

يجسّد الشاعر بوساطة هذا البيت الصورة الكاملة ليزيد بن معاوية، فبعد أن قام معاوية بفتح حملة عسكرية إلى بلاد الروم آمراً يزيد أن يتولى قيادتها، لكن يزيد كان متهرباً منغمساً في الملذات، فتهاوى جيشهم، وأصابهم المرض، والجوع الشديد، فألح معاوية عليه، فأرسل يزيد في حملة ثانية شارك فيها حتى الإمام الحسين (عليه السلام) ، وخلال هذه الفترة تعرف الحسين (عليه السلام) على جوهر يزيد الحقيقي . وكانت كلما أتيحت له فرصة أنشق ثم طغى، فكان بعيداً كل البعد عن أهداف مجدهم وجهادهم[2].

الفعل اللفظي : متى كان ؟، والفعل القضوي : إخبار المتلقي بأن يزيد بن معاوية يتصف بالهوان وشرب الخمر فلا داعي لركوب الخيل؛ لأنّ من صفات الفارس أن يكون شجاعاً متزناً، والفعل الإنجازي : القوة الإنجازية المباشرة تتمثل في السؤال، والقوة الإنجازية غير المباشرة تتمثل في التهكم والسخرية والذم والتحقير أي التقليل من شأنه .

ونرى الشاعر يتساءل عن أي ذنب أقترفه عبد الله بن الحسين (عليهما السلام) ليتم نحره على يد الشمر ناعياً اباه الحسين في هذا البيت :

---

[1] عيد الغدير :١٥٠.

[2] يُنظر: عيد الغدير : ١٤٩، ١٥ الهامش.

أي ثأرٍ لعقربٍ أو لرقطاء تجيءُ الوليد في الغفوات[1]

إنّ الفعل اللفظي يحمل صيغة الاستفهام (أي)، فالفعل القضوي هو احتجاج المتكلم على طريقة نحر عبد الله الرضيع (عليه السلام) بهذه الوحشية والعدوانية، وأما الفعل الانجازي أي المحتوى القضوي للفعل الكلامي هو تعجب الشاعر من فعلهم الشنيع

استناداً إلى ما سبق قد تتحدد إنجازية الفعل الكلامي في إطار الظروف والملابسات ـ تشكل المعنى المقامي ـ التي يتم فيها الحدث اللُّغوي، بحيث إذا لم تتوفر تلك الظروف والملابسات كانت الجملة غير مطابقة لمقتضى الحال، ومن ثم لا يكون الفعل الكلامي إنجازيا[2] .

ب ـ البعد التداولي للأمر:

عرّف البلاغيون الأمر بأنّه : طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ، وله صيغ أربع تتمثل في : (فعل الأمر ، المضارع المقترن بلام الأمر ، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر) . وقد يخرج هذا الأسلوب عن الغرض الأصلي، لمقاصد أخرى حسب السياقات المختلفة التي ترد فيها الأقوال [3] ،ويرى العلماء أن للأمر حرفاً واحداً هو اللام الجازمة الداخلة على الفعل المضارع[4]. والأمر من وجهة النظر التداولية هو فعل كلامي إنجازي وليس له وظيفة نحوية أو إبلاغية بحسب بل صنف الكثير من المحدثين الأمر على أنّه جزء الأفعال التوجيهيّة ومنهم سيرل وباخ وبراون وليفنسون. وتناول الدارسون كيف يعدّ الخطاب أمراً، وكيف يخرج عن ذلك إلى مقاصد أخرى، وشروط إجرائه على أصله، وخروج دلالته عن ذلك الأصل .

---

[1] عيد الغدير : ١٨٩.

[2] يُنظر: لغة الحكم القضائي (دراسة تركيبية دلالية) : سعيد أحمد بيومي، مكتبة الاداب . القاهرة ، ٢٠٠٧: ١٧٦.

[3] البلاغة العربية في ثوبها الجديد : بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان ، ٦٩/١ .

[4] يُنظر: التداولية عند العلماء العرب : مسعود صحراوي : ١١٠.

ويرجع سبب ذلك الاختلاف إلى تعدد الخلفيات الثقافية التي تقف وراء كل من يتناول الأمر بالتعريف أو التحديد[١] . وهناك قواعد مرتبطة بفعل الأمر وهي على نمطين :

* قواعد لسانية : وذلك أن يكون الفعل تاماً، أي حاملاً لخبر تام، فإن فعلاً مثل (إقرأ)، غير تام؛ لأنّه تنقصه مكملة كي تتم فائدته .

* قواعد تداولية : وهي ترتبط بوضعية المتخاطبين :

– إنّ يتوفر شرط الاستعلاء والسلطة: على الأمر أن يكون في مرتبة أعلى من مرتبة المأمور .

– إنّ يتوفر شرط القدرة : على الآمر أن يكون قادراً على إصدار الأمر .

– الإرادة : إرادة المتكلم في إصدار الأمر، ثم الاقتناع أو القصد [٢] .

ولقد ورد الأمر في هذا الخطاب يقول بولس سلامة :

فاتركْ البصرة الوفيَّة واقصدْ حيثُ ضلَّت رَعِيتي ورعاتي

واقلبْ الأرضَ باحثاً عن عدوٍّ بعث الفسأل [٣] في صدور عداتي

بعْثرِ الأرض والبيوت ، وتحت الأرض حتى مرافق الدارات [٤]

فالخطاب هنا يدور بين يزيد بن معاوية، والنعمان بن بشير الذي كان والياً على الكوفة بأمر يزيد، فمحور القضية، أَن موقف النعمان بن بشير لم يكن معارضاً أو موالياً لمبايعة الإمام الحسين (عليه السلام) على يد مسلم بن عقيل، فأثار هذا الأمر سخط يزيد بن معاوية، فقام باقصائه فاستدعى عبيد الله بن زياد من البصرة وأمره أن يتولى

---

[١] يُنظر: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) : عبد الهادي بن ظافر الشهري : ٣٤٠.

[٢] يُنظر: تحليل الخطاب المسرحي (في ضوء النظرية التداولية) : عمر بالخير، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة تيزي وزو ،ط ٢: ١٧٠.

[٣] الفسأل : الرجل الاحمق ، والشيء المرذول والمزيف ، والفساد ، وسحالة الحديد ... الخ ، يُنظر : لسان العرب مادة (فسل) ١٠/ ٢٦٤.

[٤] عيد الغدير :١٦٠.

زمام الأمور في الكوفة (يزيد قال لابن زياد : أن يغادر البصرة إلى الكوفة؛ لأن النعمان أهمل أمر ابن عقيل الذي من الممكن ان يدمر ولاية يزيد) ، ويوجه يزيدُ ابن معاوية ابنَ زيادٍ، ويأمره أن يقوم بتمشيط الأرض باحثا عن مسلم بن عقيل [١].

إنّ الفعل اللفظي يتمثل في : أتركْ، أقصدْ، أقلب، فإن صيغة فعل الأمر في هذه الأقوال يؤدي مباشرة على معنى الأمر، والدليل على ذلك توفر عنصر الرتبة (العلو) أي أن القوة الإنجازية ترتقي إلى الأمر الحقيقي؛ إذ إنه صادر من حاكم الدولة الأموية (المتكلم) يزيد بن معاوية إلى أدنى مرتبة في الحكم عبيد الله بن زياد (المتلقي) ويوظف بولس سلامة الأمر في هذا البيت :

ربـي ارحـم عـبيدك الـيوم واعـطف واسـتـجـبـنـا بـديـمة[٢] وطـفـاء[٣]

في هذا الخطاب يتوجه عبد المطلب ـ جد الرسول(ﷺ) ـ بالتوسل والتضرع إلى الله (ﷻ) أن يمن على عباد الله في يوم الاستسقاء بالرحمة والعطف واستجابة الدعاء ونزول المطر. أن الفعل اللفظي : ارحمْ ، اعطفْ ، استجبْ ، هي أفعال أمر جاءت بصيغة الأمر، أما المعنى الحرفي هو الأمر، وأما المقصد الأساسي هو (الدعاء والرجاء والتضرع لله سبحانه وتعالى) أي الفعل المتضمن في القول هو الدعاء، فالفعل الكلامي هنا مباشر المباشر إنَّ (الفعل المتضمن في القول)،هو(الدعاء). ويبدو من هذا البيت أن المسوغ الذي دفع نحو استعمال فعل كلامي هو وجود مبدأ التأدب في الخطاب من قبل المتكلم [٤] .

استعان بولس سلامة بصيغة الأمر؛ ليؤدي القصد الذي يهدف إليه المتكلم، عن لسان أصحاب الإمام علي (عليه السلام) يقول في أمر الخلافة :

---

[١] يُنظر: م ن ١٥٨.

[٢] الدِّيمة : مطر مع سكون ، وقيل الديمة من المطر الذي لا رَعْدَ فيه ولا بَرْقَ تَدُوم يَوْمها ، يُنظر : لسان العرب مادة (دوم) :٤/ ٤٤٦.

[٣] عيد الغدير : ٢٠.

[٤] يُنظر: في البراجماتية (الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة) :١٣٤.

إتـقِ الله، يـا حبـيـبَ رسـولِ الله، قـالوا، فـالخـطب عـمّ وكـــادا

قـال: فـي مسـجـدِ الـرسـولِ أولـىَّ فـألاقـي مـن جُـدرهِ أ شـــهـــادا[1]

في هذا الخطاب توجه جماعة من المسلمين يطلبون منه (عليه السلام) أن يعيد النظر في مسألة الخلافة، ويوافق عليها، لكنه أبى ذلك، وفضّل أن يكونَ الاجتماع في المسجد النبوي مع بقية الخلفاء؛ لنبذ الخلاف، ولينتزع بذرة الشك، ويقضي على جذور الضغينة . الفعل اللفظي يتجسد في فعل الامر:(اتقِ الله)، والفعل القضوي يتمثل في تأني الإمام (عليه السلام) في أمر الخلافة لأجل المشاورة في مسجد الرسول، فالفعل المتضمن في القول أي المحتوى القضوي هو أن الخطاب موجه بصورة مباشرة للإمام (عليه السلام) من قبل المتكلم لغرض مؤازرة المسلمين له وتأيده بدليل القول : (الامر تم وحسمت القضية)؛ لأنّه هو أحق بها من غيره ولتوافر فيه جميع صفات الخليفة العادل والناصح والموجه للخير، ويلحظ في هذا الخطاب توفر شرط الإخلاص، والقصد واضح على ما يبدو بوساطة الطلب الموجه من المتكلم للسامع لذا فإن الفعل كلامي مباشر.

ويبين بولس سلامة حالة الندم والتحسر للحر الرياحي[2] مبيناً لسان حاله يقول :

ردنـــي الله لـلـهـدى بـعـد غـيّ وأرانـي وقـد مـزقـت الـحـجـابـا

سـقـتكـم لـلـعـراء لـلـفـدفـد الـمـغـمـ ور، ظُـلـمـاً وفـرِيـة واغـتـصـابـا

فـأطـعـت الـمـنـافـق ابـن زيـادٍ وسـقـيـت الـحـسـيـن مـرّاً وصـابـا

ضـلَّ سـمـعـي عن الـهـــزار الـــمغني أو تـعـاميت فـاتـبـعت الـــغـــرابا

---

[1] عيد الغدير : ١٠٥

[2] الحر الرياحي : هو أحد رؤساء أهل الكوفة، وهو من أصحاب الإمام الحسين، حيث كان معادياً للإمام الحسين (عليه السلام) في بداية الامر وكان مساندا لعبيد الله بن زياد ورافق الإمام (عليه السلام) في جولاته للظفر به عدة مرات، يُنظر: أعيان الشيعة : محسن الأمين: ٤ /٦١٢.

يـا ابـن بـنـت رسـول الله عفوك عني خضَّل الـدمـع لـحيـتي والـثيـابـا[1]

الناظر في هذا النص يجد أن الحوار يجري بين الحر الرياحي و الإمام الحسين (عليه السلام) في ظل ظروف وسياقات واضحة قبيل أحداث معركة الطف تقريبا، يتوجه الحر مترجياً الإمام (عليه السلام) وطالباً منه أن يعفو عليه جراء ما فعله به، ويلحظ من هذا ظهور علامات الضعف على الرياحي فهو يتوسل بالحسين أن يعفو عليه مبينا الندم عليه، واستناداً إلى ذلك ما ذكرته بعض المصادر معلنا توبته :" الله إليك أنيب فتبْ علي فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيك ... وقال جعلني الله فداك يا ابن رسول الله ! أنا صاحبك الذي حسبتك عن الرجوع وسايرتك في الطريق وجعجعت بك في هذا المكان !" [2] .

الفعل اللفظي يكون في إحدى صيغ الأمر، وهي (المصدر النائب عن فعل الامر) أعفو، والفعل القضوي هو حالة الحر الرياحي (رضوان الله عليه) مترجياً الإمام الحسين (عليه السلام)، والفعل الإنجازي (الترجي)، والفعل التأثيري هو الطلب من المخاطب أن يرضى عنه، فضلاً عن ذلك أن اللُّغة المستعملة من قبل المتكلم واضحة والقصد بيّن وشرط الإخلاص موجود بالفعل وهو توجه المتكلم إلى السامع بالطلب .

وكذلك من معاني الأمر ما ذكره بولس سلامة واصفاً شعور ابن زياد و جلاء علامات الفرح عليه يقول:

خـطبـةُ الـحمدِ قـامَ يَـتلـو عـبيـ ـد الله شـكـراً لـلـخَـالِقِ الـجـوّاد

فَـيُصْلّي عـلـى الـرسُـولِ يـهـنَّـيـ ـه بـقـتـلِ الأكـــــارم الأولاد

---

[1] عيد الغدير : ١٩٦.

[2] يُنظر : اعيان الشيعة : محسن الأمين : ٦١٣/٤ .

قال: فلترقص الحواضر بشراً ولـيعمَّ السرور أهل السـواد [1]

في هذا النص يصف الشاعر ابن زياد وحالة الفرح التي بدت عليه حيث نراه يشكر الله ويصلي على الرسول ويخبر ابن زياد بقتل الإمام الحسين (عليه السلام) بعد أن قتل مسلم بن عقيل، وذلك حين طيف برأسه الشريف في الكوفة موجهاً خطابه إلى أهل الكوفة يدعوهم إلى الفرح مظهراً تشمته بأهل البيت (عليهم السلام)، وكان ذلك بعد أن أقبلت السيدة زينب (عليها السلام) على ابن زياد مظهرا لها الشماتة، قائلاً : الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم فأجابته وأخرسته ... فقالت : الحمد الله الذي أكرمنا بنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) وطهرنا من الرجس ... [2] .

والذي يلحظ في هذا النص أن السياق التواصلي بين المتكلم والمتلقي واضح جداً، والذي لا شك فيه أن الخطاب موجه بشكل مباشر إلى السامع وأن المتلقي يكون فاهماً ماذا يقصد به المتكلم بوساطة طلب موجه من ابن زياد يدعو الناس إلى الابتهاج والسرور لقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، ويتحقق ذلك من خلال الفعل اللفظي والذي جيء بصيغة (لام الأمر والفعل المضارع)، والفعل القضوي تشمت عبيد الله بن زياد بالحسين وأهل بيته (عليهم السلام)، والفعل الإنجازي هو أمر ابن زياد الناس بالفرح والسرور، أما الفعل التأثيري ما تمثله حالة السعادة للمتكلم وإعلانه البشرى للحاضرين. ولا بد من التذكير بالشروط التي يضعها سيرل لغرض جعل النص تداوليا والتي هي (الإخلاص والمطابقة للواقع والوضوح)، هذه الشروط تساعد على إنجاز فعل كلامي، والذين لحظ ههنا أنها متحققة في النّصِّ من خلال التعبير الصادق للمتكلم وإظهار مشاعره ونواياه، وصدق الواقعة مقتل الإمام الحسين(عليه السلام) والمطابقة، وذلك ما يدعو ويحث عليه المتكلم للاستجابة لاقواله.

---

[1] عيد الغدير :٢١٥.

[2] يُنظر : اعيان الشيعة : محسن الأمين : ١/ ٦١٤.

ج – البعد التداولي للنداء :

ويُعدّه أهل النحو : تنبيه المخاطب لِيقبل عليك أو هو طلب إقبال المدعو على الداعي بِأحد الحروف المخصوصة، والتي هي (الهمزة لنداء القريب، آ لنداء البعيد وهيا لنداء البعيد، أيا لنداء البعيد، وياء لنداء القريب)[١] ، وقد يخرج إلى أغراض مختلفة منها : (الإغراء والتحذير، الاستغاثة، الندبة، التعجب، الاختصاص، التحسر والتنبيه)[٢]، ويُعدّ النداء أحد الآليات التوجيهية؛ لأنه يحفز المرسل إليه (السامع) لردة فعل تجاه المرسل (المتكلم)، ويستعمله المرسل لينبه المرسل إليه [٣].

إنَّ المتأملَ للسياقات ـ التي يرد فيها الفعل الكلامي، وفي القرائن المحيطة بالتراكيب ـ يَجِدُ أن الفعل الكلامي في الخطاب الشعري غني بالدلالات والإيحاءات[٤].

ونرى بولس ذكر خطاب الإمام الحسين وهو يوجه رجاله ويحثهم على قتال الأعداء قائلاً بعد عودة الحر بن يزيد إلى صوابه :

يـا رجـال الـحـسيـن قـال حـسيـن ظـمـئ الـسيـف فـامـحضـوه الشـرابـا

لا تـهـيـنـوه بـالأطـاريـف يبريـــ ـــها، فـعـهـدي بـه يـحب الـرقابـا [٥]

إنَّ مضمون الخطاب هنا تنبيه وتوجيه فالمتكلم الإمام (الحسين) المخاطب (رجال الحسين)، فالفعل الكلامي هنا غير مباشر فالخطاب تخيلي بدليل القول : ظمئ

---

[١] يُنظر :أساليب الطّلب عند النحوين والبلاغيين : قيس اسماعيل الأوسي، رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٥٤ لسنة ١٩٨٨ :١١٧.

[٢] يُنظر: البلاغة والتطبيق ، أحمد مطلوب ، و حسن البصير ، ط٢ ، ١٩٩٩: ١٤٠، ١٤٢،١٤١.

[٣] يُنظر: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) : عبد الهادي بن ظافر الشهري :٣٦٠.

[٤] يُنظر: البعد التداولي للتوجيهيات في سورة يوسف : عبد الحكيم عبد الخالق الحسن ، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية ، العدد ٢٠ ، ٢٠١٩: ٤١.

[٥]) عيد الغدير : ١٩٥.

السيف فأمحضوه الشرابا، لا تهينوه بالأطاريف، فأن هذا القول توجيه، أما القول يا رجال الحسين تنبيه وهو جملة النداء.

وفي المضمون نفسه نرى الحوار دار بين الإمام الحسين (عليه السلام) والحر بن يزيد الرياحي قائلاً:

فـأجـاب الحـسـين يـا حـرّ لا تـجـ ـــزع فـإن الكـبـير يـنسـى العـتـابـا

نـحـن أهـل الـرسـول أورثـنا جـ ـــدّي صـدوراً علـى الخـطـوب رحـابـا [1]

إنَّ القول : يا حرّ، يُعدّ تنبيهاً، وأما القول : لا تجزع يُعدّ توجيهاً، وأما الفعل الكلامي مباشرٌ؛ فالقول موجه من الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الحرّ(رضوان الله عليه).

وفي هذا الخطاب الشعري الذي يضمنه الشاعر أسلوب النداء يقول :

يـا سلـيـلَ الـمطـيّـبـين جـدوداً يـفـضـحُ الـشمـسَ عـزّةً وانـتمـاءً

مـجـدكم صِـيَّـر الـنـبيل نبَـيلاً وحـبـاه من العُلى مـا شـاء[2]

والناظر في هذا الشاهد يرى أنَّ الشاعر يؤكد منزلة الإمام الحسين (عليه السلام)، وأجداده الأطهار، ويلفت الانتباه إلى عظم منزلته (عليه السلام)، وأجداده ونسله الأطهار فتتخلل شمس عزة انتمائهم قلوب أتباعهم، فيهديهم إلى صراط قويم . الفعل اللفظي يمثله القول : يا سليلَ، والفعل القضوي الإخبار عن وصف الإمام ونسله وذكر أجداده والتباهي والتفاخر بأهل بيته، أما الفعل الإنجازي / المحتوى القضوي هو التعظيم لشأن منزلة الإمام (عليه السلام) ، وأما الفعل التأثيري فإن شخصية الإمام (عليه السلام) أثرت تأثيراً إيجابياً في المجتمعات الاسلامية ومجد أهل بيته فقد أضاف هذا إلى المجتمع شيء من العلا والرفعة عن طريق تعلم أرقى الدروس والعبر من خلال

[1]) عيد الغدير :١٩٦.
[2] عيد الغدير: ٢٠٩.

رحلتهم، فالنداء (الخطاب) موجه في بداية الأمر لشخص بعينه، نرى أن الشاعر أشركه وأهل بيته في النداء بمجد أهل بيته . وتلجأ الخطابات ذات البعد الإقناعي إلى توظيف الأفعال الإنجازية الضمنية ـ أفعال الكلام غير المباشرة ـ لما لها من قدرة على العمل على المتلقي؛ لأنها تجعلهُ يعمل فكره للبحث عن المعاني المقصودة عبر سلسلة من التأويلات والاستدلالات اللُّغوية والسياقية والمقامية [١] .

وعن لسان حال الرسول (ﷺ) في يوم تتويج الإمام علي (عليه السلام) يقول بولس سلامة:

يـا إلـهـي مـن كنتُ مـولاه حقاً فـعـلـي مـولاه غـيـر نـكـيـــــــــــر

يا إلــهـي والِ الـذين يـوالـــــــ ن ابـن عـمـي وانـصـرْ حـلـيـف نـصـيـر [٢]

فالنداء موجه من الرسول (ﷺ) إلى الله (عزوجل) فيدعو الله أن ينصره (عليه السلام) ويعز من يعزه ويخذل من يخذله[٣]. والمتأمل في هذا النص الشعري يجد أن النص مقتبس من خطبة النبي لغرض تولية الإمام (عليه السلام) وهذا الحدث تم في يوم غدير خم ومن خطبته (ﷺ)قال : من كنت مولاه، فهذا علي مولاه، اللهمّ وال من ولاه، وعادِ من عاداه، وانصرْ من نصره، واخذلْ من خَذله ...[٤]، وبعد، فالفعل اللفظي تمثله الصيغ الحرفية فهي النداء والأمر متمثلة بـ (يا إلهي، والِ، وانصرْ)، فالفعل القضوي إعلان الولاية للإمام (عليه السلام)، والفعل الإنجازي يتمثل في الدعاء والترجي من قبل الرسول (ﷺ) إلى الله سبحانه وتعالى، والفعل الإنجازي(المتضمن في القول) هو الدعاء،

---

[١] يُنظر: آليات التحليل التداولي للخطاب (قضايا نظرية ونماذج تطبيقية) : راضية خفيف بوبكري ، مجلة التواصل والآداب ، المجلد ٤٢، ٤: ٢٠١٨: ١١٧.

[٢] عيد الغدير :٨١.

[٣] يُنظر: ملحمة عيد الغدير لبولس سلامة (دراسة بلاغية) : دعاء عدنان توفيق ، رسالة ماجستير ، ٢٠١٢ : ١٤٥.

[٤] يُنظر: نظرة إلى الغدير : علي أصغر المروّج الخرساني ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة ، ط١ : ١٤١٦: ٥٥.

ووفقا لشروط سيرل نجد هذه الشروط متحققة في الخطاب حيث الصدق في نقل الخبر والحادثة والمطابقة من الكلمات إلى الواقع الخارجي ووضوح القصد هذا الخطاب .

يصور بولس سلامة إحدى الحوادث التي جرت في كربلاء واصفاً مسيرة الإمام الحسين (عليه السلام) إلى العراق يقول:

يا ابنَ بنتِ الرسولِ قال : ألا ارجع أبتِ الريحُ أن تهبَّ شمالا

لك في الكوفة القلوب ولكن لست تلقى خلف القلوب رجالا[1]

لعل أهم ما يدور في هذا الحوار توجه الفرزدق وهو يطلب من الإمام الحسين (عليه السلام) بأن لا يذهب إلى كربلاء ؛ حيث الغدر المهيأ له في الكوفة، ويدعوه بعدم إكمال مسيرته؛ لأنّ الكوفة تعج بالمنافقين والجبناء الذين يكنون الحقد والبغض والكراهية لهُ (عليه السلام)[2]. والمتدبر في هذا الخطاب أعلاه يرى المتكلم (الفرزدق) يطلب من المتلقي أن يتأنى في الذهاب إلى الكوفة، حيثُ الغدر والخيانة المدبرة له، يخاطبه باسلوب (التأدب)، واستناداً إلى هذا المبدأ نلحظ أن اللُّغة ليست مجرّد أشكالٍ أو رموزٍ، أو نقل الأخبار أو تقديم الطلبات؛ بل هي فعلٌ اجتماعي أخلاقي يحمل من المقوّمات ما يضمن النجاح للتفاعل الكلامي، وبذلك تتحقق مختلف أصناف القوة الإنجازية[3]، الفعل اللفظي (يا ابنَ بنتِ الرسولِ)، والفعل القضوي طلب الفرزدق من الإمام (عليه السلام) عدم الذهاب إلى الكوفة حيث الغدر المهيأ له، والمحتوى القضوي النصح والرجاء من قبل الشاعر بدافع الخوف عليه من الأعداء علّه يتراجع عن الرحلة، والفعل التأثيري والذي يبدو من خلال الخطاب أن الإمام مصر على الذهاب إلى الكوفة .

---

[1] عيد الغدير : ١٧٩.

[2] يُنظر: ملحمة الغدير لبولس سلامة (دراسة بلاغية) : ١٥٥.

[3] يُنظر: تداولية مبدأ التأدبّ في إنجازية الفعل الكلامي : عبد الحليم بن عيسى، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية، العدد :١٠، جوان ٢٠١٩: ١٩٨.

إنَّ الفعل الكلامي هنا مباشر، فالقول : يا ابن بنتِ الرسول، تُعدّ تنبيه المخاطب الإمام الحسين (عليه السلام)، والقول : ألا أبتِ الريحُ يُعدّ توجيهاً وهو العرض .

ونرى الشاعر يذكر لحظة نزول الوحي قائلاً:

قال جبريل : يا محمد كبّر باسم رب ملء الوجود قدير [1]

فالفعل الكلامي مباشر؛ لأنه الخطاب واقعي حصل من قبل المتكلم الملك جبرائيل (عليه السلام) إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فالقول : يا محمد يعد نداء وهو يدل على التنبيه ، وأما القول : كبّر فهو توجيه من قبل المتكلم وهو أعلى رتبة .

يُبين بولس سلامة من خلالِ هذا البيت كمية الجرم الذي ارتكبته قطام بحق الإمام علي (عليه السلام) :

يا قطام الخنى[2]هدمت بناءً من لآلي الجنان في إحنائه[3]

يصف الشّاعر قطام الخارجية[4] بالعهر والفجور فقد قدّمت نفسها للباغي ابن ملجم مقابل عنق الإمام علي (عليه السلام)، فبهذه الفعلة الشنيعة، وبهذا الميثاق الآثم الذي تم بينهما قاما بقتل قطعة من الجنة على الأرض أَلا وهي الإمام علي (عليه السلام) . إنَّ الفعل اللفظي يحمل الصيغة الحرفية للنداء (يا قطام)، والفعل المتضمن في القول هو أن الخطاب تندرج تحته دلالات ومقاصد عدة منها اللوم من قبل المتكلم والتهكم والتحقير والذم والزجر، وهذا ما يتضمنه القول أعلاه، تحققت في ذلك الأسس

---

[1]) عيد الغدير :٢٦.

[2] الخنى : من قبيح القول، وأخنى: أفحش ، وأخنى عليه الدَّهر إذا مال عليه وأهلكه، لسان العرب : مادة (خنا) ٢٣٨/٤.

[3] عيد الغدير :١٣٦.

[4] قطام هي : ابنة عم عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وكانت أجمل أهل زمانها، وكان الإمام علي (عليه السلام) قتل أباها وأخاها يوم النهروان ، وعندما خطبها ابن مُلجم وافقت، فطلبت مهرها أن يكون ثلاثة آلاف وعبدا وقينة ، وقتل علي (عليه السلام) ، فوافق على ذلك . مروج الذهب ومعادن الجوهر : الإمام أبو الحسن المسعودي ، المكتبة العصرية ، بيروت . لبنان ، ط١، ٢٠٠٥: ٢/ ٣٢٠.

المنهجية التي وضعها سيرل ليجعل النص تداولياً فضلاً عن توافر الآليات اللُّغوية التداولية من أساليب (الشرط والاستفهام والتمني)، وعبَّر الشاعر عن هذه الفجيعة الشنيعة بأسلوب النداء الذي يمثل البؤرة الأساسية للعملية التواصلية بين المتكلم والمخاطَب .

إنَّ الفعل الكلامي هنا غير مباشر، فالخطاب تخيلي يتضمن استعارة.

د . البعد التداولي للتَّمنِّي :

ويقصد بالتمني بأنه طلب يفيدُ حصول شيء على سبيل المحبة ولو كان حصوله مشكوكاً فيه أو مستحيلاً أو هو طلب أمر موهوم الحصول وربما كان مستحيل حصوله[١] ، واللفظ الموضوع له (ليت)، وقد يتمنى بـ(هل)، ويتمنى بـ(لو)[٢] .

وتجدر الإشارة إلى أن المعاني والإفادات التي تُستفاد من تلك الحروف أو الأدوات تتمثّل بصدق ودقة في نظرية أفعال الكلام، كما يتصورها الفكر المعاصر، ولذلك عدّ الدارسون تلك المعاني والإفادات أفعالاً كلامية تتعاطى عبر الرؤية التداولية[٣]، ونبدأ في هذه القراءة التحليلية في الخطاب الشعري من خلال ما وظفه بولس سلامة من أسلوب يتمثل بـ (النداء) بوساطة (ليت) ويقول :

ليت يومًا قد جاء بابنِ مُراد كَفَّنتهُ العصور في دهمائهِ [٤]

في هذا البيت يبث الشاعر آهاته ويتحسر لما جرى للإمام علي (عليه السلام) ، ويتمنى أن يلف الدهر ابن مراد ـ قاتل الإمام علي (عليه السلام) ـ ويبتلعه في شقّاقه (تكبره) قبل أن يمسه (عليه السلام) ، والذي ينجلي في هذا المقطع أن الفعل الكلامي يتكون من أربعة

---

[١] يُنظر : اساليب الطّلب عند البلاغيين والنحويين :قيس أسماعيل الأوسي :٥١٨.

[٢] يُنظر :الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع) : الخطيب القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر أحمد بن محمد (ت٧٣٩هـ)، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ،ط١، ٢٠٠٣ ـ ١٤٢٤ هـ: ١٠٨.

[٣] يُنظر: التداولية عند العلماء العرب : مسعود صحراوي : ١١٧.

[٤] عيد الغدير : ١٣٥.

أفعال كما ذكر سيرل هي فعل القول ويمثله الشاعر في أسلوب التمني بأداة التمني ليت (ليت يوما)، والفعل القضوي تمني المتكلم أن تصيب دائرة السوء ابن مراد جراء أفعاله الشنيعة، والمحتوى القضوي: أن المتكلم نراه عاجزاً من أن يرى ملامح الأذى والسوء أن تصيب ابن مراد، أما الفعل التأثير هو الأذى الذي الحقه ابن مراد بالإمام (عليه السلام)، والذي جال في نفس المتكلم تمني الحاق الأذى بابن مراد وهذا ما يستحقه بالفعل.

وشاهد آخر يتضمن هذا الأسلوب، لكن باداة التمني (لو) لسان حال علي الأكبر (عليه السلام) وهذا ما يوضحه بولس سلامة يقول :

آه لو قطرة تعيد إليَّ الريق! أو في الخيال ألقى الحبايا[1]

والذي يتضح في هذا الموضع، أن علياً الأكبر يبثُ (عليه السلام) شكواه لأبيه الإمام الحسين (عليه السلام) آخذاً منه أذناً للتوجّه إلى ساحات القتال، لكن الظَّمأ اصابه وأضناه، فتمنى حتّى لو قطرة ماء تروي رمقه . ويلحظ هنا أن المتكلم يتمنى بـ (لو) ، "وهي للتمني "[2] ، وهذا يُعدّ فعلاً كلامياّ إنجازياً مباشراً متكوناً من الفعل اللفظي المتمثل بـ(آه لو)، وأما الفعل القضوي هو تمني المتكلم الحصول على الماء، والفعل الإنجازي هو التحسر، والفعل التأثيري بث المرسل آهاته وأوجاعه طلباً للماء لمقاومة ما سيحلّ بهم . الفعل الكلامي هنا غير مباشر.

ويذهب بولس سلامة في مقطع آخر واصفاً حال انصار الإمام الحسين (عليه السلام)، وهم متمنون الشهادة إلى جنب الإمام الحسين :

ليتنا نسقطُ يا حسينُ صرعى ثم تحيا الجسوم في حيوات[3]

---

[1] عيد الغدير : ١٩٨.

[2] معاني النحو : فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . عمان ، ط١، ٢٠٠٠ : ٣/ ١٦

[3] يُنظر: عيد الغدير : ١٩٣.

يتوجه أصحاب الحسين (عليه السلام) بالخطاب للإمام معبرين عن تمنيهم للشهادة حباً بالحسين (عليه السلام) ودفاعاً عنه مضحين بأغلى ما يملكون في سبيل نصرة سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) معلنين حبهم وولاءهم له . وعند تحليل هذا البيت من الناحية التداولية نجد أنَّ الملفوظ (الفعل القولي) جاء بصيغة التمني أداة التمني (ليت)، والفعل القضوي هو طلب أصحاب الإمام (عليه السلام) أن يضحوا بأنفسهم في سبيل نصرته (عليه السلام). في الحوار أعلاه تحققت شروط النجاح للفعل الكلامي فنرى أنَّ الشرط الأساسي متحقق أي يتحقق عندما يحاول المتكلم التأثير في المتلقي ليحصل على مراده[1]، وذلك ينكشف من خلال المتكلم (أصحاب الإمام) في محاولتهم للتأثير عليه وشرط النية والإخلاص أيضاً متوافرة في هذا النّص؛ ذلك صدق إحساسهم وتعبيرهم عما يجول في أنفسهم من مشاعر صادقة تجاه الحسين (عليه السلام)، إذن من ذلك نستنتج أن الفعل الكلامي هنا إنجازي مباشر حيث أن المنطوق يطابق المقصود من اللفظ . أما بالنسبة للفعل الكلامي هنا غير مباشر.

هـ . البعد التداولي للنهي :

يمكن تعريف النهي بأنه " وهو طلب الكف عن فعل، وصيغته : لا تفعل "[2]. وذكر الدارسون أن النهي يأتي لمعانٍ منها : (الكراهة، والدعاء، والإرشاد، والتسوية، والاحتقار والتقليل، وبيان العاقبة، واليأس، والاهانة) [3]، وما جاء لبيان العاقبة قوله تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [4].

---

[1] يُنظر: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة (دراسة دلالية ومعجم سياقي) : ٥٣.

[2] الاتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق : شعيب الارنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ٢٠٠٨م: ٥٨٢، و الأساليب الإنشائية وأسرار البلاغة في القران الكريم : صباح عبيد دراز ، مطبعة الأمانة . مصر ، ط١، ١٩٨٦: ٦٨ .

[3] الاتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي: ٥٨٢.

[4] ال عمران ١٦٩ .

إنّ للنهي صيغة أصلية، يتلفظ بها المرسل في خطابه(لا الناهية والفعل المضارع)، ويشير الشهري إلى أنه قد تصدر أفعال الطلب من صاحب المرتبة الأعلى إلى من هو دونه في المرتبة فيقتصر الحديث هنا على النهي الحقيقي مع اختلاف صيغ النهي[1]، ولتمثيل هذا البعد التداولي (النهي) في (عيد الغدير) نرى أن الشاعر يوظفه خير توظيف، يصف بولس سلامة لحظة الألم التي مرت بها السيدة زينب (عليها السلام) وهي تلقي خطابًا مليئاً بالحزن محاولة منها إقناعه أن يتراجع عن مبتغاه لخوفها عليه يقول لسان حالها (عليها السلام) :

لا تـمـتْ يَـا حُـسيـنُ تـفـديـكَ مَـنَّا مُـهـجـاتٌ لَـم تـقـرّب الأَوزارا[2]

في هذا الحوار خاطبت السيدة زينب (عليها السلام) أخاها الإمام الحسين (عليه السلام) والعبرات تكاد تخنقها وهي تتحسر وتتألم لما سيمر به في ملاقاة العدو، تعبيراً عن مشاعرها الصادقة، وترى أن أرواحهم (أهلها وعشيرتها) التي لم تدنسها الآثام ابداً له الفداء.

البنية التحليلية التداولية في هذا البيت تتكون من الفعل اللفظي ويمثلها القول :لا تمت، والفعل القضوي طلب زينب (عليها السلام من أخيها) وهي تتمنى أن لا يمت، أما الغرض الإنجازي هو التمني. الفعل الكلامي مباشر فالخطاب واقعي بحت .

إنَّ الحوار صادر من أدنى مرتبة ـ المتكلم ـ إلى أعلى مرتبة المخاطب، فيعد طلباً وليس توجيهاً.

في هذا البيت يذكرُ بولس سلامة الحوار الذي دار بين الأب ـ محمد (صلى الله عليه وآله) وابنته ـ فاطمة الزهراء (عليها السلام) حين دنا أجله (صلى الله عليه وآله) حوار ملئٌ بالحزن والحسرات يدعوها فيه للاطمئنان يقول في ذلك :

---

[1] يُنظر: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) : عبد الهادي بن ظافر الشهري : ٣٤٩.

[2] عيد الغدير :١٨٤.

قـال لـما تـبسَّمتْ : لا تـخـافـي لـن يـكـون الـفـراقُ هـجـراً طـويـلا [1]

والدليل على ذلك ما نقله المرعشي وهو يصف الحوار الذي جرى بين فاطمة الزهراء(عليها السلام) والنبي (ﷺ) " أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (مرحبا بابنتي) ثم أجلسها عن يمينه ثم أسر إليها حديثا، فبكت، ثم أسر إليها حديثا، فضحكت. فقلت: ما رأيت كاليوم أقرب فرحا من حزن. فسألتها عما قال فقالت: ما كنت لأفشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره. فلما قبض سألتها فأخبرتني أنه قال: (إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين. وما أراه إلا قد حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحوقا بي، ونعم السلف أنا لك) فبكيت. فقال: (ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين)؟ فضحكت" [2] .

يبين الشاعر لسان حال الرسول (ﷺ) كآخر وصية يقدمها لابنته بعد أن أشرف على أن يفارق الحياة، فبكت حزناً لفراقه، فأردف قائلاً : إنّها أول من يلحق به من أهله، فتبسمت؛ لأن فراقهم لن يدوم طويلاً، فالحوار يملؤه المشاعر المتناقضة حيث اختلطت مشاعر الفرح بالحزن، والتحليل الاستعمالي لهذا المكون التداولي أن الفعل اللفظي الذي تمثله صيغة النهي (لا الناهية والفعل المضارع) وهي الصيغة الحرفية للنهي، والفعل القضوي الإخبار عن الذي الي يجري بين النبي (ﷺ) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) بشأن الفراق (قرب أجله)، الفعل الإنجازي يمثله الوعد وبيان العاقبة ، حيث يبشرها (ﷺ) بأن اللقاء سيكون في الجنة، ونلحظ من خلال لك أن المتكلم بلّغ قصده التوجيهي .الفعل الكلامي هنا مباشر فالخطاب يخلو من الخيال أي هو واقعي

وقد يستعمل المتكلم (المرسل) لا الناهية مع نون التوكيد في الفعل المضارع، وأن استعمال هذه الصيغة مع زيادة نون التوكيد يُعدّ مؤشراً تداولياً يَدلُّ على أن النهي الذي يكون مع نون التوكيد أعلى درجة من النهي الذي يخلو من الزيادة (نون

---

[1] عيد الغدير : ٨٥.

[2]) شرح إحقاق الحق :السيد المرعشي تحقيق محمود المرعشي ، ط ١، ١٤١٥ :٢٩٥: ٣٣.

التوكيد)؛ ولأنَّ التأكيد يكون نتيجة لمعرفة المرسل بالمرسل إليه وبعناصر السياق جيّداً، ويرى الدارس أن النهي طبقات بناء على السياق التداولي، وذلك بمعرفة خصائص المرسل إليه من القوة والضعف، وكذلك أهمية الأمر المنهي عليه، ويمكن أن ينظر إلى النهي بوصفه درجات أو طبقات، كما ينظر إلى طبقات التداول في التوكيد مثلاً، وذلك باستعمال أداة دون أخرى بناء على درجة الإنكار في ذهن المرسل إليه[١]. ومثال على ذلك :

لا تَـضْـلُـون بَـعده فـهو سـفـرٌ يَـمنـعُ الله نـصّـه أن يـحـولَا[٢]

في هذا النموذج يوضح بولس سلامة لسان حال الرسول (ﷺ) عندما استشعر الرسول (ﷺ) بقرب أجله جمع أصحابه الأقربون منه وأولهم الإمام علي (عليه السلام) ليخطب فيهم كي لا يتشتتوا من بعده، وينقلبوا على دينهم كي يضمن وحدتهم ، وكان محفوظا بأذن الله أن لا يمسه تحويرا. والذي يلحظ في هذا النصّ أن الفعل اللفظي يتمثل في (لا تضلون)، والفعل القضوي يتمثل توجيه النبي لصحابة والناس أن يلتزموا بالمحافظة على القرآن الكريم، وهو يُستمد منه الشرائع الدينية والاجتماعية والاقتصادية، والفعل الإنجازي هو النصح والإرشاد الذي يوجهه المتكلم إلى المخاطب، والفعل التأثيري هو أن الإمام (عليه السلام) قادر على تنفيذ ما طُلِب منه .

والذي يلحظ أن الخطاب شديد اللهجة، ودرجة النهي في هذا الخطاب تعلو الدرجة في الخطاب الذي سبقه، فاللفظ: (لا تضلون) قد يشير إلى المنع من جهة الاستعلاء ؛ كون المتكلم يُعدّ صاحب سلطة عليا، وغرضه الإنجازي التأثير في المتلقي، وتحويل ما نقش في ذهنه إلى ما يطابقه في الواقع [٣] .

---

[١] يُنظر: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية وتداولية) عبد الهادي بن ظافر الشهري : ٣٥٠.

[٢] عيد الغدير: ٨٦.

[٣] ينُظر: الابعاد التداولية في خُطبة زيد بن علي (عليه السلام) الأفعال الكلامية اختيارا: عماد فاضل عبد ، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية الإنسانية ، ٤٥: ٢٠١٩: ٦٣.

ثالثاً : الوعديات commissives :[1] وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات world _ to_ words، وشرط الإخلاص فيها هو القصد intention.، ويدخل فيها الوعد والوصية[2]. ويطرح أحد الدارسين سؤالاً عن اتجاه المطابقة في الإلتزاميات والتوجيهيات، بأنه هل يسوّغ ضمهما في قسم واحد ؟ ويُرَّد على ذلك ، ويَرَّى بأنه غير ممكن لسببين هما : أحدهما أن المرجع في الإلتزاميات هو المتكلم، أما في التوجيهيات هو المخاطب ، والثاني أن المتكلم في الإلتزاميات لا يحاول التأثير في السامع ، وفي التوجيهيات يحاول التأثير فيه [3]. والذي يلحظ على الإلتزاميات خلوها من المشاعر، والسمة البارزة لأفعال الوعد والالتزام هي دلالتها على الحاضر والمستقبل . ويمكن أن نطلق على الإلتزاميات تسمية أخرى هي التعهدات فضلاً عن التسميتينِ السابقتينِ. ويمكن التمثيل لهذا الصنف ببعض الأبيات الشعرية من ذلك قول الشاعر :

أيُّكم يَنْصِرُ الحُسين فندعـ ـوه لواءً مشرّفاً خفَّاقا [4]

في هذا البيت نجد محاولة لسليمان الخزاعي أن يستنهض همم أهل الكوفة ليكونوا عوناً ونصراً لسبط رسول الله (ﷺ) الحسين (عليه السلام) فإن من يكون ذراعاً للحسين جَزَاؤاه شرف حمل راية لوائه [5].

والقول: (فندعوه) ضمن الوعديات، والذي يفهم من هذه العبارة أن الفعل اللفظي يتمثل في القول : (فندعوه) والفعل القضوي دعوة سليمان الخزاعي لنصرة الحسين

---

[1] ويطلق عليها (الإلتزاميات) .

[2] يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة الجديدة . مصر ،٢٠٠٢: ٧٩.

[3] يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر محمود أحمد نحلة :٧٩.

[4] عيد الغدير : ١٥٦.

[5] يُنظر: عيد الغدير : ١٥٥.

(عليه السلام)، والمحتوى القضوي :هو أن المتكلم (سليمان) ألزم نفسه بالتعهد لمن ينصر الحسين (عليه السلام) في حال أن المخاطب أن يستجيب له (لخطابه)، وهذا يرجع إلى أن قدرة المتكلم على التعهد والوعد هو الوازع الديني لديه. إنّ الفعل الكلامي هنا مباشر حيث إنَّ الخطاب موجه ومخصص إلى جماعة معينة (أصحاب الحسين)، وشاهد آخر يمكن أن يصب في هذا المضمار نفسه في موضع آخر يقول بولس سلامة :

وعد الله عبده الفوز والأنـ ـصار حفَّت بالكوكب النوّار

يستجيبونه كما يستجيب السيف زند الغشمشم[1] المغوار[2]

والذي ينجلي في هذا النص بعد أن توعد كفار قريش بقتل الرسول (صلى الله عليه وآله) في موقعة بدر يطمئن رب الأكوان ويُعدّ محمّد (صلى الله عليه وآله)، ويقوي ساعده بأهل الأنصار مُشبها أيّاهم بـ (الكوكب النوار)، ويستعدون لنصرته، ويستجيبون لندائهِ كما يستجيب نصل السيف في حدته وسرعته وفي جرأته ومضيه . ويمكن أن نستدلُ على ذلك ما روي عن النبي(صلى الله عليه وآله) بعد ما وقف على أهل القليب فناداهم رجلاً رجلاً يا عتبة بن ربيعة ... هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً[3]، والذي يتبين في الشاهد الشعري أعلاه أن الفعل اللفظي يتمثل في العبارة : (وعد الله)، والفعل القضوي نصرة الله عزّ وجلّ للنبي(صلى الله عليه وآله) ومساندة الأنصار له (صلى الله عليه وآله) في موقعة بدر وانهزام قريش . والمحتوى القضوي إنجاز الوعد من قبل الخالق للعبد (صلى الله عليه وآله) فتحققت هنا شروط الإلتزام حيث إنّ الطرف الآخر (الأنصار) يستجيبون للوعد، وهذا يَدلّ على تحقق الوعد من الله سبحانه وتعالى إلى النبي والأنصار، وتحقق شرط المطابقة من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص صدق القضية وامتثال الأنصار لما أمر به النبي (صلى الله عليه وآله) واستعدادهم لها وتأهبهم للتضامن مع لنصرته . وشاهد آخر تمثله الوعديات :

---

[1] الغَشَمْشَم : الجريء الماضي. لسان العرب : مادة (غشش) :١٠/ ٧٥.

[2] عيد الغدير: ٤١.

[3] يُنظر: اعيان الشيعة: : محسن الأمين١/٢٤٩.

واصطفى حيدر العصور علياً فلواء يعتزُّ فوق لواء

سوف يغدو لون(العقاب)[١] عقيقا مستطيراً في الرَّاية الحمراء [٢]

يبين بولس سلامة اختيار النبي (ﷺ) الإمام علي (عليه السلام) لحمل الرَّاية لشجاعته و لحرصه الشديد على التمسك بها ولا يسلمها للعدو لما تحمله من رمزية، ولصبره على مواجه الموت كلُّ هذه الأمور حملت النبي (ﷺ) أن يسلمه الرَّاية ...الخ، ويقصد من هذا الشاهد أنه سيعلم القوم غداة يومهم بمرارة موتهم الذي يكون بلون العقيق الأحمر[٣]. ويتضح من هذا أن الفعل اللفظي يمثله قول (سوف يغدو) والفعل القضوي، الإخبار عن شجاعة الإمام وصلابته وقوته في مواجهة العدو عند حمله الرَّاية، والفعل الإنجازي هو (الوعيد[٤])، والدليل على ذلك توعد المتكلم ـ النبي محمد (ﷺ) ـ بـ (الفعل المضارع وسوف التي تَدلّ على المستقبل)، ويتبين من هذا أن المتكلم لن يعفوَ عن المشركين عند النزال في المعركة (بدر) .

ونرى بولس سلامة يذكر الحوار الذي دار بين الحرّ الرياحي وبين الإمام الحسين (عليه السلام) معلناً توبته نادماً على ما فعله قائلا : [٥]

سوف أمحو إساءتي بدمائي ليس مثل الدماء تغسل عابا [٦]

في هذا الخطاب نجد المتكلم (الحر) يلزم نفسه بالوعد للمخاطب الإمام الحسين (عليه السلام)، فالفعل الكلامي مباشر .

---

[١] العقاب : وفي السيرة الحلبية أن النبي (ﷺ) اللواء يوم بدر إلى مصعب بن عمير ، وكان أمامه رايتان سوداوان أحداهما مع علي يقال لها العقاب .وقيل : إنّ النبي (ﷺ) عقد الألُوية يوم بدر وهي ثلاثة : لواء يحمله مصعب بن عمير، ورايتان سوداوان أحداهما مع الإمام علي (عليه السلام) كما ذكر سابقا، والاخرى مع رجل الانصار، والرَّاية هي العلم الأكبر، واللواء دونها .أعيان الشيعة : الإمام السيد محسن الأمين : ٣٨١/١.

[٢] عيد الغدير: ٤٣.

[٣] يُنظر : ملحمة (عيد الغدير) لبولس سلامة دراسة نحوية : عقيل عباس، رسالة ماجستير ، ٢٠٢١: ٥٢.

[٤] " الوعيد يتضمن إيصال ضرر إلى الغير أو تفويت نفعٍ عنه في المستقبل " ،الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، عدنان محمد زرزور، مؤسسة الرسالة . بيروت : ١٤٨.

[٥]) ينظر : عيد الغدير: الهامش :١٩٥ .

[٦]) عيد الغدير :١٩٦.

وتجدر الإشارة إلى أنّ اللُّغويين الغربيين اعتمدوا المعنى الدلالي والمغزى معياراً للتقسيم . فبدلا أن يرد (الوعد) لديهم كمغزى يمكن أن يخرج إليه الخبر أو الاستفهام أو الأمر، مثلاً، فإنهم أوردوه، مع أفعال آخرى مشابهة في المعنى الدلالي مثل القسم والمراهنة والتعاقد والعرض وغيرها تحت صنف أسموه الأفعال الالتزامية أو الوعدية[١].

رابعاً : التعبيريّة (Expressives): ومحتواها القضوي لا توجد علاقة متحركة بين الكلمات والعالم الخارجي، ومغزى هذا النوع من الأفعال هو التعبير عن حالة نفسية يُحددها شرط صدق النيّة بموقف يحدده المحتوى الخبري ويعطي سيرل مثالاً على هذه الأفعال: (يشكر) و(يعتذر) و(يرثي)[٢]، وشُرِط لذلك على أن يكون هذا التعبير تعبيراً حقيقيًّا خاصًّا لحالة سيكولوجية محددة في الواقع، وليس لهذه الأفعال اتجاه مطابقة ؛ لأنه بأداء الفعل التعبيري لا يحاول المتكلم أن يؤثر في العالم ليماثل الكلمات، ولا الكلمات لتماثل العالم، وشرط الإخلاص هنا هو صدق التعبير عن الموقف النفسي، ولهذا يطلق عليها تسمية (البوحيات)[٣] . وهذا شاهد يمكن أن ندرجه ضمن صنف (التعبيريات)، لسان حال مسلم بن عقيل في ذلك قول الشاعر :

لـك الـحمدُ أن نُمتَّع بعيـــــش أو تـخضَّب أفواهنا بدمانا

حكمة منك يرجع العقل عنها عاثراً في عتوّه حيرانـــا[٤]

عبّر الشاعر في هذا الملفوظ عن ما مرّ به مسلم بن عقيل، وذلك بعد أن أقبل ابن الأشعث بمسلم إلى قصر الإمارة يطلب من ابن زياد أن يؤمنه، لكن ابن زياد رفض تأمينه، فكانوا قد عذبوه حتى خضَّب بدمائه، وكان يتلظى عطشاً، فأتاه صبي

---

[١] يُنظر: نظرية الفعل الكلامي : هشام عبد الله الخليفة : ٤٥٨، ٤٥٩.

[٢] يُنظر: م ن : ١٢٦.

[٣] يُنظر: في البراجماتية (الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي): علي محمود حجي الصرّاف: ٦٢.

[٤] عيد الغدير :١٧١.

بماءٍ، فكان كلما قرّب الماء من ثغره ملئت القربة بدمائه، حتى حمد ربه، ورضى أنه سيلقى حتفه ضمآناً، يناجي خالق الأكوان أن ما حصل معه هو بحكمة وتدبيره سبحانه وتعالى عسى أن يخرجه من حيرته [١]. لا يكاد أن يخلو هذا الملفوظ من فعل إنجازي مباشر يتمثل في (الإخباريات)، فالقول (لك الحمد) هو أن المتكلمَ يعبر عن ما تجول به النفس من الرضا والتسليم لإمر الله عن ما يمرُّ به، فظاهر الخطاب كما أشرنا فيما سبق هو خبر، والفعل القضوي هو ما يخبر به المتكلم (مسلم بن عقيل عن لحظة شعوره بالحيرة داعياً الله سبحانه أن يمنَ عليه بشيء أن يخرجه من حيرته، والمحتوى القضوي هو رجاء المتكلم، والذي نلحظه أن شرط الإخلاص هو الحالة النفسية والشعورية للمتكلمِ التي يعيشها حقاً حيث عبرّ عن موقفه وما مرَّ به بصدق . إنَّ المتكلمَ هنا يعبر عن حالة شعورية وتجربة مرّ بها، فتحقق هنا شرط الإخلاص، والذي يَدلّ على لك عبارات الشكر التي ورت في ثنيا البيت . ولهذا نرى المعبر يواشج المتكلم الكلمات بعالم المشاعر. والتعبير يمكن أن يكون عن سرور أو ألم أو كره أو فرح أو أو ندم ... قد تسبب هذه المشاعر شيء يعلمه المتكلم أو السامع، لكنها تخص تجربة المتكلم [٢].

لو تأملنا الأبيات التالية سنجد أنها تعبرُ عن لحظات ضعف مرَّ بها الشاعر خلال مرضه فيقول :

ويـح حظـي ! تـنوء بالحـس أعصـ ـابـي إذا جَـلجَـل الـخيـــال دويًّا

فـإن اسـتـمسكَتْ فعيـد الـقـوافـــي وإذا مـا وهـت ذويـتُ شـجـــيًّا

لـيـس عـجـبـاً أن يـخـطـيءَ الـصـيـد رامٍ أوهـن الـحـظُّ طـرَفـه الـعَبْقَريَّـا

آه يـا داء لـو تـركـت لـعيـنـــي فـسحـة الأفـق مـلـعبا ورديَّـــا

---

[١] يُنظر: عيد الغدير: ١٧٠ الهامش.

[٢] ينظر: مسرد التداولية، مجيد الماشطة، وأمجد الركابي: ٩٢.

أو أزحت الكابوس عن صـــــدريَ الواهي، أعبّ النسيم ورداً شذيًا[1]

فالشاعر ينقلُ للمتلقي حقيقة مرضه وحالة الضعف التي مرَّ بها ومعاناته مع المرض، ويندب حظه بعد أن طغى على بدنه المرض وتخلل الألم بين خلاياه بعد أن داهمه المرض، وبات عليلاً، وأنهكت أعصابه ويرى أنه لو يخرج المزيد من الكلمات في دعاءه فينثرها نثراً لولا تلك العلة، فيفترض أن لو زال المرض سكنت قريرته وأسترسل بكتابته ما بخاطره من قوافٍ، وأن غلب عليه المرض، ووهنت أعصابه غلب عليه الشجن، والذي يلحظ هنا أن الشاعر في صراع مستمر مع المرض، ونراه يعاود الخطاب لعلة جسده أن لو ترك له مجالا لبكى الإمام الحسين (عليه السلام) بكل دمع يذرفه ولرثاه ما دام حياً، ويخيل لبولس أن ما حصل لأهل البيت كالكابوس الذي إذا أزيح عن صدره الواهي الفاني فيخفف حمل صدره كنسيم محمل بشذا الورد .

تجدر الإشارة هنا أن بولس سلامة استعمل المونولوج أي حوار النفس أو الذات حيث إنَّ صاحب الحوار يتضمَّن حواره الصراع الداخلي عمَّا تموج به نفسية الشاعر[2] . والناظر في الأبيات المتقدمة يرى أن الشاعر يندب حظه وفي البيت الثاني تظهر عليه الحيرة والتردد واليأس، أما القول :(آه يا داء لو تركت) فالذي يلحظ عليه أنه خاطب المرض، فيظهر عليه (التوجع والتحسر)، أن تلك الأقوال (ويح حظي، استمسكت، ذويت شجيا، لو تركت لعيني) فعل لفظي، والفعل القضوي هو يخبر المتكلم عن حالته وهو متألم، فالمحتوى القضوي اظهار الضعف والعجز والندب أمام مقاومة المرض وهو لازال يريد أن يكتب عن الإمام الحسين (عليه السلام)، فصدق النية نجدها عنده عندما يعبر عن مكنونات نفسه بتحسر والم، فالشاعر يعبر عن مكنونات نفسه، يندرج ضمن التعبيريات. ومن ذلك أيضا قول الشاعر :

---

[1] عيد الغدير: ٢٢٦.

[2] يُنظر: الحوار في شعر محمد فقي (دراسة تداولية) : محمد بن عبد الله المشهوري ، جامعة الملك سعود . الرياض، ٢٠١٣: ٣٢.

رحم الله جده ، كائنا من كـ ان ، وهو المجهول بين مئات

رحم الله جَدّةَ ابن زياد ولو أن الشوهاء في الموسمات

رحمة الله قد تنال زياداً ولو أن اللعين في[1] الحيَّات[2]

والذي يتضح في هذا النص أن ظاهر قول بولس سلامة يخص نسل ابن زياد ويرسل الشاعر دعوته إلى جده الذي لم يكن على قدر معروف تصغير له وجدته، وأن الرحمة قد تنال ابن زياد، ويسخر الشاعر بابن زياد مُدعيا إرسال الرحمة لجدته التي وصفها بوصف الباغيات، ولكن اللعين منغمس بالدهاء والخبث. إنَّ الفعل اللفظي يتمثل في (رحم الله جده، رحم الله جدته ، رحمة الله)، والفعل القضوي أن المتكلمَ يسترسل في الحديث عن ابن زياد ونسله، والفعل الإنجازي يتضمن التحقير والسخرية والإستهزاء والإهانة لابن زياد والسخرية من ابن زياد، وهذا النص يندرج تحت صنف التعبيريات (الإفصاحيات) ، إن الفعل الكلامي هنا غير مباشر فهو والدليل على ذلك أن الالفاظ من خيال الشاعر.

يعبر بولس سلامة عن لسان حال مسلم بن عقيل وهو يبث شكواه إلى الله سبحانه وتعالى يشكي حال القوم يقول :

يا إلهيّ أمْسَكْتُ وجهك عنَّا أو تُرخِي للظالمينَ العِنَانَا

مُبدعَ الكونِ لِمْ خَلْقتَ ذِئاباً تَسْتَبِيْح الرعاة والقطعان[3]

والذي ينجلي في هذا الخطاب مناجاة وضجيج مسلم بن عقيل بألم وحسرة بعد أن ضاق صدره إلى خالق الأكوان بعد أن وقع بين أيدي الظالمينَ أن لا يتركه بِأيْدِيهم مُناجياً ربه لما سلّط على القوم المظلومين أناساً أمثال ابن زياد. فبعد أن رضي

---

[1] حيَّات : ويقال : فلان حيّة الوادي وحيّة الارض ... إذا كان نهاية في الدّهاء والخبث والعقل ، يُنظر : لسان العرب مادة (حيا) :٤٣٢/٣.

[2] عيد الغدير :١٦١

[3] عيد الغدير :٧٢.

بمصيره دعا الله أن يخلصه وبصره متنور برحمة الله، فأنّا لا نزال نحتاج عون الخالق في تدبير أمورنا، وحتى وأن كان يسقينا في الحياة من نبات الحنظل المرّ، وأن يقنع الإنسان بمصيرهِ مهما كان؛ لأنّه تحت تدبير رب العالمين وأن يرجعَ الإنسان إلى ربه في كلِّ الأحوال. في هذا الخطاب أنَّ الفعلَ اللفظي يَتمثلُ في العبارة :(يا آلهي)، والفعل القضوي هو أن المتكلمَ بدعائهِ يَطْلبُ النجاة من الله سبحانه وتعالى، ثم يرى ضرورة التسليم لإمر الله وقدره، والفعل الإنجازي هو الدعاء ، فقد تحقق هنا شرط الإخلاص وهو إخلاص المتكلم في التوجه إلى الله عزّ وجلّ عن طريق إِخْراج ما تكنه نفسه من مشاعر وأَحَاسِيْس صَادِقة صَادِرة منه إلى الله سبحانه وتعالى . فضلاً عن ذلك نجدُّ المتكلمَ يستعملُ صيغة توجيهية في هذا البيت وهي الاستفهام بـ (لَمْ)، وتُعدّ إحدى صيغ الاستفهام الحرفي، والأصل (لماذا) وهي صيغة توجيهية، فالمحتوى القضوي هو العتاب من المتكلِم (مسلم بن عقيل) إلى الله سبحانه وتعالى وهو المتلقي فالفعل الكلامي غير مباشر .

خامساً: الإعلانية (Deslarations) : وهي أفعال عند النطق بها يتغيّر العالم، وأهم ما يميز أدائها مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، وهي مهمة بالنسبة للمجتمع؛ لأنها تتراوح بين النماذج التي تؤثر عليه بشكل جماعي مثل استقالة مسؤول أو إعلان حرب أو تحريم شيء شرعاً ...، وبين النماذج التي تؤثر في حياة الأفراد والمجتمع مثل الزواج والطلاق والتوريث ... وغيرها مما يؤثر على الأحوال الشخصية، فإذا أردنا فعلاً إعلان حرب، فالحرب مُعلنة فعلاً، واتجاه المطابقة فعلاً سيكون من الكلمات إلى العالم والعكس صحيح، ولا تحتاج إلى شرط الإخلاص[1]. أي بمجرد نطق اللفظ يقع الفعل، ويمكن أن تندرج تحته عدة أمثلة فضلاً عن ذلك ذُكر التصريح والإستجابة والقرار والقسم والدعاء ...الخ .

يقول بولس سلامة في مقطع شعري يمكن أن يندرج تحت صنف الإعلانيات :

[1] يُنظر: نظرية الفعل الكلامي :١٢٦، ١٢٧، ويُنظر: التداولية في الدراسات النحوية : عبد الله جاد الكريم: ٩٢.

ويقول النبي : بشراك فاهنأ سيد العرب لا يضيرك هاجم

وأنا سيد الانام، وفوق الإنس والجن، والنبي الخاتم

قاتلِ الكافرين حتى تقرَّ الدين والله بعد ذلك عاصم[1]

في هذا الخطاب الشعري يوثق بولس سلامة حدثاً تاريخياً مُهماً حين كانت خيبر بؤرة اليهود في الحجاز، وكانت تحت أسوارها تُحَاك المؤامرات ضد المسلمين [2]، فلما تجهز الرسول (ﷺ) لمواجهتهم يقال: إنّه كان يعطي الرَّاية في كلِّ يومٍ لأحد أصحابه ، فلما جاء دور الإمام علي (عليه السلام) خاطبه الرسول (ﷺ) مستبشرا إيّاه أن فتى كـ علي (عليه السلام) قادِرٌ على التصدي لجيوش الأعادي ويستبشره بالرضوان والجنة، فينادي الرسول (ﷺ) الإمام علي (عليه السلام) بسيد العرب، وأني سيد ولد أدم وخاتم الأنبياء، فيحث الإمام علي (عليه السلام) على مُقاتلة الأعداء لإقرار الدين .

إن هذا المقطع الذي بين أيدينا يتضمن فعلاً لفظياً يتمثل في القول:(بشراك فاهنأ ، وأنا سيد العرب)، والفعل القضوي هو إخبار المتلقي (الإمام) أن المتكلم (النبي ﷺ) يعلن المساندة له عند مقاتلة العدو؛ لأنه (ﷺ) أعلى ما على وجه الارض من مخلوقات أو الجن والإنس. والفعل القضوي هو الوعد من قبل النبي للإمام (عليه السلام) ، فالنبي (ﷺ) بقوله : بشراك و فاهنأ أنجز فعلاً كلامياً، فبمجرد نطق اللفظ حصل الفعل الكلامي المباشر يتمثل في ـ أنا سيد العرب ـ فإن الله سبحانه وتعالى مانع الشر عنه جراء مواجهة أعداء الدين، وكذلك يتضمن هذا النص فعل انجاز مباشر فمجرد التلفظ به وقع وتحقق هذا الفعل نحو: أنا سيد الأنام ... ، وتجدر الإشارة أن اللفظ بشراك واهنأ يمثل الاستجابة للإمام (عليه السلام) : أنا سيد الأنام فيعد فعلاً لفظياً متحقق يتم تحقيقه من خلال اللفظ فهذا القول فعل كلامي مباشر، من خلال النظر إلى النصِّ الشعري نجد أن بولس سلامة يضمن أبياته الإعلانيات وفي ذلك يقول :

---

[1] عيد الغدير : ٦٣.

[2] يُنظر: عيد الغدير :٦١.

وأماطَ اللثامُ، مذ دخلَ القَصرَ، فلاح الشيطان في القسماتِ

قَامَ في المسجدِ الجميعِ خطيباً مُرعِد الصوت لَاهِب النبرات

قَالَ إنّي وليتكم فسلامي للموالي ، وللعَصيّ[1] قناتي[2]

في هذا الخطاب يذكر الشاعر لحظة دخول عبيد الله بن زياد، فيتوارى عن أنظار الناس مُلثما بلثام أسود فيتصور لأهل الكوفة كأنه الإمام الحسين (عليه السلام) بهيئته، فيخطب بهم في المسجد في الكوفة، وكأن صوته يزلزل كل من سمعه، وطلب منهم أن يبلغوه بِأُحوال المدينة.

ومن خطبة عبيد الله بن زياد عندما وصل إلى الكوفة بعد أن كان في البصرة يقول: " أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين أصلحه الله ولاّني مصركم وثغركم، وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدّة على مريبكم وعاصيكم... "[3] يقصد بأمير المؤمنين يزيد بن معاوية . إنَّ الفعل اللفظي في البيت الشعري تمثل في القول : إني وليتكم . والفعل القضوي يتجسد بأنّ ابن زياد يعلن السلام والأمان لمن يواليه وللمتخلفين الرماح والسيوف ومختلف أسلحة الحرب .

---

[1] قناة : الرمح ، يُنظر: لسان العرب مادة (قنا) : ٣٣٠/١١.

[2] عيد الغدير :١٦١.

[3] وقعة الطف: لابي مخنف لوط بن يحيى الأزدي الغامدي الكوفي (ت ١٥٨هـ .ق) ، تحقيق : الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة الدارسين بقم المشرفة : ١١٠.

الفصلُ الثّاني

الاستلزام الحواري في ملحمة عيد الغدير

المبحث الأول : مفهوم الاستلزام الحواري

المبحث الثاني : قواعد الاستلزام الحواري في (ملحمةعيد الغدير)

الفصل الثاني : الاستلزام الحواري في ملحمة عيد الغدير

المبحث الأول : مفهوم الاستلزام الحواري[١]

قبل الشروع في بيان مفهوم الاستلزام الحواري حريٌّ بنا التطرق إلى معنى "دلالة الالتزام ويقصد بها أن يكون اللفظ له معنى، وذلك المعنى له لازم من خارج؛ فعند فهم مفهوم اللفظ من اللفظ ينتقل الذهن من مدلول اللفظ إلى لازمه، ولو قدر هذا الانتقال الذهني لما كان ذلك اللازم مفهوماً "[٢]. ويعدُّ الحوار هو المتنفس الوحيد الذي يجد فيه المتحاورون إمكانية لقول ما يمكنهم قوله بشأن القضايا الثقافية والسياسية والاجتماعية، بما أنه يعدُّ مجالاً للرأي فإن المستهدفين بالرأي ليس المتحاورين، بل المتتبعين أيضاً، ويهتم الحوار بثلاث قضايا أساسية هي موضوع الحوار وشخصياته وأهدافه، أما بالنسبة لموضوعه ليس خاضعاً للصدفة، بل أن أهميته هي ما يعطي للحوار متتبعين، ويعطيه نتائج فكرية موالية لذلك الحوار[٣].

إنَّ عملية التواصل تتم بين عنصرين مُهمين هما المتكلم والمخاطب، ومهمة المتكلم في عملية الحوار محاولته إيصال رسالة معينة من خلال ما يتلفظ به أي أن العملية التواصلية بين المتكلم والمخاطب قائمة على التبادلية وهذه العملية ـ التبادلية ـ لا تتم إلا بتفعيل مضمون حواري بين عنصري العملية التواصلية ـ المتكلم والمخاطب ـ فهناك من جهة الإنتاج والتوجيه، وهناك من جهة ثانية الاستماع

---

[١] أختلف المترجمون في تحديد هذا المصطلح، فالمصطلح الأشهر لهذه النظرية هو (الاستلزام الحواري) أسماه العياشي أدراوي وسمي بـ (الاستلزام المحادثي) بينما أحمد المتوكل أقترح في تسميته بـ (الاستِلزام التخاطبي)، ومصطلح (الاضمار في المحادثة)، (والتضمين الحواري) ، والتلويح الحواري أو التعريض أسماه هشام عبد الله الخليفة، يُنظر: الاستِلزام الحواري في شعر طلائع بن رزيك (٥٥٦هـ) : أحمد تيمور فليح، مجلة كلية التربية الأساسية ٢٠٢٠/٥٠: ٨٩١.

[٢] الإحكام في أصول الاحكام : علي بن محمد الآمدي ، تحقيق : عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣: ٣٢/١.

[٣] يُنظر: الحوار وخصائص التفاعل (دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية): محمد نظيف، أفريقيا الشرق . المغرب ، د.ط ، ٢٠١٠ : ٦٣.

والجواب، وهي سلوكيات حوارية مؤسسة للتفاعل التواصلي بين أطراف الحوار[١]. وبذلك نلحظ أن البعد الحواري في التواصل يقتضي الآخر بالضرورة؛ إذ لا يمكن أن يُبلِّغ أو يُقنِع شيئا ما دون وجود الآخر، ولا يكون هذا الآخر فقط مستمعا أو متلقياً، بل فاعلاً أي سائلاً ومجيباً في آن واحد[٢]. ويُعدّ مفهوم الاستلزام الحواري آلية من آليات انتاج الخطاب حيث إنه يقدم تفسيراً صريحاً لقدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما يقول بالفعل أي أكثر ما تؤديه العبارات المستعملة أي أكثر مما يُعبَّر عنه بالمعنى الحقيقي ولابُدّ من الإشارة إلى أن عادل فاخوري عبر عن هذا المفهوم بـ (الاقتضاء)[٣].

وقد ركّز أوستن وفيتغنشتاين في أبحاثهم على دور المتكلمين داخل سياق واسع لشرح السلوك الانساني، وقد انتسب غرايس للنزعة المُتمثلة في إعطاء قصدية المتكلمين دوراً حاسماً في شرح اللُّغة فضلاً عن وجود الطرح المتمثل في وجود مضمون حرفي للقول الخاضع لشروط الحقيقة[٤]. وهذا يعني أن غرايس في التواصل اللُّغوي يشدد على نوايا القائل وعلى فهم المُخَاطَب لهذه النوايا. ولكن لا يؤسَّس هذا الفهم حصراً على الدلالة التواضعية للجمل وعلى الكلمات التي تتكوّن منها هذه الجمل[٥]. فالاستلزام هو "رسالة مضمرة ذات معنى أعمق من المعلومة القضوية المباشرة للخطاب بحسب خصائص السياق، مقام الحال، والمعرفة المشتركة... "[٦] فضلاً عن ذلك يَعدُّ الاستلزام من أهم الجوانب في الدرس التداولي فهو الصقها

---

[١] يُنظر: الحوار وخصائص التفاعل (دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية) : محمد نظيف : ٢٢، ٢٣.

[٢] يُنظر: عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج) : عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق . المغرب ، د. ط ،٢٠٠٦ : ٢٠٠.

[٣] يُنظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني : العياشي أدراوي، دار الأمان ــ الرباط ،٢٠١١: ١٩، ويُنظر: محاضرات في فلسفة اللُّغة: عادل فاخوري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط١، ٢٠١٣: ٨.

[٤] يُنظر: مدخل إلى دراسة التداولية (مبدأ التعاون ونظرية الملاءمة والتأويل): فرانتيسكو يوس راموس، ترجمة: يحيى حمداي، دار نيبور للطباعة العراق ، ط١، ٢٠١٤: ٦٧، ٦٨.

[٥] يُنظر: التداولية اليوم (علم جديد في التواصل) آن روبول ، جاك موشلار :٥٣.

[٦] مدخل إلى دراسة التداولية (مبدأ التعاون ونظرية الملائمة والتأويل): فرانتيسكويوس راموس : ١٦.

بطبيعة البحث فيه وأبعدها عن الالتباس بمجالات الدرس الدلالي وعلى الرغم من ذلك ليس له تاريخ ممتد؛ إذ ترجع نشأة البحث فيه إلى المحاضرات سنة(١٩٥٧) في بحث يحمل عنوان (المنطق والحوار) . فنقطة البدء كانت عند غرايس هي الناس في حواراتهم يقولون أكثر مما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون فكان كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد، فالنواة المركزية في نظريته هذه هي التركيز على قصد المتكلم في العملية التواصلية، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية، وما يُقصد هو ما يريد المتكلّم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتماداً على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم[١]. ويرى أحد الدارسين أن كلام غرايس يكاد يطابق كلام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) والعلوي (ت ٧٤٥هـ) في المضمون وهو أن دلالة التعريض ويقصد به (الاستلزام) لا تحصل من اللَّفظ ولا باللَّفظ، وإنما عند النُّطق باللَّفظ وبفضل القرائن السَّياقيّة ومقاصد المتكلّم[٢]، فيعبر المتكلم عن الاستلزام بالمفهوم بدلاً من اقتصاره على التعبير بالمنطوق[٣]، وما لاحظه فلاسفة اللُّغة واللسانيون والتداوليون وخصوصاً غرايس أن جمل اللُّغات الطبيعية في بعض المقامات، تدلّ على معنى غير محتواها القضوي ويتضح ذلك من خلال الحوار الذي يجري بين الأستاذين (أ) و(ب)

– الأستاذ (أ): هل الطالب ويرمز له بـ (ج) مُستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة ؟

– الأستاذ (ب): إنّ الطالب لاعب كرة ممتاز.

وقد لاحظ غرايس أن المتأمل في الأقوال السابقة يرى أن الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ(ب) وجد أنها تدلّ على معنيين أثنين أحدهما: حرفي، وهو أن الطالب من لاعبي الكرة الممتازين، الآخر مستلزم وهو أن الطالب ليس مستعدا لمتابعة دروسه

[١] يُنظر: افاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر : محمود أحمد نحلة :٣٢، ٣٣.

[٢] يُنظر: نظرية التلويح الحواري : هشام عبد الله الخليفة ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١، ٢٠١٣: ٤٠٨.

[٣] يُنظر: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) : عبد الهادي بن ظافر الشهري : ٤٣٠.

في هذا القسم[١]. وعلى ذلك أن غرايس بوصفه للضوابط التي تتحكم في استعمالات المتكلمين للُّغة أثناء المحادثة قد اتاح الإمكان لوصف أنواع الدلالات التي يمكن للمتكلم أن يوحي بها في حالة خروجه عن هذه القواعد[٢].

ويذكر أحمد المتوكل أن اكتساب المتكلمين للُّغة ما فضلاً عن قواعد تؤهلهم لإنتاج خطاب ما متماسك ومتّسق، قواعد تنقلهم من معرفة الأوضاع اللُّغويّة الصَّرف إلى امتلاك الفصاحة والبلاغة، وتكمن الفصاحة والبلاغة في امتلاك القدرة على تنظيم الخطاب بحسب ما يقتضِيه المقام وما يستلزمه الغرض المتوخَّى تحقيقه[٣].

مبدأ التعاون لغرايس: ويقصد بهذا المبدأ " اجعلْ مُساهمتك في المحادثة كما يتطلب منها أن تكون في مرحلة ورودها، وفقا للغرض أو اتجاه السياق تبادل الحديث الذي تخوضه "[٤]. وقد اقترح غرايس أربعة مبادئ تساعد على إقرار ما يكون عليه الإضمار، وهذه المبادئ هي: الكمية، النوعية، الصلة والأسلوب[٥]. و" تستند في أساسها إلى التَّصرف العقلاني والتَّعاوني الذي يتميز به البشر عادةً "[٦]. واستناداً على ما سبق، يرى هشام عبد الله الخليفة أن نظرية غرايس لها قسمان، قسم يتناول المعنى وأنواعه بصورة عامة "وأهم شيء في هذا القسم تفريق كرايس بين معنى الجملة (Sentence –Meaning) ومعنى المتكلم (Speaker –Meaning). فمعنى الجملة هو المعنى الحرفي أو(المعنى الوضعي) ويقابل لدى اللُّغويّين العرب (المعنى الأوّل) أو (المعنى الموضوع له) بمعزل عن السياق. أما معنى المتكلّم فهو

---

[١] يُنظر: التداولية عند العلماء العرب: مسعود صحراوي :٣٣.

[٢] يُنظر: تحليل الخطاب: براون، و. ج.يول، ترجمة: محمد لطفي الزليطي، ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع ـ جامعة الملك سعود ، د. ط ، ١٤١٨هـ ـ (١٩٩٧م): ٤١.

[٣] يُنظر: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري) : أحمد المتوكل ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط٢، ٢٠١٠: ٩٦.

[٤] التداولية: جورج يول :٦٨، نظرية التلويح الحواري : هشام عبد الله الخليفة : ٢٩.

[٥] يُنظر: المعنى في لغة الحوار: (مدخل إلى البرجماتية التداولية): جيني توماس، ترجمة : نازك إبراهيم عبد الفتاح، دار الزهراء الرياض ، ط١، ٢٠١٠: ٨٢.

[٦] نظرية التلويح الحواري: هشام عبد الله الخليفة : ٣٢.

مساوٍ لفكرة التواصل القصدي... وهو يقابل (المعاني الثوني) ... التي هي الدواعي لإلقاء الكلام في سياق معين"[١].

- **أنواع الاستلزام الحواري[٢]:**

لقد ظهر نوعان من الاستلزام الأول، ما يسمى بـ (الاستلزام النموذجي): وهو استلزام ناتج عن مراعاة القواعد والحِكَم بشكل صريح إلى حد ما تاركاً للمخاطب مُهمّة توسيع وتطهير ما قيل باللجوء إلى استدلالات مُباشرة انطلاقا من مراعاة المتكلم للقواعد، ويطلق عليه بالاستلزام العرفي، أما النوع الاخر فيسمى بالاستلزام المخصص: هو استلزام ناتج عن خرق القواعد، ومن ذلك يتضح أن الاستلزام لا ينتج عن خرق القواعد فقط بل الالتزام بها، فالاستلزام العرفي لا يعتمد في تفسيره وتحليله على سياقات خاصة.

- **خصائص الاستلزام الحواري[٣]:**

وقد استطاع غرايس أن يضع يده على سمات الاستلزام الاتية :

– إنَّ الاستلزام الحواري ممكن إلغاؤه، وذلك إذا قالت قارئة مثلاً: لم أقرأ كل كتبك، وقد يستلزم ذلك عند السامع أنها قرأت بعضها.

– إنَّ الاستلزام لا ينفك عن المحتوى الدلالي ابداً أي أنه متصل بالمعنى الدلالي، فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها ويُمثل لذلك بالمثال الآتي:

أ . لا أريدك أن تتسللي إلى غرفتي على هذا النحو.

---

[١] نظرية الفعل الكلامي : هشام عبد الله الخليفة : ١٥٨، ١٥٩ وينظر : نظرية التلويح الحواري :هشام عبد الله الخليفة.

[٢] يُنظر: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية): ٣٤٠. وينظر: التداولية: جورج يول: ٧٧.

[٣] يُنظر: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : محمود أحمد نحلة : ٣٨. ٤٠.

ب . أنا لا أتسلل، ولكن أمشي على أطراف اصابعي لأجل أن لا أحدث ضوضاء، فرغم تغير الصياغة ألا أن معنى الجملة من عدم الرضا على هذا السلوك لا يزال قائماً.

– إنَّ الاستلزام غير مستقر أي متغير، أي أن العبارة الواحدة يمكن أن تؤدي استلزامات مختلفة وذلك كأن يسأل سائلٌ طفلاً يحتفل بيوم ميلاده: كم عمرك ؟ فهو للاستعلام عن العمر وإذا سئل السؤالُ نفسه لصبي عمره ستة عشر عاماً على سبيل المثال فأنّه يستلزم السؤال مؤاخذة عن سلوك الصبي أي عدم الرضا عن شيء فعله الصبي ...

– الاستلزام يمكن تأويله أي تقديره ويمكن توضيح ذلك من خلال المثال :

قيل مثلاً : الملكة فكتوريا صُنعتْ من حديد، فالقرينة تبعد السامع عن قبول المعنى اللفظي، فيبحث عمَّا وراء الكلام من معنى، فيتضح من خلال هذا القول أن المتكلم يريد أن يلقى خبراً بدليل أنه ذكر جملة خبرية، والذي يفترض من المتكلم أن يكونَ مُلتزماً بمبدأ التعاون أي أن يرد القول لا خداعاً ولا تضليلاً، فماذا يريد أن يقولَ؟ والذي لا شك فيه أنه يريد أن يضيف إلى الملكة بعض صفات الحديد كالصلابة والمتانة وقوة التحمل، فيستطيع أن يُفهم المعنى غير الحرفي، فلجأ إلى هذا التعبير الاستعاري.

المبحث الثاني :قواعد الاستلزام الحواري في (ملحمة عيد الغدير)

الاستلزام الحواري في (عيد الغدير) وفق مبادئ الحوار التداولية، وهي كالآتي :

أ ـ **قاعدة الكم:** وتخص هذه القاعدة كمية الإخبار الذي يجب أن تلتزم المبادرة الكلامية، وتتفرع هذه القاعدة (المبدأ) إلى مقولتين :

ـ اجعل مُشاركتك تُفيد القدر المطلوب من مطلوب.

ـ لا تجعلْ مُشاركتك تُفيد أكثر مما هو مطلوب.

فإن خرق هذه القاعدة والقواعد الأخرى تؤدي إلى ما يسمى بـ (الاستلزام الحواري)[1] ولتوضيح ذلك نأخذ بعض الشواهد الشعرية التي من الممكن أن تتضمن هذا المبدأ، فيقول الشاعر:

فأجابوا : هل تشهدُ النهرَ لماءـ ـاً سريعاً ، كالضمَّر المرسلات

قطرة لن تنال من مائه الجـــ ـاري فودّع آمالك الخائبـــات[2]

فالخطاب موجَّه من أهل الكوفة إلى الإمام الحسين(عليه السلام) فما لبث وجدهم يتوعدونه أما أن يموت عطشاً ليجف كالنبت الفاني أو أن يخضع لابن زياد، فكيف يخضع له وهو سبط رسول الله؟!. والتحليل التداولي لهذا النصوصّ يكون كالآتي:

المحتوى القضوي: فهو ناتج من ضم معاني مكونات الجملة (العبارة)، ومكونات الجملة: المتكلم والمخاطب والقصد[3]:

منع الماء الجاري عن الحسين (عليه السلام) من قبل أهل الكوفة، وأما الصيغة الحرفية، فإنها مؤشر لها بأداة الاستفهام (هل)، وأداة النصب والنفي (لن تنالَ)، وصيغة فعل الأمر(ودّع)، وهذه كلها تُعدّ قرائناً لُغوية لاشك أنها تسهم مُساهمة فعَّالة في تماسكِ

---

[1] يُنظر: التداولية عند العلماء العرب : مسعود صحراوي : ٣٣، ٣٤.

[2] عيد الغدير : ١٩١.

[3] يُنظر: المصدر نفسه : ٣٥.

النصّ وتناسقه في العملية التواصلية، فالمعنى الضمني للجملة يتألف من معنيين المعنى العرفي وهو الاقتضاء والمعنى الحواري الاستلزامي[1]، فالمعنى الاستلزامي هو التحدي، تحدي أهل الكوفةِ الإمامَ (عليه السلام) بشأن رؤيته الماء أمام عينيه وعدم السماح له بالشراب منه، والناظر في هذا القول يرى أن المتكلم أسهب في الكلام وأطال أمام السامع ليشعره بالتشوّق لمعرفة الآتي، فالزيادة قد تكون في العبارة (لماعاً سريعا ...) . ومما سبق نجد أن المتكلّم قد خالف إحدى مبادئ الحوار وذلك بموجب قاعدة الكم وبوساطة قانون الزيادة المُتفرع عن هذه القاعدة، ومثل ذلك نراه في هذا الخطاب يقول بولس :

وقَـف السبْـط وهـو فـي شبه رؤيـا ألـبستـه على الجمـال جـمـالا

قـال : إنـي أرى دِمـاء وأشـــــلاءً وغـدراً وخـسَّـة واغتـــيالاً

وقبـوراً تـفـتـحـت جـائـعـــــــاتٍ مـرهـفاتٍ نـيـوبـهـا، أغـــولاً

حـفـرتـي بـيـنـهـا تـحـفّ إليـهـــــا شـيـعـتي، يلثمنـونـهـا إجـلالاً

قـاتـلـتـني آبـائـهـم، فـلـقـيـــــت المـوت مـنـهـم، وذقـتـه أشـكـالا[2]

قبل رحيل الإمام الحسين (عليه السلام) إلى العراق، تلقى رؤيا من ربه حيثُ قال: إني أرى أشلاء اجسادِهم الطاهرة ودماءهم قد اصطبغت الأرض بها، وقد غلبت الأفعال الشنيعة الأرض من غدر وأفعال وخسة. فرأى (عليه السلام) في تلك الرؤيا قبورهم، وقد شاهد قبره من بينها، والناس حول مرقده يأتون من كُلِّ بقاع الأرض بالرغم من أن الذي قاتله وعاداه هم آباؤهم وأَجدادهم .

ويتضح من هذا النصّ أنه يتضمن بالدرجة الأساس الإخبار عن موقف الإمام وهو يسرد ذلك عن طريق رؤيا اتته، وهذا النصّ يتضمن: المحتوى القضوي: كشف

---

[1] يُنظر: التداولية عند العلماء العرب: مسعود صحراوي:٣٥.

[2] عيد الغدير :١٨٠.

الحجاب للإمام (عليه السلام) وما يحدث له في أرض العراق وهناك إشارات أتت له تكشف ماذا سيحل به من غدر وخيانة...، والصيغة الحرفية: فإنَّ المتكلّم (الإمام) أتى بصيغ تدلّ على اليقين، والذي يؤكد ذلك الفعل الذي يدلُّ على الحاضر هو (أرى)، وأما المعنى الاستلزامي هو (التنبؤ) من قبل المتكلّم بما سيحلُّ به في أرض العراق.

قلنا فيما سبق أن خرق هذه القاعدة أو المبدأ يؤدي إلى انتاج خطاب تفاعلي مُستلزم، فالخرق هنا في الزيادة، فالمرسل لم يوجز في سرد خطابه بل راح يطنب في الكلام لكن دون أن يحدث خللاً في المقصد الكلامي، ونستدلُ على ذلك من خطابه عند ذكر بعض الكلمات التي من الممكن أن يستغنى عنها عند المحادثة، وهي : (دماء، أَشلاء، وغدراً...)، وتأكيداً لذلك، تجدر الإشارة إلى ما ذكره طه عبد الرحمن، إذ يرى" أن نظرية غرايس تجعلنا بين أمرين إثنين: إما أن نتبع القواعد المتفرعة على مبدأ التعاون، وإما أن نخرج عنها؛ فإن اتبعناها، حصّلنا فائدة قريبة، هي أقرب إلى ما أسماه الأصوليون بـ (المنطوق)، وأن خرجنا عن هذه القواعد، حصّلنا فائدة بعيدة هي أقرب ما أسمَّاه الأصوليون بـ (المفهوم)[1] ".

ونرى بولس سلامة يُضمن هذا النصّ الشعري بعضاً من آيات القرآن الكريم عن لسان مسلم بن عقيل، مستمداً إيّاه من قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[2]، يقول:

فلنا في القصاص فيضُ حياة وخلودٌ وجنَّـــــــةٌ مأوانـــــا

ونعيم لا يعرف الوقت والسـ ـاعات حداً، ولا يعدّ الآنـــــا

وسواءٌ لديك نشقى بدنيـ ـانا ونبكي، فما ترى دنيانا

نقطة في عباب بحر رحيب كلما ماج حيَّر الربانّا[3]

---

[1] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، ط١، ١٩٩٨ :١٣٩.

[2] البقرة : ١٧٩.

[3] عيد الغدير : ١٧٣.

ونرى في هذا الخطاب أن مسلم بن عقيل يوجه الخطاب إلى عبيد الله بن زياد، مقراً بالنعم الدنيوية والأُخروية من جنة وخلود دائم، رغم شقائه وما جرى له من قبله في الدنيا.

جاء هذا الخطاب على شاكلة الخبر، المتكلّم هو مسلم بن عقيل، والمتلقي هو عبيد الله بن زياد، ويتضمن الخطاب الحديث عن الجنة والنعيم والنعم التي لا تحصى، فعند التأمل في الخطاب نرى الوعد في عيون مسلم بن عقيل بالفوز بالجنة ونعيمها الدائم، وكذلك نجد الرضا بما قدر له في دنياه.

يَتحدثُ المتكلم عن الجنة ونعيمها وأنه رغم شقائه في هذه الدنيا فأنه في مقابل ذلك راضٍ ومستسلمٍ بما يحدث له؛ لتقلب أحوال الدنيا. والصيغة الحرفية: هي التقرير (الإخبار)، بدليل العبارة (ولنا في القصاص فيضُ حياة ...) وهي تعبر عن تأكيد ما سيحصل عليه المتكلّم في الآخرة . وأما المعنى الاستلزامي: هو(الوعد) حيثُ يرى أنه سيحصل على الفوز بالجنة ونعيمها، وإن لاقى الأذى الدنيوي، فيرى أنه من الطبيعي أن لا تصفو له الدنيا فهي أقدار مقدرة له لحكمة الآهية ولاختبار مدى صبره. وإنّ الخرق قد تم في قاعدة الزيادة، حيثُ إنَّ المتكلم أسهب وفصل في هذا القول: (فيضُ حياة وخلودُ وجنة ونعيم) وما يقصد به المتكلم خلوصه من أذى الآخرة جراء ما عانى من أذى في الدنيا .

وفي ضوء ما تقدم نشير إلى خرقٍ آخر حصل في إحدى القواعد الغرايسية وهو إفادة المتكلم بأقل قدر من المعلومات دون حصول خلل في مفهوم العبارة أو القول عن طريق الحذف في إحدى أركان الجملة أو الإيجاز أي أن القول يحمل معاني متعددة نأخذ مثالاً على هذه الحالة من (عيد الغدير) يقول في ذلك:

فـأتـاه الـمـهـنـئون عيـــــــــون الـقـــوم يـبدون آيـة الـتـوقـيـــــر

جاءه الصاحبان[1] يبتدران القـ ـول طلا على حقائق العبير

بتّ مولىً للمؤمنين هنيئاً للميامين بالإمام الجدير[2]

في يوم الغدير جمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس ليخطب بهم بخطبة واضحة الكلمات صريحة المعاني، كشف فيها أن الإمام علي (عليه السلام) سيتولى أمورهم من بعده، فراح الناس يبايعونه ويهنئونه، حينها جاءه أبو بكر وعثمان بن عفان يقدمون التبريكات له، وكذلك لبيعته والامتثال لإمره بهذا؛ لأنه صار مولى للمؤمنين والمؤمنات.

إنَّ القائل يخبر عن قضية مهمة الا وهي يوم مُبايعة الإمام علي (عليه السلام) تلك الحادثة التي لا زال لها وقع عظيم في نفوس المؤمنين، ويصف أسلوب بعض الصحابة في تقديم التبريكات له.

الصيغة الحرفية هي: الإخبار والوصف الذي يُبينه القائل عن تلك الحادثة، وكذا القول: هنيئاً يَدلُّ على التهنئة لأجل البيعة. ويتضح من هذا أن الخطاب يكون السياق فيه (تهنئة)، وهذا المعنى يندرجُ تحت صنف (التعبيريات) كما صنفها سيرل وتعظيم واجلال لمكانة الإمام ومنزلته، وأن القول: هنيئاً يتضمن معنى الدعاء، فالمتكلم يهنئ الأمة الاسلامية بهذه البيعة المباركة، على ما يبدو أن خرق أحد مبادئ التعاون هنا قد يكون في اللفظ وهو(الصاحبان)، حيثُ إنَّ هذا اللفظ مقتصر على بعض الصحابة منهم أبو بكر عمر بن الخطاب، فالمرسل (القائل) عبّر بهذا اللفظ عن الصحابة، ذلك أن التصريح بهما في النصّ يؤدي إلى التطويل في الكلام، أما الاختصار في القول يَجْعَلُ النّص ذا طاقة ابلاغية ليؤثر في المتلقي ويجعله يؤوّل الخطاب بحسب ما يفهمه من سياق النصّ. أما الحذف فنجده في (المفعول المطلق هنيئاً)، فالحذف الحاصل هنا الفعل أهنأ.

---

[1] الصاحبان: يقصد بهما كبار الصحابة ، أبا بكر و عمر بن الخطاب ، يُنظر :عيد الغدير: ٧٨.

[2] عيد الغدير: ٨٢.

ومثال آخر يمكن أن نرى فيه خرقاً لقاعدة الكم، ومنه قول بولس سلامة عن لسان حال عبد المطلب:

ربـي ارْحَـمْ عـبـيـدك الـيـوم واعْـطِـفْ واسـتـجبـنـا بـديـمـة[1] وطـفـاء

لا عـلـيـنـا بـل حـولـنـا الـغـيّ يـهـمـي وتـسـيـل الـحـيـاة فـي الـغـبـراء[2]

والذي ينجلي في هذا الخطاب، توجه عبد المطلب بالدعاء والرحمة إلى الله سبحانه وتعالى، بعد أن أصاب قريشاً الجفاف ونالهم البأس ليصلي بهم صلاة الاستسقاء وأن ينزلَ عليهم مطراً ساكناً يعيد الروح إلى أرضهم.

إنّ المتكلّمَ يطلبُ العونَ من الله سبحانه وتعالى أن يغيثَ القوم جراء ما حلَّ بهم من الغضب والسخط .إنَّ الصيغة الحرفية : ما دلّ عليه المعنى الحرفي من أسلوب الأمر بـ (ارْحَمْ و اعْطِفْ) ، وهي صيغ دلت على فعل الأمر، لكنها جاءت لمعنى آخر.

أما المعنى الذي يتضمنه القول هو (الدعاء والتوسل والرجاء وطلب الاغاثة) من قبل المتكلم، وما نلحظه في هذا النص أن الحذف يكون في العبارة (واعطف) الذي حذف هو (علينا) ذلك أن المتكلم عالم بإنَّ السامعَ عارف حالهم.

ونلمحُ في موضعِ آخر ظاهرة الحذف، يقول بولس سلامة في وصف حالة عبد الله واصفا حالته وهو الفتى الشجاع يقول:

يـا شـفـار الـسـيـوفِ رفـقـاً بـعـبـــــــدِ الله،[3] يـفـتـرُّ وردة بـيـضـاء

---

[1] ديمة : مطر يكون مع سكون ، وقيل : يكون خمسة أيّام أو ستة ، لسان العرب : لابن منظور : مادة (دوم) ٤/ ٤٤٦.

[2] عيد الغدير: ٢٠.

[3] هو عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ويذكر أن حرملة بن كاهل الاسدي قتله. يُنظر: مقاتل الطالبين: لأبي الفرج الاصفهاني(٣٥٦هـ)، تحقيق : أحمد صقر، طبع بدار أحياء الكتب العربية . القاهرة،(١٣٦٨. ١٩٤٩) ، د . ط :٨٩.

فـرّ مـن خـيمـة النـسـاء، وجـاء الـعـــ ـمَّ يـفـدي، فـمـا أجـلَّ الـفداء[1]

يعبَّر الشاعر عن حدثٍ تاريخيٍ يمثّل أروع صور البطولة والفداء عن طريق هذه المقطوعة التي قدمها بحق عبد الله (عليه السلام)، يستغيث تلك السيوف ذات الشفار الحادة أن ترفقَ بعبد الله وأن تخففَ وطأتها واصفاً ايَّاه بصفاءِ نيته، وأنه كالزهرة البيضاء .

المحتوى القضوي : يتوجه الشاعر إلى السيوف يَطّلبُ منها أن ترفق بحالة هذا الفتى عبد الله .

الصيغة الحرفية : استعملَ المتكلم الصيغ التي تدلُّ على الطلب وهي(النداء، والقرينة اللغوية هي حرف النداء يا، ورفقاً. المصدر النائب عن فعل الأمر).

يتضمن قول الشاعر : التفجع والتحسر بألم، على الفتى والاسترحام أي طلب الرحمة من السيوف هو أدنى شيء يمكن أن يقدمه المتكلم بحق هذا الفتى الباسل. وموطن الحذف يكون غير ظاهر على سطحية النصّ يمكن أن يستنبطه الباحث من النصِّ فيفهم، إذ دلت القرينة عليه، فالذي حذف هو فعل الأمر وتقديره: ارفقي رفقاً والذي دلّ عليه هو المفعول المطلق رفقاً، والذي يؤيد ذلك "أن المتكلمين هم الذين يوصلون المعنى عبر التضمينات وأن المستمعين هم الذين يتعرفون على هذه المعاني الموصلة عبر الاستدلال. وأن الاستدلالات المختارة هي التي ستبقي على افتراض التعاون قائما "[2] .

وفي الاطار نفسه يدور الحوار بين زينب والحسين (عليهما السلام)، فالشاعر يوظف آلية الحذف في شعره ويجسده في هذا الحوار من خلال البيت الآتي:

احـبـسـيـه قـال الـحـسـيـن، فـلـم تـفـــ ـلـح وزادت عـلـى الـلَّـظـاء لـــظـاء

---

[1] عيد الغدير: ٢٠٣.

[2] التداولية: جورج يول: ٧١.

قال: إنّي أموت في ظل عمـــــّي بعد عمّي أرى الحياة عفاء[1]

وتجدر الإشارة إلى أن بولس سلامة اقتبس النّصّ من أقوال أهل البيت (عليهم السلام) :" خرج عبد الله بن الحسن بن علي (عليه السلام)، وهو غلام لم يراهق من عند النساء يشتدُّ حتَّى وقف إلى جنب الحسين (عليه السلام) فلحقته زينب بنت علي عليه السلام لتحبسه فقال الحسين (عليه السلام): احبسيه يا أختي! فأبى وامتنع امتناعاً شديداً وقال: لا والله لا أُفارق عمّي" [2] ، وهذا ما أكدته المصادر التاريخية.

ومن الوسائل التي يستعملها اللسانيون في النصّ الحذف، وقد عرّفوه بأنه " استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدّل بوساطة العبارات الناقصة "[3].

المحتوى القضوي: يطلب الإمام الحسين (عليه السلام) من زينب (عليها السلام)أن تمنع ابن الحسن بن علي (عبد الله) أن يخرج معه لمواجهة العدو خوفاً عليه من الأعداء، فالصيغة الحرفية: استعمل المرسل صيغة فعل الأمر هو الفعل (احبسيه)؛ فالحذف هنا أبلغ من الذكر فالحوار الذي دار بين الحسين وزينب (عليهما السلام) يضمنه معنى (الأمر الحقيقي)؛ فالطلب صدر من المتكلم إلى المخاطب، فالإمام الحسين (عليه السلام) مفترض الطاعة وكلامه إلزامي. ولتأكيد على مظاهر الحذف والاختصار في هذا الخطاب حذفت جمل يستطيع الذهن تقديرها حسب ما يذكره النحويون ويمكن تأويلها عند ملاحظة مواقع ورودها بحسب السياق الذي وردت فيه، فالمحذوف بحسب رؤية التداوليين، أن السيدة زينب (عليها السلام) طلبت منه أن لا يذهب بعد مناداة الحسين لها فقسم أن لا يترك الحسين، ورفض ذلك الأمر، أنه يفضل الموت في ظل عمه؛ لأنه لا يرى نوراً في الحياة بعده.

---

[1] عيد الغدير:٢٠٤.

[2] بحار الانوار : العلامة المجلسي : ٤٥/ ٥٣.

[3] النص والخطاب والاجراء: روبرت بوجراند: ترجمة تمّام حسّان، القاهرة، ط١، ١٤١٨، ١٩٩٨: ٣٠١.

ب ـ قاعدة الكيف: وتَنصُّ هذه القاعدة على منع إدعاء الكذب أو اثبات الباطل. ولهذا يطلب من المتكلم ألا يورد من العبارات سوى التي وقف على دليل يثبت صحتها[1]. أي يجب على المتكلم أن يكون صادقاً في خطابه ومتأكدا من الأدلة وخلاف ذلك يحدث الاستلزام الحواري إذا فقد مبدأ الصدق وعدم توفر الأدلة لدى المتكلم. ويمكن تمثيل ذلك ببعض الأمثلة من (عيد الغدير) التي تفتقد إلى قاعدة الصدق من قبل المتكلم الذي يصف الحسين بالكذب، وهذا الأمر يخالف الواقع إذ يصف بولس سلامة لسان حال عبيد الله بن زياد، وهو يعلن عن قتله الإمام الحسين(عليه السلام):

قد ذبحنا الكذَّاب يعني ـ حسينا ـ واقتلعنا أرومة الافساد

كاذباً كان، ثائراً كأبيه لا كريماً ولا رفيعَ العماد[2]

يصف بولس اعلان ابن زياد عن قتل سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين (عليه السلام) غير مكتفٍ بذلك، وإنما راح يلقي التهم إليه إذ نراه يصفه بأنه أصل الفساد وقضى على الفساد بقتله، وأنه كان كاذبا، ولا كريما، يقصد الإمام علي (عليه السلام)– ولا يعتمد عليه في قيادة المعسكر والجيوش، حاشاه أن يكون كذلك .فقد اعلن ابن زياد عن مقتل الحسين وخطابه تعلوه نبرات الفرح. يتضمن الخطاب الذم وإلقاء التهم على الإمام (عليه السلام) من دون وجود دليل على ذلك، فهذا الكلام صادر من مرسل يفتقد كلامه إلى الصدق أي أن المتكلّم قدّم معلومات كاذبة بحق الإمام، فالحسين (عليه السلام) معروف بالصدق والإصلاح والكرم وحسن ريادته للمعسكر.

يقول الشاعر وهو يخبر عن حال الإمام علي (عليه السلام) في موقعة الخندق، وهو يصف شدة الغضب والحالة التي عليها الإمام، فالخرق في قاعدة الكيف يكمن ناحية الوضع اللُّغوي :

---

[1] يُنظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني : العياشي أدراوي :٩٧.

[2] عيد الغدير:٢١٥.

شبَّت النارُ في جفون عليّ طَفحَ الكيل دافقا في امتلائه

قال: إنَّي له وان كان عمراً وغلى كالهجير[1] عند اصطلائه[2]

والذي يتمثل في هذا الحوار قيام النبي(ص) بحثِ الإمام علي (عليه السلام) بالإقبال على عمر بن ود العامري، فألبسه درعه وناوله سيفه والرَّاية، فأقبل (عليه السلام)، وقد اتقدت عيناه ناراً تلظى لكي يذود عن حرم المسلمين، فمهما كانت قوة العدو كان الإمام لا يبالي لذلك، ولا يكترث لأمره، فغلت دماؤه كشدة الحر في عزّ النهار.

يتمثل الخرق في قاعدة الكيف من ناحية الوضع اللُّغوي القول (شبت النار في جفون علي)، فمن الناحية العقلية لا يمكن أن تشب النار في العيون، قال ذلك لتشبيهه بغضب الإمام في مواجهة الخصم، والخرق قد يكون في العبارة (وغلى كالهجير)، ففي الوضع اللُّغوي أي العبارة الحرفية للقول الغليان للماء، ولكن استعملت الكلمة هنا لتشبيهه بالهجير تعبيراً عن شدة غضبه. وحصل هذا الخرق نتيجة التعاون بين المتكلم والسامع في قدرة أي من المتحاورين على فهم الآخر بموجب القصد الذي يفهمانه من الحوار، فالمعنى المستلزم هو شجاعة الإمام وقابليته في التحدي ومجابهة العدو دون التردد والخوف، والاستصغار والتقليل من شأن الخصم. ومما يتأسس عليه أن الاستعارة تصنف ضمن الآليات المستعملة التي تخرق قاعدة الكيف[3] نمثل لذلك بقول بولس سلامة:

أرضعته الاحقادَ مذ أن ارضعته ذئبةٌ درَّ ثديُها أضغاناً[4]

فيبقى الخطاب مُستمراً بين ابن زياد ومسلم بن عقيل، فيصفه (مسلم) أنه يجسد الضغائن بعينها وأن أساسه وأصوله أحقادٌ، فيرى أن أمه أرضعته حقداً لا لبناً. وبهذا

---

[1] الهجير: إنه شدة الحر، لسان العرب: ابن منظور: مادة (هجر): ١٥: ٤٣.

[2] عيد الغدير: ٦٠.

[3] يُنظر: استراتيجيات الخطاب: عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٤٤٠.

[4] عيد الغدير: ١٧٥.

يمكن اعتبار الكذب، بهذا الصورة المجازية، والتي تعطي إشارة واضحة على قصد المرسل، بأنه مخالفة صريحة من خلال الوضع اللُّغوي[١]. لكن الحقيقة تطابق العالم الخارجي من حيث إنَّ ابن زياد يتصف بالأحقاد، وبفضل فهم المتلقي الخطاب اعتمادًا على ما يدور في ذهنه من أفكار وامتلاكه التصورات والتخيلات والتأويلات حول هذه الشخصية أي توفر الأوليات على هذه الشخصية الحاقدة البغيضة في ذهن السامع حصل الاستلزام بموجب مبدأ التعاون الذي اقترحه غرايس، فالصيغة الحرفية هي الإخبار عن هذه الشخصية والمعنى المستلزم التعبير عن حالة الخبث والحقد التي يحملها ابن زياد. فيمكن أن نعدّ الخطاب خطابَ كذب من ناحية أنه لا يُقصَد به الرضاعة التي تغذي الوليد الصغير، وانما الخبث والحق وما يندرج تحتهما من صفات التي زرعت فيه وتأصلت في أرومته.

ونمثل لخرق قاعدة الكيف بقول الشاعر:

زمجر الليثُ قائلاً: لا تمانعْ مدَّكَ الله في لظى نيرانه[٢]

في هذا الخطاب يتبين لنا أن أبا ذر الغفاري ينهي عثمان بن عفان عن قبح فعله لتماديه واسرافه وظلمه عندما أمر عثمان بنفيه إلى الفلاة وقف له أبو ذر الغفاري لينهاه عن قبح فعله، فأخذ الإمام علي (عليه السلام) يرافقه في طريق وصوله إلى منفاه، فاعترض مروان طريقه وأخبره بأن أبا ذر لا يستحق التبجيل، وأن عثمان أمره أن لا يذهب إلى تشيعه، فأثار ذلك غضب الإمام علي (عليه السلام)، فوصف الشاعر الإمام (عليه السلام) بقوته وثبات عزيمته بأنه كالليث، فأخبر الإمام مروان أن يغرب عن طريقه، حينها دعا الإمام ربه أن تناله نيران جهنم[٣] .

---

[١] يُنظر: استراتيجيات الخطاب: عبد الهادي بن ظافر الشهري : ٤٤٠.

[٢] عيد الغدير : ٩٣.

[٣] يُنظر: عيد الغدير : ٩٠.

قد يتبادر إلى ذهن القارئ أين يقع ذلك الخرق (الكيف) ومضمون الخطاب يطابق العالم الخارجي من حيث صحة الحادثة؟ فالخرق يكون في القول:(زمجر الليث قائلاً ...)، فهذه العبارة تبين كذب الخطاب من ناحية الوضع اللُّغوي كما ذكر ذلك الشهري، فهذه العبارة لا يقصد بها ذلك الأسد الحيوان، فالمرسل أراد أن يصف شجاعة الإمام (عليه السلام) مشبها إياه بالأسد، فالخطاب هنا يتضمن التوجيهات من قبل المرسل بأساليب مُعيّنة هي (النهي والدعاء)، فالنهي متمثلا بالقول: لا تمانعْ، والدعاء متمثلا بالقول: مدَّكَ الله، ونرى أيضاً خرق لمبدأ الكم بالنقصان، ويكمن ذلك الحذف (مضمرات القول) في حذف بعض الكلمات وامكان تأويلها في ذهن المتلقي بفضل مبدأ التعاون، والتأويل لذلك: لا تمنعني في تشييع أبي ذر...

ونرى بولس سلامة ينعى الإمام علياً (عليه السلام)، ويصف حجم الألم والحزن الذي عمَّ مسجد الكوفة فيقول:

جَهشَ المَسْجِدُ اليَتِيمُ بكاءً حين غابَ الإمامُ مِنْ فُقْهَائِه

وبَكَى الشَّطُّ والفراتُ وغاضت زَفْزَفَاتُ الهزارِ في غينائه[1]

ويتجلى في هذه الأبيات الحزن والألم الذي يتضح بين ثنايا الكلمات، وبيان مدى عظم المصيبة وعبَّر بولس عن ذلك الألم بحرقة وعبرة .

فقد أطلق بولس لفظ اليتم على المسجد ، وأطلق صفة البكاء عليه، وكذا الحال عندما أطلق صفات البكاء على الشط والفرات[2]. فالمعنى الحرفي للأبيات أن بولس سلامة المسجد قد شبه المسجد باليتيم، وأخلع عليه إحدى صفات الإنسان وهي البكاء، وكذلك الشط وهو أحد مظاهر الطبيعة اضفى عليه صفات الإنسان إذ إنَّ البكاء خاص بالإنسان دون غيره، فالمعنى المستلزم تعظيم أمر ما حلَّ في الكوفة بعد وفاة الإمام علي (عليه السلام)، والإخبار عن مدى الحزن والتوجع بعد قتله، فالخرق

---

[1] عيد الغدير : ١٣٧.

[2] يُنظر: ملحمة الغدير لبولس سلامة (ت١٩٧٩) دراسة بلاغية : دعاء عدنان :١٦٤.

على ما يبدو في : جهش المسجد اليتيم، وبكى الشط والفرات ... فيكون في الوضع اللُّغوي، دلالة السياق توحي صدق الحادثة وصحة نعي من حزن عليه، وهذا الخرق حاصل في قاعدة الكيف أي أن المسجد والشط والفرات لا يبكيان، ويمكن أن نستدلَ على ذلك ما يراه بعض الباحثين، فقد يفسر الاستعارة بأنها خرقٌ مقصود لنوع من المبادئ، فتنتقل التراكيب اللُّغوية من معناها الحرفي إلى معنى مستلزم على طريق الاستعارة بوصفها آلية من آليات الإنتقال وهذا ما نادت به الباحثة (تيريزا زينسكا)[1].

وقيل في هجرة الإمام علي (عليه السلام) :

يا رمالَ الصحراءِ هذا عليٌّ فاملَئِي الدربَ والضفافَ أزاهر

هو بعد النبيِّ أشْرف ظلّ لَاحَ في السَّبْسَبِ الحليّ مُهَاجِر

حَمّلِي اجنُح الأثير نَسِيْمَاً من جفونِ الاسحار ريَّان عَاطِر

وَلَيفضْ صدرك المعبَّس واحاً باسماً بالرطيب في وجه عابر[2]

والذي يتبين من هذه الأبيات أن الشاعر يتوجه بندائه إلى رمال الصحراء أن تملأ الأرض والطريق الذي سيمر عليه أشرف الخلق بعد الرسول(صلى الله عليه وآله) وهو الإمام علي(عليه السلام) زهوراً، طالباً منها أن تغير رياحها الملتهبة إلى نسائم تحمل ألوان العطور وأن تبدل شكلها إلى واحة وأن ترطب الغيوم جوها[3]. فالخرق الحاصل في هذه الأبيات على ما يبدو في (قاعدة الكيف)، ونجده في العبارة : يا رمال... أملئي الدرب... أزاهر، فيعد المعنى الحرفي لهذا اللفظ، وكذلك نجد هذا الخرق في العبارة: حملي اجنح الأثير نسيماً، فالمعنى الحرفي يتنافى مع ما يقصده الشاعر، ونَجد خرقاً آخر في قاعدة المناسبة حيث استعمل الشاعر لفظة (صدر) وهو لفظة مستعارة

---

[1] يُنظر: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية (ظاهرة الاستلزام التخطابي أنموذجاً): ليلى كادة ، أطروحة دكتوراه :٣٨١، وينظر: استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي (عليه السلام) (مقاربة تداولية) : باسم خيري خضير، كربلاء : العتبة الحسينية المقدسة ـ مؤسسة علوم نهج البلاغة، ط١، ٢٠١٧ : ١٧٣.

[2] عيد الغدير : ٣٥.

[3] يُنظر: ملحمة الغدير لبولس سلامة (دراسة بلاغية) : دعاء عدنان :١٣٧.

للرمال، فالقصد من ذلك طلب بولس من الغيوم أن تمطرَ لترطيب تلك القفر الخالية تمهيداً لاستقبال الإمام (عليه السلام)، فهذا الشيء مخالف للواقع، لكن الشاعر استطاع أن يؤدي القصد للمتلقي وأن يصل إليه المعلومة، فنرى أن المعنى المستلزم من هذه المقطوعة يتمثل في التعظيم للإمام علي (عليه السلام)، وقد يكون الخرق في قاعدة المناسبة بأن جعل للسماء صدراً.

ج ـ قاعدة الملائمة[1]: وتنصُّ هذه القاعدة " بالتقيد بموضوع الحوار؛ أي يجب ألا يكون تدخل المساهمين في الحوار خارجاً على الموضوع المتحاور"[2]، أي ليكن كلامك مُناسبا ذات صلة بموضوع الحديث، ففي هذه الحالة ينبغي أن يناسب المقال المقام وخلاف ذلك يحدث الاستلزام الحواري نتيجة الخرق في هذه القاعدة[3]، ويمكن التمثيل لهذه القاعدة بمثال يُبيّن ذلك:

كأنّ يسأل المتكلّم سؤالاً فيقول: أين علبة الحلوى؟ فيجيب الآخر السامع: الأولاد كانوا يلعبون في غرفتك هذا الصَّباح. فعلى المستوى الشكلي يبدو الجواب مخالفاً لقاعدتي الكمية والصِّلة (المناسبة)، مع افتراض روح التعاون بين المتحاورين، فعلى الرغم من أن الجوابَ غير مناسبٍ ظاهريّاً، بيد أنه يمكن أن يفسر ويؤول على مستوى أعمق، ويُستدَّل على ذلك هو أن الأطفال قد يكونون أَكَلوا الحلوى[4]. وتجدر الإشارة إلى أنه تكمن تحت مقولة: أجعل مشاركتك ملائمة، الكثير من المشاركات

---

[1] قد ترد هذه القاعدة ببعض التسميات منها: (الورود، العلاقة، المناسبة، الصِّلة والاضافة) : من استنتاج الباحثة.

[2] التداوليات (علم استعمال اللُّغة): حافظ اسماعيلي علوي:١٠٨.

[3] يُنظر: نظرية التلويح الحواري: هشام عبد الله الخليفة:٢٩. يُنظر: أفاق جديدة في نظرية البحث اللغوي المعاصر:٣٤.

[4] يُنظر: المصدر نفسه :٣٠.

الصعبة أو العسيرة: منها معرفة طرق افتتاح الكلام، وأنواع التدخل المُناسب، وتغيير موضوع المحادثة وحسن التخلص...[١].

ونمثل لقاعدة الخرق في بعض الأبيات التي وردت في ملحمة (عيد الغدير) ومن هذا المنطلق نرى أن بولس سلامة قد وظف الألفاظ التي يحصل بها الخرق في النّصِّ الشعري فقد وقع الاختيار على هذا النص :

ورأى فضلة المنون علياً يتهاوى من علَّة وسهاد

هاله أن يرى من الباز فرخاً لم تنله حبالة الصياد

بشَّروه بحصد أَهل الحسين عجباً أين كان يوم الحصاد[٢]

أراد بولس سلامة أن يعبر عن لحظات مؤلمة مرَّ بها الإمام علي ابن الحسين (عليهما السلام)، نلمح مشاعر الحقد والبغض من عبيد الله بن زياد، وذلك من كلماته التي استعملها في معاملة أهل البيت (عليهم السلام)، ويصف الشاعر لحظة إعلامه بقتل أهل البيت (عليهم السلام) من قبل عبيد الله بن زياد بخطاب يحمل القسوة مستفهما عن سبب عدم لحاقه بهم.

ونجد أن المتكلم خرق مبدأ المناسبة في قوله :(بشَّروه بحصد، أين كان يوم الحصاد)، أنه استعمل الفعل (بشَّر) وأصل استعمال هذا الفعل في مقام الفرح وهو يريد التهديد بالقتل لعلي بن الحسن هذا هو المعنى المستلزم ، واستعمل المتكلم كلمة (حصاد) والتي في أصل وضعها لحصاد الزرع، فالمعنى المستلزم من هذا القول الاستهتار بأرواح أهل البيت من قبل المتكلم . وتجدر الإشارة أنه ورد الاستفهام التعجبي لغرض الندم من قبل المتكلم عن تفويت الفرصة فرصة قتل علي بن الحسين. فالمقال لا يُناسب المقام بالنسبة للمتكلم، فالاستلزام حصل في قول عبيد الله

---

[١] يُنظر: الاقتضاء العرفي والتخاطبي (دراسة مقارنة بين جرايس والمدرسة الشافعية) : عبده سيد حمادي ، جامعة الكويت ، د. ط ، ١٩٩٧: ٨١.

[٢] عيد الغدير .

بن زياد . ورغم الخرق الحاصل استطاع المتكلم أن يصل إلى المعنى بشكل كامل، كلُّ هذا حصل بفضل مبدأ التعاون الذي سنَّه غرايس.

وقد نجد الخرق (مبدأ المناسبة) في قول الشاعر :

خَمَدَ النطقُ في اللسانِ، وغَاضَ العَقلُ، في سُورَةِ السَلَاف المَاحِي[1]

يصف بولس سلامة الحالة التي كان عليها يزيد بن معاوية وهي جزء من شخصيته، حيث يتميز بفسقه وفساده وإدمانه الخمر ومجالسها، فأضحى غير قادر على أن يميز الباطل من الحق فكان كالغشاوة على قلبه وبصره . فالخرق الحاصل يتمثلُ في القول : خمد النطق، فالنطق اللفظ المُناسب له هو السكوت، فالخمود للنار إذا كانت مشتعلة، فالكلمة لا تلاءم مع المقام إذا نظر إلى معناها الحرفي، فاللفظ خمد النطق يُعدّ استعارة .

وقد ورد قوله وهو يخاطب معاوية ويراه بأنه شخص لا يحمل أي كرامة، فيقول :

أعجيب إذا نشأت لئيماً في وحول تعجّ بالديدان

فهنيئاً أبا يزيد بصحبٍ بَصقَته الأقذار نسلَ[2] **زوانِ**[3]

يذهب الشاعر في تعبيره مذهب صدق في وصف نسل معاوية ويشبهه كمستنقع الوحل الذي يعج بالديدان، ولا يتعجب من أنه نشأ كذلك والذي يدلل على ذلك أصوله .

---

[1] عيد الغدير :١٥٠.

[2] زوانِ : جمع زانية .

[3] عيد الغدير : ١٤١.

فنجد الخرق في قاعدة المُناسبة يتمثلُ في القول:(فهنيئاً أبا يزيد) وهو تهكّم، فاذا ما نظر إلى هذا القول نرى أن المعنى الحرفي يكون للتهنئة في المناسبة، ولكن السياق يُدلنا على معنى مستلزم وهو التهكم والسخرية والتحقير من نسل معاوية .

وفي الموضوع نفسه يدور الحديث عن معاوية يقول الشاعر :

بَسَـــمَ الحـظُّ يا مـعاويَ فَـاجلِسْ فـوق عـرشٍ مـن الـمَآثمِ فـانٍ

إنَّ عـمَّالَك الـــطـغاة نـمـــــــورٌ مُـرهِـفَاتُ الـنِيوبِ لـلرعيـــــانِ

فَـاسْـتَـطَالتْ عـلى الـرعيَّـة إجـراماً ونَـــهْـبَـــاً مُـنـوّع الألـوان[1]

والذي يتضح هنا أن الشاعر يرى أن الحكم لمعاوية ما هو ألا أيام قليلة نتيجة أفعاله، ويرى أن السلطة التي حصل عليها ما هي ألا حظ حصل عليه لفترة مؤقتة فلبيتسم الحظ له كما يشاء، فإنَّ أيامه محدودة في الحكم؛ لأنها مبنية على اساس المآثم .

إنَّ هذا المنطوق (بَسَمَ الحظ) غير مناسب حرفياً وهو استعارة، لكنه حسب قصد الشاعر يرشدنا إلى استلزامات حوارية مناسبة، تشير إلى ما يريد أن يعبَّر عنه الشاعر إلى البغض والكراهية لمعاوية واتباعه من خلال تمسكه بالسلطة، والوعيد بما سيحصل له جراء ما قام به من تحريض لمن ولّاهم إلى اخره من افعال، فلا سلام حلَّ في البلاد مع معاوية واتباعه .

كأنَّ الشاعرَ يريدُ أن يقولَ مهما حصلت عليه من سيطرة وسلطة وحكم فأنَّ كل هذا زائل سيزيله الله بلمح البصر يا معاوية. وتأكيداً لذلك أنَّ المنطوقَ: بسم الحظ ، خالف مبدأ من مبادئ الحوار التي نصَّ عليها غرايس مبدأ الصدق عندما عدل الكلام من معناه الحرفي إلى معنى يفهمه السامع اعتمادا على العملية الذهنية التي يتمتع بها العقل البشري والسياق، فحوّل الشيء المعنوي وهو الحظ إلى شيء يمكن أن نلمحه، فالابتسام خاص للإنسان.

---

[1] عيد الغدير : ١٤٢.

وينقل الشاعر حدثاً من أحداثِ موقعة الجمل يبين لسان حال المنادي بأمر من الإمام علي (عليه السلام) فيقول :

وأذاعَ الأميرُ لا تـقـتـلـوا الـجـرحـــــــى ورفـقـاً بـهـاربٍ مِـجْـفَـــال

وحِـرامَ نـسـاؤهـم ولـكـم سـهـــــــــم عـدول فـي قـسـمـةِ الأمـوال

قـال: فـأشاروا عـلـيه أن يـقـتـلَ الأسـ ـرى وفـيـهـم سـلالة الأصـــــلال[1]

قـال : بـل رحـمـة لـمـن يـتـزكّـى لـلـمـصـلـيـن، رحـمـة لـلـعـيـال[2]

بعد الأحداث التي حصلت في موقعة الجمل نهى الإمام علي عن قتل الأسرى، وأمر بإكرامهم والرفق بهم، فأن بايعوه وامتثلوا لأمره عفا عنهم، فأخبرهم الإمام أن كلّ الأموال والأملاك حل لهم الا نسائهم حرمت عليهم، فغضب جمع منهم وعارضوه على ذلك الامر[3] .

تشير هذه الأبيات إلى الخرق الحاصل في قاعدة المناسبة وهذا مرتبط بالسياق، يتمثّل في القول : لا تقتلوا الجرحى ... فأشاروا عليه ... قال بل رحمة الله، فالخرق الأول يكمن في القول أشاروا عليه أن يقتل الأسرى، فالمعنى هنا حرفي، أما المعنى المستلزم الرفض الحاصل من قبل المتلقي والاصرار على فعل خلاف ما طلب الإمام عليّ (عليه السلام)، وكذلك نجد الخرق حاصل في قاعدة المناسبة في رد الإمام (عليه السلام) بقول:((بل رحمة الله تزكّى))، وكان من المفترض أن يكون الرد: ((لا اقتل أسير أهل القبلة))، وكذلك قد يكون الخرق في قاعدة الكم من حيث إن هناك تراكيب حُذفت في الكلام يمكن أن يُفهم من سياق الكلام، في التساؤلات التي طُرحت على الإمام في كيفية الحصول على الأموال لا النساء بعد الموقعة. فالمعنى المستلزم من

---

[1] ومفرده (أصل)، ومعناه: الحسب.

[2] عيد الغدير: ١١٣.

[3] يُنظر: عيد الغدير: ١١٠.

هذا الحوار يوجه المعنين أن لا يخالفوا المبادئ التي وضعت لهم ويقابل ذلك الرفض المتعمد المتلقي.

ومنه قول بولس سلامة:

وَصَحَا غبَّ سَاعة هَاتفاً أختـ ـاه بنت العواتك الفاطمات

أنني قد رأيت جدِّي وأمي وأبي والشقيق في الجنات

بشروني أني اليهم سأغدو مُشرق الوجه طائِر الخطوات

فبكت والدموع في عينِ أختٍ نفثات البركان في عبرات[1]

ويقف الشاعر على حوارٍ دار بين الإمام الحسين وزينب (عليهما السلام) يخبرها عن طيف أو رؤيا زارته بأنه رأى النبي (ﷺ) وفاطمة الزهراء وعلياً وأخيه يخبرونه بأنه سيتبعهم في القريب العاجل شهيداً مشرقاً تعبق جروحه برائحة المسك، فحزنت لفراقه حزناً شديداً وبكت بحرقة بكل جوارحها.

ويلحظ هنا الخرق المتعمد من قبل المتكلم في قاعدة الكم (الحذف) والكيف والملاءمَة، فالملاءمة متمثلة في القول: بشروني اليهم، فالمعنى الحرفي يحمل في ظاهره البشرى والسعادة، فمن المفترض أن يقول المتكلم: أخبروني أو أعلموني... وفي الوقت نفسه تبنى المتكلم مبدأ الخرق في الملائمة اعتماداً على الفهمِ الحاصل بينه وبين المتلقي- زينب (عليها السلام)- دون أن يخل ذلك في القصد من الحوار، أما خرق قاعدة الكم (الحذف)، فيكمن في حرف النداء المحذوف ـ يا ـ وخرق مبدأ الكيف يكمن في القول: نفثات البركان، فهو يشبه عينيها ـ وهي تبكي بحرقة من شدة الحزن ـ بالحمم البركانية التي تخرج من جوف البركان، فهذا القول من حيث المعنى الحرفي يأباه العقل البشري، ولكن المعنى المستلزم يدلُّ على شدة الحزن التي هي عليها، وتأكيداً لهذا القول نذكر ما أورده أمبرتو ايكو يقول: " من

[1] عيد الغدير : ١٩٢.

البديهي أن من يستعمل استعارة، فهو حرفياً يكذب[1]" قلنا أن مثل هذا النوع من الأقوال يُعدّ خرقاً لمبادئ الحوار، ويتم بموجب مبدأ التعاون بين المتحاورين في العملية التواصلية. فالمعنى الحرفي من هذا الحوار يتمثل في: الإخبار، والمعنى المستلزم يتمثلُ في الوعديات والتعبيريات، وتم الحوار بين المتكلم والمخاطب في رتبة الالتماس أي أن المتحاورين من الرتبة نفسها.

ويمكن أن نلمح مثل هذا الخرق، وهو ما نقله بولس سلامة عن أحداث غزوة بني سليم فيقول :

جَـاء مـن أنـبـأ الـنـبـيّ بـــأن النَّـارَ مَـدتْ لِـسَانُهَا لاسـتعار

فَسْلِيمٌ تَروم يـثـرب تـــــلاً مـن رمـادٍ يَـروي نَـشِـيدُ الدمـارِ

وسَلِيْمٌ فـي بـطـنِ وادٍ كـعـمقِ الخـبثِ في صَـدرِ حـاسِـد غدَّار[2]

ينقل بولس سلامة حدثاً تاريخياً مُهماً يكشف من خلاله ما قام به بنو سليم بتجهيز جيوشهم وتحاملها على يثرب، حيث تبغي هذه الجيوش أن يحل الدمار على المسلمين. وتشير إحدى السير أن النبي (ﷺ) بلغ مياه بني سليم، وقد تسمى بـ الكدر؛ لأنَّ بها طيراً في ألوانها كدر، والخلوص من هذه الغزوة بنتيجة الهزيمة لبني سليم، وما يقابل ذلك الغنائم التي عاد بها النبي(ﷺ) إلى المدينة وقدرت بخمسمائة بعير[3]. ومحل الشاهد في هذا النص يتمثل في اللفظ : النَّار مدت لسانها لاستعارٍ، فهذا اللفظ كناية عن إنذار وقوع الحرب واشتدادها، فخالف مبدأ المناسبة، فليس للنار لسان، فالمقام في النصِّ تنبيه وتهويل بشأن اتساع الحرب وامتدادها، فحامل الخبر للنبي على ما يبدو عظَّم الأمر، أي عظَّم شأن الحرب، فالمعنى الحرفي، الخبر الذي

---

[1] السيميائية وفلسفة اللغة: أمبرتو أيكو، ترجمة: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للنشر. بيروت ، ط١، ٢٠٠٥: ٢٣٨.

[2] عيد الغدير: ٦٦.

[3] يُنظر: أعيان الشيعة : محسن الأمين : ٢٥١/١، ٢٥٢.

جاء به الإعرابي إلى الرسول بشأن الغزوة التي يشنها بني سليم وهم في بطن الوادي للنبي (ﷺ)، والمعنى المستلزم التنبيه والتحذير من قبل الإعرابي للرسول بشأن الحرب التي سوف تَشْتَدُ بسبب الحقد والخبث الذي يضمرونه بني سليم للنبي(ﷺ)، وترصدهم له.

د ـ قاعدة الجهة[1]: وهذه القاعدة تختلف عن القواعد التي سبقت، إذ إنها لا تُعنى بما قيل، وإنما بكيفية التعبير عما ننوي التعبير عنه، فالقواعد الجوهرية التي نصّ عليها غرايس هي كالآتي:

* كن واضحاً. وتتفرع عن هذه القاعدة قواعد تتمثل في:

ـ اجتنب الغموض.

ـ ليكن تدخلك واضحاً .

ـ ليكن تدخلك موجزاً.

ـ اجتنب الالتباس.

ـ كن منظماً

وأوضح غرايس أن الغاية من هذه القواعد تتمثلُ في ضمان فعالية عالية للتبادل الكلامي دون أن يلغي ذلك إمكانية الحديث عن غايات أخرى[2].

وللتمثيل لذلك نستندُ إلى المحاورة التي ذكرها د.هشام عبد الله الخليفة حيث استعمل المتكلم عبارة معقدة فيها أطناب، على النحو الآتي:

س ـ افتح الباب .

---

[1] وتسمى أيضاً بالكيفية والأسلوب والطريقة والصيغة : استنتاج الباحثة.

[2] يُنظر: التداولية أصولها واتجاهاتها: جواد ختام: ١٠٢، القاموس الموسوعي للتداولية :٢١٥.

ص ـ اذهبْ إلى الباب وأدرْ مقبض الباب باتجاه عقارب الساعة ثم اسحبْ ببطء باتجاهك.

إنَّ الذي يستعملهُ (ص) بدلاً من (س) لا بُدَّ أنه يوجه انتباه المخاطب إلى العناية والِّدقة في كلِّ واحدةٍ من الحركات المذكورة، وهذا استلزام تولّد من استعمال الأسلوب المُسْهَب. أما الاستلزام المتولد عن القاعدة ـ ليكن كلامك مُرتباً ـ فهو المسؤول عن غرابة وشذوذ س ص في المثال الآتي:

س . تناول زيد وجبة الغذاء، وذهبَ إلى المطعم.

ص . ذهبَ زيدٌ إلى المطعم، وتناولَ وجبَة الغذاءِ.

فالمتلقي يتوقع من المتكلم أن يَذكرَ الأحداث بالتَّسلسل الذي حصلت به، فيتولد الاستلزام عن طريق قاعدة الأسلوب التي تتطلب التّرتيب والتَّسلسل[1].فعدم الوضوح أي وجود الغموض والإسهاب في القول وعدم الترتيب والتَّسلسل، فضلاً عن الالتباس كل ذلك يؤدي إلى حدوث استلزام حواري بوساطة هذه المبادئ عندما تُخرق. ويتمثلُ هذا الخرق في القول:

أسْنَدَ الليثُ رأسه لجدارٍ مُسبلا جفنه على تسكابِ

أو تَبكِي؟ قالوا لهُ، وسخيّ الدمعِ وقفٌ على ذوات النقاب

يتحلّين بالدموع يواقيتاً تدلَّى من طرف خودٍ كعاب

أو أنت الصَنْدِيد تَدمعُ عيناً ولعَينيك من نسورٍ صلاب

قال: إني بكيت سبط رسول الله، يأتي وفي يديه جوابي[2]

---

[1] يُنظر: نظرية التلويح الحواري: هشام عبد الله الخليفة : ٥٣.

[2] عيد الغدير: ١٦٩.

يرسم بولس سلامة صورة شعرية تحملُ أرقى معاني الوفاء للإمام الحسين (عليه السلام) من مسلم بن عقيل (عليه السلام)، ويصف الحوار الذي دار بين رجال أهل الكوفة ومُسلم بن عقيل (عليه السلام) حيث يتضمن هذا الحوار الخيانة والغدر المهيأة لمسلم من قبل عبيد الله بن زياد، فيتضح من هذا الحوار توجه رجال الأمير بالسؤال التعجبي من موقفه ولمحهم حالة الحزن التي هو عليها وهو البطل الشجاع، " فبكى لا جزعا من الموت، ولكن خوفاً على الحسين القادم إلى الكوفة بسبب كتاب ابن عقيل "[1].

وتأكيداً لذلك ما ذكره المفيد قول ابن العباس السلمي:" إن من يطلب مثل الذي تطلب لا يبكي، إذا نزل به الذي نزل بك لم يبكِ، قال: إني والله ما لنفسي بكيت، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحبّ لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إليّ، أبكي للحسين عليه السلام "[2].

يلحظ هنا أن الشاعر لم يصرح بذكر مسلم بن عقيل (عليه السلام)، والذي ذكره لفظة (الليث) مشيراً إليه، وهذا يُعَدَّ خرقاً لقاعدة الجهة، والشاعر في ذكره هذه الصفة الغريبة أراد أن يشير إلى شجاعة وبطولة مسلم بن عقيل (عليه السلام)، ولكن لكثرة استعمال هذه اللفظة وتداولها في المواطن التي تدلُّ على الشجاعة أضحت في بعض النصوص الأدبية واللُّغوية لا تدلُّ على الغرابة... هذا من ناحية، ومن ناحية أُخرى عدم الترتيب قد يكون القول: أو تبكي؟ قالوا له، والمتأمل في هذه العبارة يرى التقديم والتأخير أي عدم الترتيب في العبارة؛ ولكن مع التقديم ضمان عدم اللبس فلَتكنْ العبارة: قالوا له: أو تبكي؟ وسخي الدمع...

ونرى أيضًا الخرق المتعمد في قاعدة الكم، والذي يلحظ الحذف المتعمد في النصِّ الحواري في قوله: قال: إني بكيت رسول الله، فالحذف يكمن في حذف القسم في رد مسلم فالتأويل: والله ما بكيت... وهذا بفضل مبدأ التعاون بين المتحاورين.

---

[1] عيد الغدير: ١٦٥ ،الهامش .

[2] الارشاد: محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتباتها في النجف الاشرف ، ١٩٦٢. ١٣٨١، ٢: ٢١٤.

وتجدر الإشارة أن الاستلزام الناتج عن خرق قاعدة الجهة كما في المثال أعلاه يتميز بكونه لصيقاً بالألفاظ بخلاف قواعد مبادئ الاستِلزام الحواريّ الأخرى؛ ذلك أنها تتسم بكونه غير لصيقة بالألفاظ[١]. وفي مقطع شعري آخر يجسد الشَّاعر المأساة التي مرَّ بها الإمام علي (عليه السلام) في معركة صفين واصفاً الواقع الذي مرَّ به (عليه السلام) يقول بولس سلامة :

ملَكَ الماءَ عسكرُ الشامِ يَبغـــي أن تجفَ الحياة في الظَامئِينا

فَيـمُـوتُون، مِثْلَمَا تيبّس الأوراق، مـــَـوْت الكرُوم في تشرينا[٢]

يا لـها مِنْ خـــساسـة يا ابن هـند آلــم الطَرَس ذكـــرُها تدوينا[٣]

يصور بولس سلامة شيئاً من أحداث واقعة صفين، حين استولى معاوية ابن أبي سفيان (ابن هند)، وحاشيته وأعوانه على الفرات فارضين الحصار على الإمام علي (عليه السلام) وأتباعه، مبتغين أن تنفدَ سُبل الحياة لخصومهم، فيموتون كما تموت وتجف أوراق العنب في شهر تشرين، ونلمح من خلال هذه الأبيات تعجب الشاعر بمدى دناءة ابن هند، والتي قد تم ذكرها في الصحف .

فالمعنى الحرفي يتمثلُ في الإخبار عن ما قام به معاوية بمنع الماء عن عسكر الإمام علي(عليه السلام)، كي يدبّ الضعف في صفوف المقاتلين، والمعنى المستلزم يكمن في تعجب الشاعر من حقد وخبث وكره معاوية، فنلمح الخرق في اللفظ : يا لها من خساسة، فظاهر اللفظ يشير إلى النداء من خلال استعمال حرف النداء، والمعنى المضمر خلف هذا القول يكمن في التعجب والتحقير والاستهانة من موقف معاوية. إذن الخرق يمكن أن يكون في الإنتقال من صيغة النداء إلى التعجب. إذن جاء هذا البيت : يا لها من خساسة، منادى متعجب منه على سبيل الذم.

---

[١] يُنظر: نظرية التلويح الحواري: هشام عبد الله الخليفة:٤١.

[٢] عيد الغدير : ١١٨.

[٣] الطِّرس: الصَّحيفة أو التي محيت ثم كتبت . القاموس المحيط : الفيروز بادي ، مادة (طرس) : ٩٩٩.

ومن أشكال هذا الخرق (الغموض في المعنى) قول الشاعر وهو يصف خيبر:

قــلعة الـسهـل يـا مـطـلّ الـغـمـائم ومـقـر الـخـنـى وكـهـف الـمآثـمْ
تـرمـقيـن الـحجـاز نـظـرة كـبـر خـطـرة الـزهـو فـي أسـاريـر غـاشـم
وتـمـديـن فـي الـظـلام شـراكـاً لـلـنبـيل الـكـريـم والـد قـاسـم[1]

يخاطب بولس بالكلام، معقل اليهود في الحجاز ملقباً إيّاها ـ بمقر الخنى ـ ويذكر أن هذا المكان فاحش، وبكهف المآثم، فقد ضمت أبشع اليهود الذين مالت نفوسهم لمعاداة رسول الله، وهو نبي الرحمة الذي ما كان راغباً غير رفع ضلال الآثام من قلوبهم.

ومن يتأمل هذه الأبيات يجد أن الشاعر خرق قاعدة (الجهة) باستعماله اللُّغة، فلم يلتزمْ الشاعر بالوضوح، وإنما أطلق على خيبر صفات مذمومة، فقد لجأ الشاعر في هذا الخطاب إلى خرق المبدأ، فالمعنى المستلزم من الحوار هو السخرية والتحقير والتوبيخ، فهنا نرى أن الشاعر يتجاوب مع المدينة، وكأنها أنسان له مشاعر وهذا يدعو المتلقي إلى الغرابة، فيخلع الصفات الإنسانية على هذا المكان، وكذلك نرى الخرق المتعمد في عدم الايجاز في القول فأسهب الشاعر في الكلام متمثلاً ذلك في مطلّ الغمائم ومقر الخنى... غير موجز في الكلام، فيشعر القارئ بالملل والسأم في الكلام غير الموجز.

ونرى الشاعر قائلاً بحق مسلم ابن عقيل :

قـاده اشـعثٌ[2] يـروم الأمـانـا لـجـريح تَـقـمَّصَ الأرجـوانـا

---

[1] عيد الغدير : ٦١ .

[2] محمد بن الاشعث: هو أبن الاشعث حيث كان والده (الاشعث) من أشد المنافقين في خلافة الإمام علي (عليه السلام)، وقيل أنه أسلم بعد مدة من الزمن، (ابن الأشعث الكندي) (٦٧٠هـ- ٦٨٦م) محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، أبو القاسم: قائد. من أصحاب مصعب بن الزبير. شهد معه أكثر وقائعه. وكان هو وعبيد الله بن علي بن أبي طالب، على مقدمة جيش مصعب، في حربه مع المختار الثقفي. وقتل مع عبيد الله، قبل مقتل المختار بأيام. يُنظر: الاعلام: خير الدين الزركلي، ٦: ٣٩.

قـــال إنـــي أتـيـت يـا ابـن زيـــــادٍ بـأسـيرٍ قـد صـغَّر الـفـرسـانـــــا

أتـــخـم الأرض مـــن دمـــاء مـوالـيـنـا، فـنـشَّ الـصـعـيدُ مـن قـتلانـــــــا

جـسـمـه عـاد بـالـدمـاء خـضـيـــبـاً مـثلما حـنَّت الـعـروس الـبـنـانـا

فوعـدتُ الـصـنـديـد أمـناً وسـلـمـــاً إن مـثـل الامـيـر يـعـطـي الأمـانـا

لا أمـانٌ قـال الـولـيّ: فـمَـنْ يـبـغـ ـضْ يـزيـداً يَـنلْ رهـيـب جـزانـــا[1]

والذي يتضح في الخطاب، أنه جاء محمد بن الاشعث بالأسير مسلم بن عقيل وقد كان بين أيديه كزهر الأرجوان رغم جراحه العميقة، وكانت الغاية من ذلك هو أن يطلبَ الأمان للأسير، لكن ابن زياد رفض ذلك؛ لأن الكثير من فرسانهم الأقوياء قد قضى نحبهم على يد مسلم بن عقيل الذي لو تراه ترى رأسه مخضب بدمائه كالحناء على رأس العروس.

وجدير بالذكر أن الخرق في قاعدة (الجهة) تمثل في الإسهاب في الكلام من قبل المتكلم والاطالة في ذكر المعلومات حول مسلم بن عقيل، وكذلك عدم الترتيب في نظام الجملة العربية، وقدم أحد أطراف العملية التواصلية ابن زياد الاجابة بالرفض عندما رد: لا أمانٌ له، فيكمن الخرق في عدم تقديم الفعل كأن يقول مثلاً : قال الولي أي أن الخرق يكمن في التنظيم على الرغم من أن المتكلم أمن اللبس في التقديم والتأخير والمعنى جليا فالخرق تم .

واستناداً لذلك ما ذكره علماء البلاغة في أن سبب تقديم ما حقه التأخير أذا اقتضت الضرورة أو حاجة كالوزن الشعري، ومقتضيات السجع أو دعا إليه داعٍ

[1] عيد الغدير : ١٧٠.

بلاغيّ أو معنوي أو لفت النظر، إذ إنَّ الأصل ترتيب عناصر الجملة العربية والذي حصل خُرقت هذا القاعدة[١].

يقول بولس في رثاء الإمام علي (عليه السلام):

غـاب ضـوء النـهـار قـبـل انـقـضـائـه هـات يـا شـعـرُ أدمـعـاً لرثـائـه[٢]

يأتي هذا البيت ضمن سياق أبيات يصف فيها بولس مدى الألم والحزن لفراق الإمام علي ، حيث شبه الإمام (عليه السلام) بضوء النهار ويرثي الإمام عليّ(عليه السلام) ضياء الدين الذي بقضاء نحبه غابت الشمس وما عاد ضوؤها مُنيرا .

والذي يلحظ في هذا البيت استحالة فهم المتلقي ما يقصد به الشاعر، فكان من اللازم البحث عن المعاني المستلزمة، فالخرق هنا في قاعدة(الجهة) متمثلاً في العبارة غاب ضوء النهار (استعارة)، فالمعنى الصريح يكمن في ضوء الشمس، وهذا يخالف المعنى المستلزم الذي يقصده الشاعر وهي لحظة استشهاد الإمام (عليه السلام)، ويتضمن هذا البيت خرق في قاعدة (الكيف) أيضاً حين يقول الشاعر: **هات يا شعرُ أدمعاً لرثائه.**

وخرج الشاعر من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم، ولا يمكن للشعر أن يبكي لأنَّ البكاء حالة تخص الإنسان، فهذا القول لا يحتمل الصدق، لكن الشاعر أدى المراد من قصده، وذلك بفضل السياق الذي ورد فيه البيت واعتماداً على القرائن اللفظية والمعنوية التي تمثلت في عبارات الحزن والألم.

ويصف بولس سلامة لحظة مبيت الإمام علي مكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:

رقـد الـلـيـل نـاعـمـاً بـفـراشٍ حـشـوه الـمـوت فالـوسـاد مـخـاطـر

---

[١] يُنظر: البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وقليد): عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم دمشق والشامية بيروت للطباعة والنشر ،١٤١٦ . ١٩٩٦ ، ط١ ، ١: ٣٦٠.

[٢] عيد الغدير : ١٣٤.

بـات فـوق الـخـنـاجـر الـزرق لـيـث دون أظـفاره رهـيف الـخـنـاجـر[1]

سعى بولس سلامة في هذا النص إلى إبراز دور الإمام علي (عليه السلام)، راسما صورة الشجاعة والتضحية التي تحلَّى بها الإمام (عليه السلام)، مُعرباً عن ذلك عندما جاء القوم وهجم عليه ظناً منهم أنه الرسول عليه الصلاة والسلام، وبعد ذلك تبين لهم أنه الإمام عليّ (عليه السلام) الذي أقدم على فداء النبي.

وقد خرج الشاعر عن قاعدة (الجهة) من خلال قوله: رقد الليل ناعماً، وبات فوق الخناجر ليث فهذا ما يجعل القارئ يبحث عن المعاني المستلزمة (الخفية) التي تكمن خلف القول الاصلي لِيصل إلى أن الإمام رقد بمكان الرسول خوفاً عليه من القوم الذين أخذوا يضربونه بالحجارة ومارسوا معه أشد أنواع الضرب.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا نستطيع أن نعتمدَ على المعنى الحرفي في هذه النصوص الشعرية التي تتضمن مجازات؛ لأنها تكمن خلفها معان مستلزمة يفهمها المتلقي بفضل مبدأ التعاون بين المتحاورين، ذلك لو أنها استعملت في المعنى الحرفي فإن ذلك يؤدي إلى التنافر في الكلمات، فالغموض الذي نراه في أن الليل لا يرقد وإنما الإنسان يرقد فيه، ويتضح الخرق في قاعدة (الكيف) في القول: بات فوق الخناجر ليث، وهذا القول غير صادق حرفياً، والمعنى المستلزم فيه أنه رغم الأخطار التي تحيط به من كلّ جانب أصر (عليه السلام) على أن يبيتَ في فراشه. كل ذلك يسمى الانزياح في الاسلوب، حيث أن خلف هذه المفردات غير الواضحة معان خفية يفهمها المتلقي بفضل الخيال الواسع والذهن المتوقد فضلاً عن ذلك الحصيلة المعرفية والاجتماعية لديه.

ونلتمس خرق مبدأ (الجهة) في قول بولس سلامة :

شـيـبـة الـحـمـد في جـبـيـنـك نـــور شـيَّـب الـمـفـرق الـدجـيّ الـبـاســـمُ

---

[1] عيد الغدير :٣٣.

وجـهـك الـسمـح يسـتـدر الـهـوامـي يـوم وجـه الـسمـاء غـضبـة صـارم

إذ تـنـاديـك لـلـصـلاة قـريـــــش فأعـتليـت الـهضاب والـقلب واجـم[1]

يوجه بولس سلامة خطابه إلى عبد المطلب جد الرسول صلوات الله عليه منادياً ايَّاه بشيبةِ الحمدِ (لكثرة حمد الناس له، ولأنه ولد وفي رأسه شيبة)[2]، واصفاً سماحة وجهه وجبينه بأن يشع نوراً، ويرى مواقفه المشرفة عندما تطلب منه قريش الدعاء في الأوقات الصعبة، فقد كان مفزعاً لهم في النوائب، ونلتمس من هذا الخطاب أن بولس يقصد من خطابه التبجيل والتعظيم لشخصية عبد المطلب، فيتمثل الخرق في هذا النصّ في قاعدة (الكم والجهة)، فـ(الكم) في حذف حرف النداء، والتأويل : يا شيبة الحمد، و(الجهة) تتمثلُ في التلميح وعدم التصريح بالشخصية المعنية ـ شيبة الحمد ـ ويقصد به عبد المطلب، وهذا يترك للمتلقي باباً مفتوحا للتأويلات حيث نرى التضليل في عبارة (شيبة الحمد) وهذا يُعدُّ خرقاً لمبادئ غرايس.

يتوجه بولس سلامة بخطاب شديد اللهجة إلى الذين قد مالت قلوبهم نحو غدر الإمام علي (عليه السلام)، فقد زاغت قلوبهم عن نهجه، واصفاً إيَّاهم بأولياء الشيطان، لفسقهم واتباعهم نهج غير نهجه (عليه السلام)، فقد تركوا الآخرة وفضلوا الدنيا عليها وطمعوا فيها يقول بشأن هذا الأمر:

أيُّها الطامعونَ في الأرضِ أنتـم أولياءُ الشيطانِ في إيحائـــــــهِ

في النفوسِ الشحاحِ، شاد قصور الوهم، تَدْعُو الأقطاب من بُخْلَائهِ[3]

إنَّ المعنى الحرفي لهذه الأبيات يتضمن في صيغة النداء التي توجه بها المتكلم إلى المتلقي والتي هي : أيُّها، أما المعنى المستلزم الذي يدلنا عليه النص الشعري

---

[1] عيد الغدير: ١٨.

[2] يُنظر: عيد الغدير: ١٨.

[3] عيد الغدير :١٣٥.

فهو التوبيخ، فالخرق الحاصل يكمن في إنتقال المتكلم من صيغة النداء إلى معنى ضمني يمثله التوبيخ .

الفَصْلُ الثَّالث

الحجاج في ملحمة عيد الغدير

المبحث الأول : الروابط الحجاجيّة في ملحمة عيد الغدير

المبحث الثاني : العوامل الحجاجية في ملحمة عيد الغدير

المبحث الثالث : السلم الحجاجي في ملحمة عيد الغدير

الفصل الثالث : الحجاج في ملحمة عيد الغدير

مدخل

مفهوم الحجاج وتاريخه:

تشير بعض المعاجم اللُّغوية إلى الحجاج في اللُّغة، فالحُجَّة هي: " الحُجَّة البرهان، وقيل: الحُجّة ما دُوفع به الخصمُ، وقال الأزهري (ت٢٨٢ ـ ٣٧٠هـ = ٨٩٥ ـ٩٨١م) : الحُجَّة الذي يكونُ به الظَّفَر عند الخصومة. وهو رجل مِحجاجّ أي جَدِلّ. والتَّحاج : التَّخاصُم، وجمع الحُجَّة حُجَج وحِجاج وحاجة مُحاجَّة وحِجاجاً : نازعه الحُجَّة، وفي الحديث: فَحَجَّ آدمُ مُوسى أي غَلَبَه بالحُّجة . واحْتَجَّ بالشيء : اتخذه حُجَّة . قال الأزهري : إنما سميت حُجَّة؛ لأنها تُحَجُّ أي تقصد لأن القصد لها وإليها، وكذلك مَحَجَّة الطريق هي المقصد المَسْلَك ...، والحجة الدليل والبرهان "[١]. وفي أساس البلاغة قيل في الحِجاج : " اقمت عنده حجة كاملة، وثلاث حُجَج كوامل. وحجوا مكة وهو حجاج عُمّار كالسفار للمسافرين "[٢] .

أما في الاصطلاح : فقد ذكر الجرجاني في مفهومه فالحُجَّة هي: " ما دلَّ به على صحة الدعوى، وقيل: الحُجَّة والدليل واحد "[٣].

ويمكن أن يُعَرف الحِجَاج : بأنّه الآلية الأبرز التي يستعمل فيها المرسل اللُّغة وتتجسد عبرها استراتيجية الإقناع[٤]. وقد عرّف أبو بكر العزاوي: " إن الحِجَاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات

---

[١] لسان العرب : ابن منظور : مادة (حجج) ٥٣/٣.

[٢] اساس البلاغة : ابي القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد ، تحقيق : محمد باسل السّود (ت ٧١١) ، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ، ط ١: ١/ ١٦٩.

[٣] التعريفات : السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسين الجرجاني ، تحقيق : محمد باسل عيون السود (ت ٨١٦) ، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ، ط٢، ٢٠٠٣: ٨٦.

[٤] استراتيجيات الخطاب : عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت . لبنان ، ط١ : ٤٥٦.

استنتاجية داخل الخطاب "[١]. وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح الحجاج كان ظهوره الأول في البلاغة اليونانية (الغرب قديماً) عند السوفسطائيين وسقراط وأفلاطون وأرسطو، فرآى أرسطو أن البلاغة تُعدُّ خطاباً حجاجياً يقوم على وظيفتي التأثير والإقناع، ومن الملاحظ أنَّ أرسطو يتوجه الى الجمهور السامع قصد توجهه أو إقناعه إيجاباً أو سلباً[٢] .

ثم ظهر في الدراسات المعاصرة عند (بيرلمانPerelman وأولبريشت . تيتيكا (Olbrechts Tyteca) والذي سمى أبحاثه (البلاغة الجديدة)، ولا بُدَّ للإشارة إلى أن أفلاطون أقام بلاغته على أسس مناهضته للسفسطائيين وسبب رفضه للبلاغة يعود الى أنها بلاغة الأوساط الشعبية والهيئات القضائية في المحكمة، وأن هذه الفئات تمثل ضرورة الاقتناع دون أن تتوفر لديهم إمكان الاعتراضات أو الانتقادات وفي هذه الحالة يمكن إقامة واقع إقناع، وهذا يفرق عن الإقتناع الذي يكون برغبة المخاطب[٣]، وقد عرَّف بيرلمان وتيتكا الحِجاج حين يقولان : موضوع نظرية الحِجاج درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تجعل العُقولَ تسلّم بما يعرض عليها من أطروحات أو تزيد في درجة ذلك التسليم، والذي يقصد من ذلك أن البلاغة الجديدة تعتمد العقل والكلام، وأن بلاغة بيرلمان وجهها نحو الفكر ولم تقتصر مدونة (بيرلمان وتيتكا)على ما هو شفوي، بل يلحّان على ضرورة أن تكون مدونتهما كتابية واهمال بعض جوانب البلاغة القديمة من الأساس وهي: العمل، والالقاء الخطابي، والحجج الخارجة على نحو ما يوجد عند أرسطو، هذا قياساً إلى بلاغة أرسطو[٤]، وفي هذا الإطار أن السبب الذي جعل نظرية بيرلمان أقرب للجدل هو إهماله لوسائل

---

[١] اللغة والحجاج : أبو بكر العزاوي ، درب سيدنا . الدار البيضاء، ط١ : ١٦

[٢] ينظر: نظريات الحجاج : جميل حمداوي، شبكة الألوكة www.alukh.net : ٢٢.

[٣] يُنظر: مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان : محمد الولي ضمن مجلة عالم الفكر العدد ٢ السنة ٢٠١١: ٢١.

[٤] يُنظر: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات : عبد الله صولة ، مسكيلياني للنشر والتوزيع . تونس، ط١، ٢٠١١: ٧٦، ٧٧.

الاقناع الذاتية النفسية، وإقصاؤه التام للمغالطات، وهي أقرب للمنطق الطبيعي ولا ننسى أن مشروع بيرلمان من البداية كان منطقيا ولاشك من ذلك أن هم بيرلمان إنشاء نظرية فلسفية في الحِجاج، ولم تكن تهمه الخطابات الحجاجية في ذاتها، بل الذي كان يهمه اشكال الاستدلال التي تلتقي فيها مع الخطاب الفلسفي .

وقد أراد لنظريته أن تكون بلاغة خطابة جديدة نظراً لارتباط أي حجاج عنده بالمُستَمع، لكن أعاد الاعتبار لكي يسترد فن الخطابة مكانته بعد ما كانت صناعة الخطابة سيئة السمعة وقد منحها طابعا عقلانيا حيث سحب المكونات الذاتية النفسية منها[١]. أما الحِجاج عند أوزفالد ديكرو فقد فرق ديكرو بين معنيين له، فالمعنى الأول هو المعنى العادي، ويقصد به طريقة عرض الحجج وتقديمها، حتى يؤثر في السامع فيكون الخطاب فعالاً وهذا يُعدَّ من المعايير التي تحقق السمة الحِجاجية، وهذا المعيار ليس كافياً، إذ لابُدَّ أن لا يهمل طبيعة السامع أو المتقبل او المتلقي؛ لأنه يُعدَّ (المتلقي) هو المستهدف في العملية الحِجاجية، فيكون بذلك الخطاب ناجعاً فعّالاً، فنجاحه (الخطاب) يكمن في مدى مناسبته للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية على إقناعه فضلاً على توظيف الناحية النفسية في المتلقي من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه، هذا بالنسبة للمعنى الأول له، أما المعنى الآخر، فهو الحِجاج بالمعنى الفني، فيدلّ على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمُدرجة في اللّسان ضمن المحتويات الدلالية[٢] .

وضع دارسو الحِجاج بعض المحددات لتحديد ماهيته أو مفهومه منها[٣]:

---

[١] ينظر: الإمبراطورية الخطابية (صناعة الخطابة والحِجاج): شاييم بيرلمان، ترجمة : الحسين بن هاشم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط١، ٢٠٢٢ : ٤٤، ٤٥، ٤٦ ، ٤٧.

[٢] يُنظر: التداولية والحِجاج (مداخل ونصوص) : صابر الحباشة ، دمشق ، ٢٠٠٨ : ٢٠، ٢١.

[٣] يُنظر: الحجاج في الحديث النبوي (دراسة تداولية) : امال يوسف المغامسي ، الدار المتوسطية للنشر، ط١ ، ٢٠١٦: ٢٢.

ـ أن الحجاج خطاب إقناعي أي أن هدفه التأثير في المتلقي، أما لتدعيم موقفه، أو لتغيير رأيه وتبني موقف جديد، وهذا المُحدِّد ينطلقُ من وظيفة الحِجَاج وليس من شكله اللُّغوي.

ـ إنّ للحجاج بعداً جوهرياً في اللُّغة ذاتها، فحيثما وجد خطاب العقل واللُّغة وجد الحِجَاج.

إنَّ نظرية الحِجاج في اللُّغة، هي النظرية التي وضع أسسها اللُّغوي الفرنسي أوزفالد ديكرو (١٩٧٣)، تَهتمُ هذه النظرية بالوسائل اللُّغوية وبإمكانات اللُّغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق الأهداف الحِجاجية، ولتوضيح ذلك يمكن التطرق لكل من البرهنة والحِجاج بالمثاليين التاليين :

١ـ كلُّ اللُّغويين علماء .

ـ زيد لُغوي .

٢ـ إذن زيد عالم.

ـ انخفض ميزان الحرارة .

ـ إذن سينزل المطر .

ففي المثال الأول يتعلق الأمر ببرهنة أو بقياس منطقي، أما في المثال الثاني فإنه لا يعدو أن يكون حجاجاً أو استدلالاً طبيعياً غير برهاني. وتفسيراً لذلك أن زيد عالم، حتمي وضروري لأسباب منطقية، أمام احتمال نزول المطر فهو، يعتمد على معرفة العالم، وهو استنتاج احتمالي[١].

[١] ينظر: اللغة والحِجاج : أبو بكر العزاوي ، درب سيدنا . الدار البيضاء ، ط١ ،٢٠٠٦ : ١٤، ١٥.

ـ إنّ الحِجَاج هو مجموعة الأساليب والوسائل التي يدرك بها الخطيب مقصده ويحقق غايته في إقناع السامع / المتلقي أو استمالته لما يقدمه من أراء وأفكار في شتى صنوف المعرفة [١]، ومن الجدير بالذكر ما ذكره شكري المبخوت في مقال له، حيث رفض التصور القائم على الفصل بين الدلالة والتداولية، والذي ذكره أيضا أن مجال البحث عند ديكرو وانسكومبر، هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة.

فالحِجاج هو علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتجُ عن عمل المحاجّة، ولكنّ هذا العمل محكوم بقيود لُغوية، فهو موجود في بنية اللُّغة ذاتها وليس مرتبط بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغية مقامية[٢]، وبما أن الخطاب هو وسيلة الحِجاج لكن يجب التمييز بين عمل المحاجّة وبين عمل الاستدلال إذن هو عامل لُغوي يستلزم إنتاج قول ما، والذي يعرفه انسكومبر وديكرو (الاستدلال)، يقوم القائل الذي يقول القول بعمل استدلال إذا أحال على حدث معيّن يقدّمه على أنه نقطة انطلاق لاستنتاج يؤدّي إلى عملية قول[٣]، ولتوضيح ذلك اخذ شكري المبخوت بعض الأمثلة حَتَّى يبين ذلك :

١ـ أ : هتف زيد سيأتي غداً .

ب : إذن انت سعيد .

٢ـ أنا متردّد في اقتناء هذه السيارة . فهل نفقاتها قليلة ؟

فالمتكلم (ب) في الحوار (١) محققا لعمل استدلال يستندُ إلى الحدث المذكورين قول المتكلم (أ) أي حدث مجيء زيد غداً، فهنا عمل استدلال لا عمل محاجّة، أما القول

---

[١] يُنظر: وسائل الحِجاج في خطب الإمام علي بن الحسين : هادي سعدون هنون العارضي ، مجلة مركز دراسات الكوفة :٨٣.

[٢] يُنظر : الحجاج في اللغة :شكري المبخوت : ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، د.ط ، د.ت :٣٦٠ ، ٣٦١.

[٣] ينظر: الحجاج اللغوي عند ديكرو وأنسكومبر: يعمرانن نعيمة ، مجلة الممارسات اللغوية ـ مخبر الممارسات اللغوية ـ جامعة مولود معمري تيزي وزو ـ الجزائر، العدد ١٤، ٢٠١٢: ١، ٢.

(٢) ، حيث وقع الترابط بين القول الاثباتي الأول (التردد في اقتناء السيارة)، والقول الاستفهامي الثاني (قلة نفقات السيارة) على أساسٍ حجاجيّ، إذ قدّم الاستفهام (ق١) القول الأول على أنّه حجة لصالح نتيجة (ق٢) القول الثاني، وهذه النتيجة لا تستندُ إلى إيّ حدث سابق أو لاحق بما أن (ق١) استفهام، ولكن الحجة ليست هي الاستفهام، بل تعبيره عن عدم اليقين الملازم لبنية الجملة الاستفهامية[١] .

[١] يُنظر: نظرية الحجاج في اللغة : شكري المبخوت : ٣٦١، ٣٦٢.

المبحثُ الأول : الروابط الحجاجيّة في ملحمة عيد الغدير

تشتملُ اللُّغة العربية على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية أي وظيفتها، وكانت التسلسلات الخطابية مُحددة بوساطة بنية الأقوال اللُّغوية، وبوساطة العناصر والمواد التي تم تشغيلها، ومن هذه الأدوات هي (لكن، بل ،إذن، لاسيما ، مع ذلك، ربما، وتقريباً ...)

إنَّ هذه المؤشرات اللُّغوية هي التي دفعت ديكرو وأنسكومبر إلى رفض نموذج شارل موريس، والدفاع عن فرضية التداوليات المدمجة، وترتبط القيمة التداولية الحجاجية لقول ما بالنتيجة التي يمكن أن يؤدي إليها، ولا ترتبط بتاتاً بالمعلومات التي يتضمنها[١].

ولم يغفل ديكرو وزميله الجانب الذي يتمركز في أبنية اللُّغة بوصفها ظاهرة لُغوية مهمة جداً لها ارتباط بطريقة مباشرة في توجيه الحِجاج من خلال إحداث الانسجام داخل الخطاب والدفع باتجاه تحقيق الإقناع عبر استمالة المتلقي وتوجيهه نحو الغاية التي يريدها المتكلم بمعنى أنها عناصر لُغوية أو هي : قوالب لها دور في تنظيم العلاقات بين الحجج والنتائج وتعين المخاطب على تقديم حججه بالطريقة التي تناسب السياق، تؤدي دوراً أساسياً في اتساق النص، وانسجامه، وربط اجزائِه شكلاً ومضموناً من اجل تحقيق الوظيفة التوجيهية الحجاجية للملفوظات[٢]. ويكمن دورها واستثمار دلالتها في ترتيب الحجج، ونسجها في خطاب واحد متكامل، إذ تفصّل مواضع الحجج، وتقوي كل حجة الحجّة الأخرى ابتداءا من أنه عندما تتكون عدد من المعطيات، فهذا يوفر إمكانات هائلة لغرض التمكن من الربط بينها[٣] .

---

[١] يُنظر: الحجاج ، مفهومه ، مجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة)، حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديثة أربد . الأردن، ط١، ١٤٣١هـ . ٢٠١٠م :١/ ٦٣.

[٢] يُنظر: تحليل الخطاب المسرحي : عمر بالخير ، الامل . تيزي وز ، ط١، ٢٠١٣: ٩٩. يُنظر: الروابط الحجاجية في توقيع أبي مُحمّد الحسن العسكري (عليه السلام) إلى اسحق بن اسماعيل النيسابوري : عبد الإله عبد الوهاب هادي العراودي ، مجلة فصلية دورية ، دواة : ٦ .

[٣] يُنظر: استراتيجيات الخطاب ، عبد الهادي بن ظافر الشهري : ٤٧٣، ٤٧٢.

فالروابط الحجاجية إذن تختص بالربط بين عناصر الكلام كقولنا : أنا أحب قطع الشكولاتة، لكنني أعلم أنها ليست جيدة بالنسبة لي، ولتوضيح ذلك، فالحجة هنا هي (رغبة المتكلم بالشكولاتة)، والرابط الحجاجي هو(لكن)، والنتيجة هي (الاضرار بصحة المتكلم)، هذا الرابط يمثل رابط التعارض الحجاجي، ومثال آخر لتوضيح الرابط المدرج للنتيجة (إذن): أنا متعب، إذن أنا بحاجة للراحة، والذي يتبين من هذا المثال، الحجة هنا هو (تعب المتكلم)، والرابط الحجاجي هو(إذن) ، والنتيجة (هو حاجته للراحة) [1].

ويمكن تقسيم الروابط الحِجاجية إلى أقسام عدة ومنها :

١. الروابط المدرجة للحجج وروابط التعارض الحجاجي حيث إنَّ الروابط الثلاث الأولى تمثل روابط التعارض هي : (بل، لكن، مع ذلك، لأن، حَتّى) .

٢. الروابط المدرجة للنتائج هي : (إذن، لهذا، وبالتالي ...)، وأما الروابط التي تدرجُ حجج قوية هي (بل، لكن) .

ويوضح العزاوي بيان عمل هذه الروابط في الجمل، حيث يرى أنَّ (لكن) تميل إلى أن تستنتج من (أ) نتيجة ما، وهذا يدلُّ على أن (أ) هو حجة و(ب) النتيجة المضادة. أما (حَتَّى) فليس دورها أن تضيف معلومة أخرى، بل إنَّ دورها يتمثل في إدراج حجة جديدة تكون أقوى من الحجة التي قبلها، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات مُتباينه من حيث القوة الحجاجية [2].

حيث ننتقل إلى الجانب التطبيقي معتمدين على بعض النماذج الشعرية، وقد أحسنَ بولس سلامة في توظيف الروابط الحجاجية، وقد تمثلت هذه الروابط بعناصر نحوية تمثلها :(حَتَّى، لكن، الفاء، ثُمّ، بل، الواو، إذن، لو، إنّ)، وتتوافر هذه الروابط في المدونة بشكل كبير منها:

---

[1] يُنظر: اللغة والحجاج ، أبو بكر العزاوي : ٣٢.

[2] يُنظر: المصدر نفسه : ٢٧، ٣٠.

١. الرابط الحجاجي(حَتَّى):

من الناحية النحوية تدلُّ على أن ما بعدها داخلٌ في حكم ما قبلها، وهي بمعنى(إلى) الجارة، والتي تدلُّ على انتهاء الغاية الزمانية وهي عاملة [١]، أما من الناحية الحجاجي فأنها تربط بين حجتين تؤديان للنتيجة نفسها، ولكن الحجّة التي بعد(حتَّى) تكون أقوى من الحجّة التي بعدها، و(حتَّى) التي يكون ما قبلها علّة لما بعدها فلها دورٌ فعال حيث إنها تقوي الحجة، ويمكن بيانها عبر توظيفها :

فقد وظفها بولس سلامة هنا لتخدم نتيجة واحدة، قال الشاعر :

صَبرتْ فاطمٌ على الضيمِ حَتَّى لـهـث الليل لـهثة الـمكـــــدود

وإذا نـجـمـة من الأفق خـفَّـــت تطعنُ الليلَ بـالـشعـاعِ الـجـديدِ[٢]

ويتبين من هذين البيتين أن الشاعرَ يصف مُعاناة فاطمة بنت أسد وما تحملته من الضيم وبسبب صبرها وإيمانها رُزقت بوليد الكعبة الإمام علي (عليه السلام)، حيث عم الفرح والسرور بولادته المباركة، فالحجة (صبر فاطم) والحجة الاخرى(لهث الليل لهثة المكدود) والرابط بين هاتين الحجتين هو الرابط الحجاجي(حتّى) لصالح نتيجة واحدة هي(حتَّى غاية ولادة الإمام هي (هي(صبر فاطم على الألم والمتاعب والصعاب التي واجهتها)، والرابط الحجاجي هو (حَتَّى)، والنتيجة هي(حتَّى غاية ولادة الإمام علي (عليه السلام)، وبهذه الولادة المباركة ستكسر الأصنام ويبزغ فجر الإسلام، ولذلك فأن العبارة التي تتضمن هذا الرابط لا تقبل الإبطال والتعارض الحجاجي، وأن تضمين هذا الرابط في الجملة يضيف معلومة جديدة [٣]، فهذا الرابط

---

[١] يُنظر: كتاب معاني الحروف، أبي الحسن علي بن عيسى الرماني (٢٩٦ . ٣٨٤ هـ)، تحقيق : عبد الفتاح اسماعيل شلبي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة . جدة ط٢، (١٤٠١هـ . ١٩٨١م) : ١١٩.

[٢] عيد الغدير : ٢٧.

[٣] يُنظر: اللُّغة والحجاج : أبو بكر العزاوي :٧٣.

له وظيفة، فمن خلال درجه في ثنايا اللفظ فأنه يساعد على تقوية إيقان المتقبّل بالنتيجة، فهو يقوّي النتيجة التي يبتغي الملفوظ إيصالها [١] .

وفي هذه الأبيات يوضح الشاعر ما حدث بمكة فقد استمر الظلم إلى أقصى مداه حيث استمر الشرك والظلم؛ وبسبب ذلك أصبح المسلمون يهجرون الدِّيَارا لكرههم لها وأصبحوا مقيدين بالهلاك والظلم ونتيجة لذلك كثر الفساد في مكة حيث أخذوا يعبدون الأصنام دون الله (ﷻ) وبعد ذلك استقر بهم المطاف في يثرب التي هي دار المجد يقول الشاعر :

وتَمَادى بمكة الشركُ حَتَّى أصبحَ المسلمون رهنَ البوارِ

يَهْجرُون الدِّيَار كرهاً وتبقى فِلذٌ من قلوبهم في الدِّيَار

فيؤمُّون يثرباً دار عزّ وسخاء، وموئل الأحرار[٢]

ويتبين من ذلك أنَّ الحجَّة هي كثرة وطغيان الشرك بالله في مكة أي (وتمادى بمكة الشرك)، والحجَّة الثانية والتي هي أقوى من سابقتها (أصبح المسلمون رهن البوار) والرابط الحجاجي (حَتَّى)، والنتيجة هي: كثرة الفساد والظلم، وهجرة المسلمينَ، واستقرارهم في يثرب.

يصف الشاعر عبر هذه الأبيات الآتية ما دار بين جيش أميّة بقيادة حنظل والوليد من قتال وبين جيش المسلمين بقيادة الإمام علي(عليه السلام)، حيث تعرض (عليه السلام) لهم بسيفه حَتَّى امتلأ سيفه بدماء المعارضين والمارقين قال الشاعر في ذلك:

أعمل الفتكَ في أميَّة حَتَّى تَخمَ السيفُ من سموم الرياء

حنظلُ والوليدُ وابن سعيدُ وحماة الوطيسُ في اللأواء

---

[١] يُنظر: العوامل الحجاجية في اللُّغة العربية : عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين صفاقس ـ تونس ، ط١، ٢٠١١: ١٣٤.

[٢] عيد الغدير : ٣٧.

نَالَهم ذو الفقار نيل ضـــــرام شَبَّ طيُ السنابل الحصـــداء

وتبارى الجمعان ضرباً وطعناً وانثنتْ كلّ صعدةٍ ســـــمراء[1]

ويتضح لنا أن الحجة مُتَمثلة في اتساع هوّة الخلاف بين الطرفين، والنتيجة اشتداد القتال في المعركة بين الطرفين، والبطش الذي ألحقه الإمام في بني أميّة وامتلاء، ويدلُّ على انتصار جيش المسلمين في غزوة بدر، فقويت شوكة المسلمين وضعفت شوكة المشركين، فهذه الحجج ربطت بوساطة الرابط الحجاجي (حَتَّى) الذي يُعدّ من الروابط التي تدرج حججاً قوية وضعيفة أيضاً يربط بين النتيجة وهي امتلاء سيفه (عليه السلام) بدمائهم وهذا يدلُّ على انتصاره في غزوة بدر، هذا الخطاب الحِجاجي له أثر على المتلقي؛ حيث تبين من خلال ذلك شجاعة الإمام وبطولته، والسير على نهج رسول الله (صلى الله عليه وآله) في اتباع ما أمر به في المعركة. وعليه يشير ما بعد الرابط الحجاجي (حَتَّى) إلى حجة نفعية، وينتمي ما قبل الرابط إلى مستويات غير متساوية[2]، ويمكن أن نستشفَ أيضاً من هذا النص الشعري أن الحجة تتمثلُ في شجاعة الإمام علي(عليه السلام)، والنتيجة قتله أميَّة وحنظل والوليد ...، فقد عمل الرابط الحجاجي (حَتَّى)على تنسيق الخطاب وتصيره أكثر إقناعاً للمتلقي .

٢ـ الرابط الحجاجي (لكن):

ومن الروابط الحجاجية التي استعملها بولس سلامة في مدونته (لكنّ) الذي له أثر في الخطاب الشعري السردي حيثُ يعملُ هذا الرابط على تماسك النَّص الشعري وتناسق أجزائهِ، وقد ذكر اللُّغويون دلالته المتنوعة، والقول المشهور في دلالته أنه يفيد الاستدراك، وهذا يعني أنّ تنسب لما بعده حكماً يخالف ما قبله أي لابُدّ أن يتقدمه كلام مناقض لما بعده مثل: ما هذا ساكناً لكنه متحرك، وقال

---

[1] عيد الغدير :٤٥ .

[2] يُنظر: أسلوبية الحِجاج التداولي والبلاغي (تنظير وتطبيق على السور المكية) : مثنى كاظم صادق ، ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م : ٩٦.

بعضهم: إنه يفيد الاستدراك والتوكيد مثل: زيد شجاع لكنْ بخيل، ويرى آخرون أنّها تفيد التوكيد مثل (إنَّ) هذا دلالته من الناحية النحوية [١]، أما من الناحية الحجاجية، فيبين هذا الرابط (لكن) علاقة القوة الحجاجية، ويبين مفهوماً جديداً هو مفهوم التناقض الحجاجي، وهذه العلاقة تفترض أنَّه إذا كانت حجَّة (ق) تنتمي إلى قسم حجاجي تحدده النتيجة (ن)، فأنَّه توجد حجَّة أخرى تحدد النتيجة المتناقضة (لا- ن) [٢] . ويقصد بذلك أنها تربط بين حجتين.

وسنعرض شاهداً شعرياً يتضمن (لكنْ) هذا الرابط الذي يُعدُّ أحد مكونات اللُّغة والذي يحتوي على وظيفة إقناعية تؤثر على المتلقي إذ يصف الشاعر ما مرّ بالإمام الحسين(عليه السلام) وأهل بيته، والحوار هنا دار بين الإمام الحسين(عليه السلام) وأخوة مسلم وأصحابه، والذي يتضح من خلال ذلك ما أمر به عبيد الله ابن زياد بأنَّ ينزل الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه في أرض كربلاء، وهو يعلم ما سيحل بهم من مصائب ،أحاطوه بالرماح وحاصروه ووضعوا أسواراً ليس لنصرته والدفاع عنه إنما لغرض أن يأسروه وأهل بيته :

أنزلوه بكربلاء وشادوا حوله من رماحهم أسواراً

لا دفاعاً عن الحسين ولكن أهل بيت الرسول صاروا أسارى

قال: ما هذه البقاع؟ فقالوا : كربلاء فقال: ويْحكِ دَاراً [٣]

قدّم الشاعر هنا حجَّة نزول الإمام الحسين (عليه السلام) حيث أحاط به المعسكر بقيادة عبيد الله بن زياد ليس هدفهم من ذلك الدفاع عن الحسين (عليه السلام)، والحجة الاخرى تتمثل في القول: (أهل بيت الرسول صاروا اسارى) ونتيجة لذلك . الكيد

---

[١] يُنظر: موسوعة معاني الحروف العربية : علي جاسم سلمان، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ـ عمان، ٢٠٠٣ : ١٨٩، ١٩٠.

[٢] يُنظر: القاموس الموسوعي في التداولية : جاك موشلر ـ آن ريبول، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة خالد ميلاد، منشورات دار سيناترا ـ تونس، د.ط ٢٠١٠ : ١٠٣.

[٣] عيد الغدير : ١٨٣.

المدبر ـ فالرابط الحجاجي (لكن) يربط بين حجتين لصالح نتيجة معينة وتتضمن هذه الأبيات شاهداً شعرياً يحتوي على الاستفهام الحجاجي الذي يخرج لغرض التقرير الذي يقصد به سؤال يعلمه المخاطب ويقر به، وتكمن القيمة الحجاجية للتقرير في كشف الآراء التي يتبناها الخصم أمام المتلقين، وهو من الأسئلة المركزية؛ إذ لا ينحصر في الحيز الافتتاحي، بل يؤطر استعمالات الاستفهام، واستناداً إلى ما سبق حيث ورد الاستفهام الحجاجي في الشاهد أعلاه وهو سؤال الإمام الحسين عن المكان الذي قدموا إليه، وهو يعرف هذا المكان وما سيجري به من أحداث وإسالة دماءهم الزكية الطاهرة في هذه البقاع وكذلك حجة الحسين (عليه السلام) بمعرفة ما سيحدث له وأهل بيته أن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخبره بذلك[1] .

يصف بولس سلامة المشهد الذي مرّ به أبناء الإمام علي (عليه السلام) وهم يسقطون صرعى الواحد تلو الآخر عندما اعترضتهم خيول بني سعد، والذي يقابل ذلك أن الحسين (عليه السلام) تصدَّى لهم بثبات وطابت نفسه بالموت، صمد (عليه السلام) في المعركة شجاعاً محارباَ ذا إباء وشموخ، وأبناء الإمام علي (عليه السلام) لا يأملون النصر لكن ضحوا بأنفسهم فداء لدينهم حيثُ انتصروا بدمائهم يقول الشاعر في ذلك :

وتهاوى النسور ولُدُ عليّ فاستماتوا أشاوساً كبراء

ثبتوا في العراك لا يأملون النصر، لكن ضحية وافتداء[2]

يتكون هذا النص من حجج ظاهرة ونتيجة يمكن تأويلها، قتل أبناء الإمام علي (عليه السلام) على رغم من ذلك اتصفوا بالإباء والشموخ أي انتصروا بدمائهم، وا صمودهم في المعركة، ولا يبتغون النصر بحسب، بل لأجل التضحية وفداء أنفسهم لأجل إعلاء صوت الحق ونصرة المظلوم، والنتيجة تكمن في بيان الشاعر موقف أهل

---

[1] ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة (دراسة نظرية وتطبيقية): عبد العالي قادا ، دار كنوز المعرفة والنشر، ط١، ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م : ٢٢٤.

[2] عيد الغدير :٢٠٢.

البيت عليهم السلام من المعركة، ونستشف من خلال هذا النص أن الحجَّة التي جاءت بعد (لكن) أقوى من التي سبقتها. ويمكن تفسير التعارض الحجاجي في هذا النص بأنه رغم شجاعتهم وثباتهم في المعركة ولد الإمام علي (عليه السلام)ألَّا أنَّهم قتلوا .

ثبتوا في العراك ولكن ضحية وافتداء

↓ ↓

النصر لا _ النصر

وقد عقدت الباحثة ديبور شيفرن مقارنة بين الأداة (لكن والواو)، فهي ترى رغم أن (لكن) من أدوات تنسيق الخطاب، إلّا أنّ لها وظيفة تداولية مختلفة، فأنها تجعلُ للوحدة التي تليها فعلاً مضاداً، وفي هذه الحالة فإنّ مدى استعمالها الذهني أضيق من مدى الواو، فالأداة (لكن) لا تنسق بين الوحدات الوظيفية إلّا إذا كان هناك بعض من العلاقات المتضادة في محتواها الذهني أو التفاعلي [١] . فقول الشاعر يمكن أن يدلنا على هذه الوظيفة:

يَئْدُون البنات خشيةَ عارٍ ويمدّون في القبور البراعم

أجفلَ القبرُ من أنين العذارى وأشتكى الرملُ من نُوَاح الحَمَائِم

تَسْتَجِيرُ الموءودة البكر لكن ليس للظالمينَ قلبٌ رَاحِمُ [٢]

يصف بولس سلامة موقف الجاهلية من الفتيات، فهذه الأبيات تخبرُ عن مدى التخلف الذي كان سائداً في الجاهلية؛ إذ كانوا يدفنون بناتهم أحياء لاعتقادهم أنهنَّ يجلبنَّ لهم العار.

الوأد نتيجة، وحجتهم خشية العار، أما الرابط الحجاجي جاء ليزيل التوهم، فهو يربط بين قولين متناقضين .

---

[١] يُنظر: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) عبد الهادي بن ظافر الشهري :٥١٢.

[٢] عيد الغدير: ١٣.

تستجير الموءدة البكر لكن ليس للظالمين

↓ ↓

استغاثة الموءودة لكن عرب الجاهلية يتصفون بالقسوة، فلا يلبون الاستغاثة.

٣- الرابط الحجاجي (الواو):

ومن روابط العطف الحجاجي التي استعملها الشاعر في بنية النص الشعري هي (الواو، ثم، بل)، أما دلالة بنية الربط (الواو) فهي لمطلق الجمع تعطفُ متأخراً ومتقدماً في الحكمِ أي اشراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم[١]، ويرى المرادي أنها عاطفة أيضاً، وقد ذكر أنها تكون عاملة مثل واو القسم التي تجر الظاهر دون المضمر، والواو التي تنصب الفعل المضارع بمعنى (مع)[٢]، وتُعدُّ (الواو) من الروابط الحجاجية التي لها وظيفةٌ تسهمُ في الربط بين الملفوظات التي تحملُ طاقة حجاجية، وتعمل على تقويتها من أجل الوصول إلى نتيجة مُعينة، كما تستعمل لترتيب الحجج وربطها [٣] .

ونوضح عمل الروابط الحجاجية من خلال الشاهد الشعري يقول الشاعر :

وإذا بالنبيِّ يَرسلُ قولاً ... رنَّ في مسمعِ الزمانِ البعيد

أنت مني ووارثي ووزيري ... وعلى الحوض أنت بكر شهودي

يا عليُ العصور نسر قريشٍ ... رافعَ السيفِ والقنا والبنودِ

---

[١] يُنظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن عبد الله بن هشام الانصاري المصري (ت ٧٦١هـ) ، القاهرة، دار الطلائع ، ٢٠٠٩: ٣٠٤/٣ ، ويُنظر: موسوعة معاني الحروف العربية : علي جاسم سلمان :٢٢٣ .

[٢] يُنظر: الجنى الداني في حروف المعاني : الحسين بن قاسم المرادي ، تحقيق: فخر الدين قباوة ، ومحمَّد نديم فاضل، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ط١، ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م :١٥٣، ١٥٤.

[٣] يُنظر: تقنيات الحِجاج في قصيدة في القدس : صفاء منيب، خديجة هزرش، رسالة ماجستير : ٤٩.

إنـك البـكر في الشـهـادة والأخـلاق والـعلم والفـــعال الحميـــــد[1]

يبين الشاعر من خلال هذه الأبيات الحوار الذي دار بين النبي محمد (ﷺ) وبين الإمام علي (عليه السلام) حول موضوع البيعة والخلافة، في بادئ الأمر اجتمع النبي(ﷺ) ببني عبد المطلب وخاطبهم خطاباً صريحاً وواضحاً بهذا الأمر عندما خاطبهم(ﷺ) وطالبهم بشهادة أن لا إله إلا الله والاعتراف برسول الله بأنّه رسول مبعوث للخلق فكان مضمون الخطاب : من يكن وزيري ووارثي وخليفتي من بعدي؟ فلم يجبه أحد، فقال الإمام علي (عليه السلام): أنا يا رسول الله أحدثهم سنا، وكرر عليهم الكلام مرة أخرى فلم يجبه أحد، فعلي (عليه السلام) أجابه، افتخر به الرسول ومثله بنسر قريش ورافع السيف والقنا دلالة على شجاعته وجرأته فضلاً عن ذلك ما يتميز به من الأخلاق والعلم وافعاله الحميدة ومراعاة أخلاقيات الحرب. وخير دليل على ذلك الأمر ما ورد عن رسول الله (ﷺ) قوله : " يا علي أنت حجّة الله على الناس بعدي قولك قولي، أمرك أمري، نهيك نهي...الخ "[2].

هذا النص الشعري مليء بالحجج التي ترتبط بالرابط الحجاجي (الواو) حيث يعملُ هذا الرابط على تقوية الحجج واتساقها، ويتمثل هذا الجانب الإقناعي في تحقيق وتلبية أمر ما طلب منه وتنفيذه، يحمل هذا الخطاب نتيجة معينة نحو حجج متعددة، فالحجة الأولي(أنت مني) قرابة الإمام من النبي، والحجة الثانية (وارثي) أي له الحق بوصفه أحق بها من غيره، والحجة الثالثة (وزيري)، والحجة الرابعة (وعلى الحوض أنت بكر شهودي) أي الأول في نطق الشهادة، شهادة أن لا إله الّا الله وأن محمداً مبعوث لهداية الخلق، والحجة الخامسة (رافعَ السيفِ...)، دلالة على شجاعته من بين قومه والدراية بشؤون المجتمع، والحجة السادسة (الأول بين قومه في الأخلاق والمعرفة والعلم والأفعال الحسنة)، كلّ هذهِ الحجج تتوجه نحو نتيجة مُعينة تتمثل في(تنصيبه على الولاية من أجل إعلاء كلمة الحق وإزهاق الباطل) .

---

[1] عيد الغدير :٣٠، ٣١.

[2] الغدير رحلة التاريخ والمستقبل : أحمد مصري، دار الغدير . لبنان، ط١، ٢٠٠٤: ٨٥ .

ومثل ذلك أيضاً يقول الشاعر :

وشَـكَـا لـلرَسُـولِ شـعباً عـقـوقـاً عَـادَ أعْمَى أو مـبْصِراً يـتـعَامـى

أرهَـقْـتَهُـم عبـــــــادة الله، فـأرتـدّوا طُـغَاةً تـقـبّلُ الأصـنـاما

يُكَـرِمُـونَ الألـقـابَ والمـالَ مـجـ ـــلوباً بـجـرمِ، ويَـعْـبُدُونَ الحَـرَامَـا[1]

يتضح من هذا بيان الشاعر موقف الإمام عليه السلام من قومه، فشكا ذلك للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد أعمى الكفر أبصارهم فهم يتخبطون في ظلمات الجهل تركوا الآخرة وانشغلوا عنها، وأصبحت عبادة الله ثقيلة عليهم وفضّلوا عبادة الأوثان وتبجيلها دون عبادة الله، فكان المال والأملاك والأنساب جل أهتمامهم.

تقدم هذه الأبيات نتيجة تتمثل في شكوى الإمام علي عليه السلام للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أذى قومه وشركهم ومعصيتهم لله عز وجل لحجج مترادفة تربط النص الشعري بأداة الربط (الواو) لتأتي الحجج على النحو الآتي: (أرهقتهم عبادة الله)، وهذه حجة أقوى الحجج التي تليها، والحجة الثانية يمثلها القول:(ارتدّوا طغاة تقبل الأَصناما)، والحجة الأخرى (يكرمون الألقاب)، (والمال المجلوب بالحرام)، (وعبادتهم الحرام)، وقدمت النتيجة على الحجج المتساوقة لأقناع المتلقي بصحة وقوع الخبر.

٤- الرابط الحجاجي (بل):

أما دلالة حرف الربط (بل) من الناحية النحوية، فهو حرف إضراب فإن كان بعد نهي أو نفي أو غيرهما، فهو لتقرير حكم ما قبله، وجعل ضده لما بعده نحو: لا تضرب خالداً، بل بِشراً، فتقرر نهي المخاطب عن ضرب (خالد) وتأمره بضرب (بشر)، فإن كان المعطوف بعد (بل) غير النفي، والنهي فهي لإزالة الحكم عمّا

(1) عيد الغدير: ١٢٩.

قبلها، وتصيره لما بعدها نحو : جاء زيدٌ بل عمر، خذ هذا بل ذاك [١]. وقيل: هي من الحروف المهملة، ومعناها الإضراب عن الأول، والإيجاب للثاني نحو: ما قام زيد بل عمر، وخرج أخوك بل أبوك، وهذا مذهب البصريين أن تقع بعد النفي والايجاب بخلاف الكوفيين تقع عندهم بعد النفي [٢]. حيث يرى الشارح أن معنى (بل) أن ما بعدها مخالف لما قبلها[٣]. هذا من الناحية النحوية، أما من الناحية الحجاجية فأنَّ هذا الرابط يربط بين حجج متساوقة تخدم نتيجة واحدةً إلّا أن الحجَّة الواردة بعده أقوى من الحجج التي تتقدمه[٤]، ولكن هذا ليس دائما؛ لأن (بل) قد تربط بين حجتين تؤديان إلى نتيجتين مختلفتين، وقد وظَّف بولس سلامة هذا الرابط ليعطي قيمة حجاجية للنص وهذا ما نود أن نبينه من خلال هذه الأبيات يصف الشاعر مصرع ابن عقيل وأخوته وماذا قال الحسين(عليه السلام) عن ذلك :

أتاه عن مَصرعِ ابن عقيل ... ما أهاجَ الضياغُم[٥] الأشبالا

إخوة أجمعوا على الثأرِ حتَّى ... ليعودَ الحسامُ يشكو الكلالا

فيخرّون في الوقيعة صرعى ... بعدما تصبغُ السيوفَ المجالا

وسرت في الحسين هزّة قربى ... ذكّرته الأعمامُ والأخوالا

لا تموتون وحدكم، بل إلى جنبـ ... ـي، أفانينَ دوحة نتوالى

إنما العيش بعدكم لحرام ... بل هو العبء باهظاً قتَّالا[٦]

---

[١] يُنظر: موسوعة معاني الحروف العربية : علي جاسم سلمان : ٧٨ .

[٢] كتاب معاني الحروف: الرماني : ٩٤.

[٣] شرح المفصل: لابن يعيش موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن بعيش الموصلي للزمخشري (ت ٦٤٣هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م : ٢٥/٥.

[٤] يُنظر: اللُّغة والحجاج : أبو بكر العزاوي: ٦٤.

[٥] الضياغم : الاسود ويقصد بهم الاخوة مسلم مع الحسين (عليه السلام)

[٦] عيد الغدير : ١٨١ .

ويبدو من هذا الشاهد أن الشَّاعر يتحدثُ عن وصولِ خبَر استشهاد مسلم ابن عقيل إلى الحسين (عليه السلام) حينما لقيه فارس من أهل العراق وأنبَّأه عنه، وهذا ما أَثار الحسين (عليه السلام)، وقالوا : أخوة مسلم وهم مع الحسين (عليه السلام) وقسموا ألَّا يرجعوا حَتَّى يأخذون بثأرهم أو يقتلون، وأن الحسين قد عاهدهم ألَّا يموتوا وحدهم بل أن يكونوا إلى جنبه مثل الأغصان المتعاقبة، وكأن الحسين(عليه السلام) يقسمُ أن يكون العيش في الدنيا من دونهم حرام بل حمل وعبء عليه أن يعيشَ في الدُّنيا بعدهم[1].

تتنوع الروابط الحجاجية في هذا النص الشعري وهذا ما يجعله نصاً حجاجياً إقناعياً، حيثُ تعملُ هذه الروابط على توجيه الملفوظات (الحجج) نحو نتائج متعددة، منها : (أتاه عن مصرع ابن عقيل ...) تلقى الإمام (عليه السلام) نبأ مَصرعه، و(أهاج الضياغم) كناية عن غضب أهل مسلم، (أجمعوا على الثأر) يريدون أن يأخذوا بثأره أو يقتلون، (ليعودَ الحسامُ أن يشكو الكلالا) تعبيراً عن جاهزيتهم واستعدادهم للأخذ بالثأر وسن سيوفهم معلنين استنفارهم للحرب على بني أمية، و(فيخرون في الوقيعة صرعى)، سقطوا في المعركة شهداء بعد أن خاضوها، و(وسرت في الحسين هزة قُربى) أي حزَّ ذلك الأمر في نفس الإمام بحكم القرابة التي بينهما، و (لا تموتون وحدكم) طلب منهم أن يسيروا معه جميعاً لقتال العدو، و(أنما العيشُ بعدكم لحرام) كأنه يرى بأن الدنيا من بعدهم لا تساوي شيء وليس لها أهمية. ذكرنا فيما سبق تعدد الروابط وقلنا أن لها وظيفة في تقوية وتدعيم الحجج وإقناع المتلقي؛ لما لها من دورٌ في تناسق النص وتصيره متفاعلاً، فهذه الروابط هي (حَتَّى، والفاء، والواو، ولام التعليل، وبل والتي هي محل الدراسة هنا)، وعليه فالرابط الحجاجي (بل) إذا تقدمه نفي أو نهي، فإنّه يكون لتقرير حكم الأول، وجعل ضده لما بعده، وقد يقيم هذا الرابط علاقة حجاجية مركبة من علاقتينِ حجاجيتينِ فرعيتين[2].

---

[1] يُنظر: عيد الغدير: ١٨٢.

[2] يُنظر: اللُّغة والحجاج : أبو بكر العزاوي :٦١، ٦٢.

ولتوضيح ذلك بالمخطط الآتي:

لا تموتون وحدكم بل إلى جنبي

↓ ↓

ح١ غير متناقضتين ح٢

هاتان الحجتان تصب لصالح نتيجة (استشهادهم عليهم السلام).

ذلك لأنه عندما يقع بعد(بل) اسم مفرد نحو:

لا تضربْ زيداً بل عمراً

ح١ متضادات ح٢

فضلاً عن ذلك نلمح الرابط الحجاجي (بل) والذي أفاد تقرير حكم الحجة التي قبله في القول :

فَـأجَـابَ اللـيثُ الجَـرِيـحُ :ألا اصـمــــ ـتْ إنـمـا النَّـار مَرْتَـعُ لـسـوانـا

لـيـس فـي صَـدْرك الـلـئـيمُ فـــــــؤادٌ بـل أَرَّى فـيـه جَـلْـمَـداً صَـوَّانـــا [١]

ويعرب هذان البيتان عن خطابٍ صادر من مسلم بن عقيل إلى مسلم بن عمرو الباهلي[٢]، ويصفه بولس سلامة بالليث الجريح لشجاعته وتفانيه وتضحياته، فيرد مسلم على باهلي بأن النار ستكون مصيره ولم تمس أحد سوى أمثاله.

إنَّ هذا القول : فأجاب الليث... حجة لنتيجة مضمرة يمكن تأويلها جراء الخبث والحقد الذي يكنه الباهلي لمسلم رد عليه مسلم بهذا القول: ألا اصمت، وايضاً نتيجة أخرى يتضمنها هذا القول وهي (اتصاف باهلي بالقسوة)، فقد عمل الرابط على

---

[١] عيد الغدير: ١٧١.

[٢] يُنظر: عيد الغدير : ١٧٠.

تقوية اسناد الحجة لصالح النتيجة . من ذلك نستنتج أن هذا الحوار يتضمن نتيجة كبرى وهي(ذم باهلي) .ولوضيح ذلك :

ليس في صدرك اللئيم فؤادٌ بل أرى فيه جلمدا

ح١ غير متناقضتين ح٢

النتيجة: القسوة، إنّ الرابط (بل) ربط بين حجتين غير متناقضتين .

٥- الرابط الحجاجي (إذن):

ومن الروابط الحجاجية الأخرى هي: (إذن) تُعد من الروابط المدرجة للنتائج، فدلالتها النحوية : في الأكثر تكون للجواب، بدليل أنه يقال لك: أُحبك فتقول : إذن أظنك صادقاً، والأكثر أن تكون جواباً لـ (إنْ)، أو (لو) ظاهرتين، أو مقدرتين[١]. " ومعنى (إذن) الجواب والجزاء إذ لو قيل لك : سأزورك، فتقول إذن أحسنَ إليك فأنت أجبته وجعلت إليه جزاءً لزيارته، فالإحسان مشروط بالزيارة فكانت (إذن)هنا جواب وجزاء"[٢].

ومن الأمثلة التي أوردها بولس سلامة تتضمن هذا الرابط (إذن) قوله :

قال للمصحفِ المجيدِ : فراقاً لن ترانـي أتلوك ما دمت حيًّا

فأنا المالك الخليفة ظـــل اللهُ أعلى من النبي صفـــيًّـــا

أيكونُ المليك أدنى مقاماً من رسول ؟إذن أكون غبيًّـــا[٣]

ويقصد الشاعر من هذه الأبيات أن عبد الملك بن مروان يتوجه بخطابه إلى القرآن مشيراً بقوله أنه لن يتلو القرآن مدة وجوده قيد الحياة، فيرى نفسه ملك وهو بعد

---

[١] يُنظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الانصاري : تحقيق وشرح عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت ، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ١/ ١١٢،١١١.

[٢] موسوعة معاني الحروف العربية : علي جاسم سلمان : ٢٥،٢٦.

[٣] عيد الغدير :٢٢٤،٢٢٥.

الله؛ لأنه يتمتع بسلطة ونفوذ وذلك بحكم الخلافة التي وصلت إليه بعد مروان بن الحكم حيثُ انحصرت الخلافة بالوراثة، و يرى نفسه أعلى مرتبة من النبي حيثُ ورد ذلك بصيغة الاستفهام الانكاري أي انكار عبد الملك بن مروان أنّه أدنى مرتبة من الرسول، مستصغر من منزلة الرسول (ﷺ)، ويرى نفسه عظيماً وإذا رأى نفسه ادنى مرتبة من محمد(ﷺ) فهو غبيٌ[1].

الحجة هنا انكار عبد الملك بن مروان أنه أدنى مكانة من محمد (ﷺ) والرابط الحجاجي هنا (إذن)، والنتيجة وصف عبد الملك بن مروان نفسه بالغباء.

٦- الرابط الحجاجي (ثُمَّ):

إنَّ هذا الرابط (ثُمَّ) : أداة إجرائية ذات بعد أكبر من جانبها اللُّغوي، تكشف عن مقصدية المتلفظ بالخطاب، وبيان مقصده عبر سياق المقام الذي يرد به اللفظ[2]. ويذكر العزاوي أن هذه الروابط ـ العطف والظروف ـ تربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر في إطار استراتيجية حجاجية[3].

إنَّ الرابط (ثُمَّ)، وظّفه الشاعر في قصيدته على لسان عاتكة وهي تروي لأخيها العباس بن عبد المطلب حلم رأته أفزعها من خلال الأبيات الآتية :

طار قلبي، حلمتُ أن نذيراً! يا لهول النداء والإنذار!

شمته راكباً بعيراً رهيباً صاخباً فوق فحله الهدَّار

صاح يا غادرين للموت هبُّوا لقبورٍ تثاءبتْ في انتظار

وإذا الناس حوله تتهاوى كتهاوي الذباب في الأقذار

ثم أهوى بصخرة كالجبال الشـ ـمَّ همّت سفوحها بانهيار

---

[1] يُنظر: تاريخ التمدن الاسلامي : جرجي زيدان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢ : ٨٤/١

[2] يُنظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي (تنظير وتطبيق) على السور المكية: مثنى كاظم صادق: ٩١.

[3] يُنظر: اللُّغة والحجاج: أبو بكر العزاوي: ٢٩.

ورأيت الصخر العظيم يدوّي كلمَّا زاد وثبةً في انحدار

زلَّ في البدء كالبعير وئيداً ثم طفراً كالظبية المحضار[1]

هذه الأبيات مضمونها تحذير وتنبيه بما سيحدث، وكذلك تتضمن تهويل وتعظيم ما روته عمة النبي، عبر حلم رأته عمَّة النبي محمَّد (ﷺ) عاتكة أخت العباس بن عبد المطلب، فالخطاب موجه إلى العباس، وهي تحاول اقناعه أن شيء ما يحدث لقومه، وهي تصف حالتها بأن قلبها مضطرب نتيجة ما رأت، على ما يبدو خيَّل لها أن الشَّر سيقبل على أهل مكة، فقد رأت راكباً مقبلاً على بعيرٍ حَتَّى وقف بالأبطح، ثُمَّ صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آلِ غدر إلى مصارعكم، ثُمَّ أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حَتَّى بأسفل الجبل ثُمّ رأت بأنَّ الصخور لها صوت شديد قوي كلما زاد مرة في انحدار، سقط (النذير) في البداية مثل البعير بطيئاً، ثَمَّ طفر كالغزال المحضار. ومن هذه الرؤيا يمكن أن نطرحَ سؤالاً لبيان مدى التأثير على المتلقي، هل اثر خطاب عمة النبي (ﷺ) في العباس ؟ نعم أثر الخطاب فيه، الدليل على ذلك أوصل هذه الرؤية الى أبي جهل ليرويها له، فسخر منه [2].

هذه المقطوعة الشعرية تتضمن مجموعة من الحجج لصالح نتيجة واحدة، وهي أن الشَّر والأذى سيعمُّ مكة وترتبط هذه الحجج بوساطة الرابط الحجاجي (ثُمَّ) هذا الرابط الحجاجي، أما وظيفة هذا الرابط، فهو يفيد ترتيب الحجج لصالح نتيجة موحدة كما قلنا، فالحَجَّة الأولى حلم عاتكة بالنذير، والحجة الثانية رأت النذير راكباً بعيراً، والحجة الثالثة صياح النذير بصوت مرتفع، والحجة الرابعة الناس تساقط الناس حول النذير مثل الذباب، فالحجة الخامسة فتتمثل في عثور النذير بصخرةٍ مثل الجِبَال التي تنهار سُفُوحها، وسقوطه مثل البعير، والحُجَّة الأخيرة يطفر النذير مثل الظبية السريعة . وقد لاحظت الباحثة مدى تأثير الروبط الحِجاجي (ثُمَّ) عند تكراره مرتين

---

[1] عيد الغدير: ٣٩.

[2] يُنظر: عيد الغدير : ٣٩.

فهذا ساعد على تقوية الحِجج هذا من جانب و، من جانب آخر و وضوح التفاعل بين بين المتكلم والمتلقي، أن الرابط الحِجاجي في هذا النَّص يحيل إلى دلالة حِجاجية أقوى تتمثل في أهوى بصخرة ثُمَّ طفراً وهي الحجَّة الأقوى .

ونرى بولس سلامة في هذه الأبيات يذكرُ خطاب الإمام الحسين لأهل العراق عندما تألبوا على قتله فيقول :

أيّ شيءٍ أنتم فلولا جـــــدودي ما عرفتم منى ولا عرفــات

ثم سلّ الحسين سيفاً عجيباً عرفوه لما به من شبـــاة

نقش الخلدُ متنه سفرَ مجـــدٍ وطمأن الجلال في الفقــرات

قال : هذا الحسام سيف رسول الله، إرثي إن تنكروا حرماتي

وأراهم عمامةٌ عرفوهـــــا أشْرقت فوق أشرف الهامات [1]

خاطب الإمام الحسين أهل العراق خطاباً ضمنه استنكاراً وتنبيه لما فعلوه، مفتخراً بما ورثه من جدوده، فقد ورث سيف رسول الله (ﷺ) الذي هو رمز الشجاعة، والعمامة التي هي رمز المجد والعز، ففي خطابه هذا جردهم من إطار الشجاعة والعز والإسلام عن طريق تذكيرهم بامجاد أهله.

هذا الخطاب يتضمن حججاً مضمرة وظاهرة، فالمضمرة تتمثل في النسب الوضيع لبني أميَّة واحفادهم، والظاهرة تتجسد في(أي شيءٍ أنتم ...)، النسب الشريف الطاهر للإمام الحسين (عليه السلام) وجدوده، والحُجَّة التي تليها (سل الحسين سيفاً ...)، أي ما ورثه عن النبي محمد (ﷺ) من السيف، ووراثته العمامة، فالحجة الأولى تتمثل في مفخرة الحسين بنسبه وجدوده وتاريخهم المشرف وتجريد ـ أهل العراق والتي هي فئة معينة اتصفت بالغدر ـ من الإسلام وهذا يدلُّ على سمو مكانته ونسبه الشريف، ونجد هذه في (أي شيءٍ ... ولا عرفات)، والحجة الثانية نجدها في

[1] عيد الغدير: ١٩٠، ١٩١.

امتلاكه الحسام وتتمثل في (سل الحسين سيفاً) حيث نجد أن هذه الحُجَّة مشفوعة بالرابط الحِجاجي (ثم) والتي قويت الحُجَّة التي بعدها والتي يمثلها قول الإمام الحسين (وأراهم عمامة عرفوها ...) أي أظهر لهم العامة بعد أن أظهر لهم السيف الذي ورثه عن رسول الله (ﷺ)، أما النتيجة هي استنكار الإمام افعال بني أمية.

٧- الرابط الحجاجي (لام التعليل):

ومن الروابط الأخرى التي تربط الجمل، والتي لها أثر في تناسق النص الشعري وانسجامه ألفاظ التعليل، ومنها (لذا ولام التعليل)، والذي سنقتصر عليه في دراستنا هنا (لام التعليل)، يؤدى التعليل باللام[١] ويدلُّ على ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩][٢]، وقيل هي لام السبب، وهي لام مكسورة، وحرف جر، وهي بخلاف اللام المفتوحة التي تُعد من الحروف المهملة التي لا عمل لها، والتي تأتي لتأكيد المبتدأ [٣]، هذه قيمتها النحوية، أما قيمتها الحجاجية فتتجلى في النص الشعري الذي يتضمن (لام التعليل)، وفي بعض الاحيان تُضمر الحجة ويصرح بالنتيجة أو تُضمر النتيجة ويصرح بالحجة ووقفاً لذلك قال الشاعر موظفاً لام التعليل ليبين حجاجية النص من خلال هذا الرابط:

زوجُ هند، ألدَّ أعداء طه ... وأخسَّ الأنام خلقاً وقيلاً

قزماً كان في الرجال دميماً ... وزنيماً وقُعدُداً مهزولاً

---

[١] يُنظر: معاني النحو : فاضل السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م :٨٩/٣.

[٢] القرآن الكريم :٢٣٥/١٢.

[٣] كتاب معاني الحروف: أبو الحسن علي بن عيسى الرُّماني النحوي (ت٢٩٦- ٣٨٤هـ)، تحقيق : حققه وخرج شواهده وعلق عليه وقدم له وترجم له : عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار الشروق - جدة للنشر والتوزيع والطباعة، ط٢ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م :٢٦.

سـوّدوه لـمالـهِ، والـمرابـــــــي يـفتـح الشر للنضارِ سـبـيـلاً[1]

يصف الشاعر زوج هند بأنه أشد خصومة للرسول محمد (ﷺ)، وأرذل الخلق، حيث يصفه بأنه قزم أي قصير القامة قبيح المنظر لا يعرف له نسب ويقضي أغلب أوقاته بلا عمل، ضعيف الجسم، حيث صيرت السيادة له لكثرة ماله، وكان يجمع ماله من الرِّبا. فالحُجَّة هي كثرة ماله الذي جمعه من الربا لذلك وصف بالمرابي، والرابط الحِجاجي هو(لام التعليل)، والنتيجة السيادة والسلطة التي هو عليها.

وبياناً لذلك وظف الشاعر هذا الرابط لتدعيم الحجج لتأثيره بالمرسل وإقناعه بجشع هذه الشخصية ليترسخ في ذهن المتلقي أدلة حول هذه الشخصية، ولغرض إعطاء خلاصة عن هذه الشخصية والوصول إلى النتائج، فسمح هذا الرابط بتقوية الحُجَّة[2].

٨- الرابط الحجاجي (الفاء):

أما (الفاء) فتُعدُّ من العوامل، ولها ثلاثة مواضع، العطف (دلالتها على الترتيب والتعقيب)، والجواب، والزيادة، فأما التي تدلُّ على العطف هي مرتّبة تدلُّ على أن الثاني بعد الأول بلا مهلة، والتي تدلُّ على الجواب، وهي على نوعين : أحداهما الفعل المضارع منصوب بـ (أن) بعدها مضمرة ويكون مسبوق بـ (النهي، الاستفهام، الأمر، التمني، الجحد، والعرض)، والثاني أن تستأنف الكلام بعدها، وكذلك التي تدلُّ على الزيادة [3]، وتعمل (الفاء) على ربط الحجج بالنتائج، وترتبها ترتيباً حيث تعمل على حصر المعاني، وهذا قد يساعد إقامة بنية حجاجية مركبة من الحجج والنتائج تقوم أساساً على التتابع، وتعدّ هذه العلاقة الحجاجية أساساً في بناء النص

---

[1] عيد الغدير: ٥٠.

[2] يُنظر: تقنيات الحجاج في الدرس اللُّغوي العربي والغربي، ودورهما في توجيه الخطاب: سهيلة سلطاني، مجلة العلوم الانسانية والطبيعية، المجلد الأول / العدد ٣، ٢٠٢٠ : ١٣٣.

[3] يُنظر: كتاب معاني الحروف :الرماني:٤٣، ٤٤.

وانسجامه، وتقوم على ربط الأحداث، وهذا قد ينتج عنه فعل حجاجي مُقنع للمتلقي[١].

وفي هذه الأبيات سنوضح عمل (الفاء) حيث يقول الشاعر واصفاً شجاعة الإمام علي (عليه السلام) في يوم خيبر عندما جهز (عليه السلام) نفسه للقتال :

ركَّزَ الـرَّاية المَـجِـيـدة دون الحـصن ... يَخْـتَـال نسـجـها في المـكـــارم

فـاسـتشـاط اليـهـود غـيظـاً وكـروا ... كـرّة السـيل والأسـود الضـيـاغــم

فـإذا حـــارثُ يصـــدُّ عـلـيّـــــــا ... بحســامِ كـالـموت أحـمرَ جـاحـم

لـم تـكـن غـيـر ضـربة وتـــــردى ... حـارث كـالبنـاء وهـن الدعـائـــم

فـأتى مـرحب أخـوه يـثـيـر الأرض ... رعـبـاً والجـو رجـع زمـــــازم [٢]

يبيّن الشاعر من خلال هذا الشاهد الشعري صورة النصر الذي التي رسمها الإمام علي (عليه السلام) في يوم خيبر، ويقابل ذلك هزيمة الخصم (حارث وأخوه مرحب)، حيثُ ثبت الرَّاية تحت الحصن وأمام نصب أعينهم، وهذا ما يغيض عادة الخصم، وأول من خرج إليه (الحارث) أخو مرحب فتضاربا الإمام (عليه السلام) والحارث فقتله، ثم بعد ذلك خرج له مرحب وضربه على رأسهِ وبعد ذلك ضربه (عليه السلام) على هامتهِ وفلقها[٣].

إذن نستنتج من ذلك أن السياق العام الذي يقصده بولس سلامة يحمل مدلولاً يدلُّ على وصف شجاعة الإمام (عليه السلام) وبسالته في مقابلة مرحب وأخيه .

ومن هذا المنطلق يمكن تعيين الحُجَّة والتي هي :(ركز الراية المجيدة)،أي تثبيت الراية أمام تعبيراً عن التحدي والثبات أمام العدو، ودلالة على جاهزيته للمواجهة.

---

[١] يُنظر: الروابط الحجاجية في شعر أبن شيق (قصيدة رثاء القيروان أنموذجاً) : أحمد حمامة، وبوزيزة علي، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللُّغوية، المجلد ٤٠، العدد٣ ، ٢٠٢١: ٤٥٧.

[٢] عيد الغدير :٦٣.

[٣] ينظر: م ن :٦١.

لصالح نتائج والتي هي: (فاستشاط اليهود غيضاً) أي غضبوا غضباً شديداً، و(حارث يصد علياً) ويقصد مواجهة حارث الإمام علي (عليه السلام)، واتى مرحب يثير الأرض رعباً) تعبيراً عن شدة غضبه وثورته على قاتل أخيه، كل هذه النتائج تخدم حجة واحدة .

ويتجلى هذا الرابط أيضاً في القول:

عَطِشَ الخصم في الطَّرِيق فَقَالوا يا ابنَ بِنْتِ الرَّسُول حُيّيت جاراً
إن تـغـثنا بـشـربـةٍ تَبـعـــــثُ الأرمـاقَ فِـينا، فلا نـمُوت أوارا
فَـسقـاهُم صَـفَـائِـحاً مُـتْرِعَـــات أطْـفَـأْت في اللَّـها جَـحِيمـــــاً[1]

تعرض هذه المقطوعة الشعرية حدثاً مهماً، فخلال مسيرة الإمام الحسين (عليه السلام) إلى العراق تحديداً في الطريق إلى الكوفة تقاطع طريق الإمام مع الحر بن يزيد الرياحي إذ أُمر أن يراقبَ طريقَ الإمام لا أن يدخلَ في حربٍ معه، وخلال المسيرة احتاج الرياحي وجيشه الماء، فطلبه من الإمام الحسين (عليه السلام) فلبى النداء وأزال منهم جحيم سخونة الصحراء.

والمُلاحظ أن القول : يا ابن بنت الرسول حُجَّة تقدمتها نتيجة : عطش جيش الحر فأقبل الحر ينادي الحسين لإقناعه بأن العطش قد تمكن منهم، فنجد التفاعل حاضراً بين المتكلم والمتلقي، والدليل على ذلك استجابته (عليه السلام) لتلبية النداء فهذا الرابط ـ الفاء ـ عمل توصيل الحجة بالنتيجة، والقول : إن تغثنا بشربةٍ حجة تصب لصالح نتيجة عدم موتهم وهلاكهم، ونتيجة لذلك سقاهم الماء، فالنتيجة قد جاءت مباشرة بعد الرابط .

ونرى الشاعر يوظف هذا الربط قائلاً :

عـمـرو خُـيّرتَ بـيـن دينٍ ودُنـيـا فـتَـخيَّرتَ مَـنْـهـجَ الـزَيـغـان[2]

---

[1] عيد الغدير : ١٨٣.

[2] عيد الغدير: ١٤١.

يقصد بولس سلامة في هذا البيت طريق الضياع الذي اختاره عمرو بن العاص بعد أن قدّم دنياه على دينه واتباع طريق الضلال بالاقتداء بمعاوية وترك منهج الحق منهج الإمام علي(عليه السلام) .

إنَّ الحجة ـ(تخيير عمرو بين اتباع منهج الإمام علي ومعاوية) ـ تقود نحو نتيجة هي(اختيار عمرو منهج معاوية). والرابط الحجاجي (الفاء) ساعد على ربط الحجة بالنتيجة أي استطاع على توصّيل الحجة بالنتيجة وربط الأحداث.

٩- أدوات الشرط (لو، لولا، إذا، إن الشرطية):

إنّ أدواتَ الشرطِ لها دورٌ كبيرٌ في عبارات الحجاج وهي كثيرة و متنوعة منها (لو، ولولا، وإذا، وإن الشرطية ...)، وأن الشاعر وظف هذهِ الأدوات بكثرةٍ في النصوص الشعرية لملحمة عيد الغدير، وهذا ما يجعلُ حجاجية النصوص بارزة، أي تجعل ملامح التوجيه الحجاجي واضحة فيه، ولنأخذ بعض الأمثلة لتوضيح ذلك من خلال بعض الشواهد، فاستعمل بولس الرابط الشرطي الحجاجي (لو)، والتي تكون لما مضى[١] ولها استعمالات عديدة منها: أنها تدلُّ على امتناع الشرط لامتناع الجواب كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢] وقد وصف مكانة ومنزلة الزهراء (عليها السلام) بتقديم مهرها من قبل الإمام (عليه السلام) يقول في ذلك :

دون مـا تَسْتَـحق إيـوان كـسرى واللآلـي وحـليـة الـزبّـــــاء

ولـو أن الدَّهـنـاء تِبـرٌ[٣] لـكانت بـعض شيء بجـانب الـزهـراء[٤]

---

[١] ينظر: كتاب معاني الحروف : الرماني :١٧٤ .

[٢] من سورة ال عمران الآية : ١٥٩.

[٣] التبر بالكسر: الذَّهب، والفِضَّة، أو فتاتهما قبل أن يُصاغا، فاذا صِيغا فهما ذهب وفضة، يُنظر: القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق : انس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث ـ القاهرة ، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م : ١٨٢.

[٤] عيد الغدير : ٤٧.

فالبيتان تحدّث الشاعر فيهما عن زواج الإمام عليّ (عليه السلام) من فاطمة الزهراء (عليها السلام)، ويرى أنها تستحق الكثير من المهر وأي شيء يقدم لها من مهر- إيوان كسرى واللؤلؤ وحلي ملكة الزباء - قليل بحقها، ولو أنَّ الصحراء زاخرة بالذهب كل ذلك مقارنة بما يقدم لها (عليها السلام) من مهر لا يساوي شيئاً من حقها، وهذا بفضل مكانتها ومنزلتها الرفيعة عند الإمام (عليه السلام) وهي ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) من ذلك نستنتج أن الرابط الحجاجي (لو) ربط بين الحجة وهي (الدهناء تبر ...)، ونتيجة (رفعة منزلتها عند الشاعر وهذا متاتٍ من الأدلة والمعلومات المتوافرة في ذهن المرسل حول مكانتها عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) بصورة خاصة والعالم الاسلامي بصورة عامة. واستناداً إلى ذلك فأنَّ التركيب الشرطي للجملة هو وحدة نحوية تحمل قضية تنحلُّ إلى طرفين ثانيهما معلّق بمقدّمة يتضمّنها الأول والعامل الذي تنعقد به القضيّة قد يكون لفظاً صريحاً وهو الأداة وقد يكون مظهراً نحوياً في صلب التركيب وهو سياق الطلب، فضلاً عن ذلك فأنَّ الأدوات الشرطية لها القدرة على الإقناع، وتناول الجملة الشرطية من حيث الوظيفة الحجاجية توضح القدرة على توفير علاقة إقتضاء شكلي بين السبب والنتيجة، سببٌ يمثله الشّرط ونتيجةٌ يمثلها الجواب[1].

وفي السياق نفسه للقصيدة حيث وظف الشاعر رابطاً حجاجياً آخرَ يدلُّ على الشرط الا وهو (إن) الشرطية، والتي تكون للاستئناف[2] .

رفرفَ السعدُ فوقَ كوخٍ حقيرٍ لَم يدنَّسْ بِقسوةِ الأغنيـــــاءِ

إن تكنْ قسمةُ الغنيِ متاعاً فالإلهُ الرحمنُ للأتقياء[3]

يَسْتبَشِرُ الشاعر في هذين البيتين بزواج فاطمة الزهراء (عليها السلام) من الإمام علي (عليه السلام) واصفاً مدى الفرح والسعادة الذي عمّ بيت الإمام (عليه السلام) ذلك

---

[1] يُنظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه : سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث أربد - الأردن، ط٢، ٢٠١١: ٣٣٦.

[2] يُنظر: كتاب معاني الحروف : ١٧٤.

[3] عيد الغدير: ٤٨.

البيت البسيط الي يتميز بقدسيته وطهارته ولم يدنَّس بقسوة الأغنياء وإذا كانت قسمة الغني هي الرفاهية والتمتع في الحياة فإنَّ الله يكون للأتقياء، أي بجانبهم، إن الطاقة الحجاجية لهذا الشاهد تتمثل في زواج الإمام المبارك والمتواضع، وبرغم ذلك عمت.

أما البنية الحجاجية لجملة الشرط فإن (فعل الشرط وجوابه) يشكلان حجَّة أما أن يكون مصرحاً بها أو مخفية كما في المثال المذكور: إنَّ سعادة هذا الزواج ليس بالأموال والغنى . وجواب الشرط التي تمثل النتيجة هي (إلهُ الرحمنِ للأتقياء).

في الوظيفة الحجاجية للجملة الشرطية يكون فعل الشرط سبباً وجواب الشرط نتيجة لهذا السبب شكلياً؛ لذا تسمى هذه العلاقة بالاقتضاء الشكلي.

المبحث الثاني : العوامل الحِجَاجيَّة في ملحمة عيد الغدير

العوامل الحِجَاجيّة، مفهومها، ووظيفتها :

يعرف أحد الباحثين العوامل فيرى أنَّها يمكن أن تكون (علامة، رقعة، بطاقة)، حيثُ تساعدُ العوامل على تحقيق وظائف اللُّغة، وعلى هذا المعنى تكون العوامل عنصراً مساعداً لإظهار المنحى الحجاجي وأداة لتحقيق كُلِّ وظائفها . وهي أدوات لُغوية تساعد السامع على معرفة ما يَعدّه المتكلم واقعياً وصريحاَ، وقد ربط العوامل بوظيفة الخطاب الذي لا يمكن فصله عن الوظيفة التأثيرية الإقناعية، ولا يتمّ هذا التأثير بإلاقناع إلّا عبر هذه الأدوات أي العوامل الحجاجية. وقد عرّفها تعريفاً جامعاً فَعَدَّ العامل العماد في عملية التواصل اللُّغوي. وتُعدُّ العوامل حسب رؤية بعض الباحثين محركاً رئيسياً من ضمن المحركات التي تقوم عليها عملية التخاطب [١].

إنَّ العوامل الحجاجيّة " لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل : ربما، تقريبا، كاد، قليلاً، ما ...إلا ، وجُلَّ أدوات القصر"[٢].

هذه العناصر تكون داخل القول الواحد، وهي مكونات معجميّة تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة، وهذا بحسب نظر ديكرو هي (منذ الظرفيّة، وتقريبا، وعلى الأقلّ)، وبجانب ذلك يرى ديكرو أن هذه المكونات أو العناصر تتعلّق بمجموع الجملة، وأن هذه العوامل تغيّر قوّة الجملة دون محتواها الخبري، وهناك وحدات معجميّة منها حروف الاستئناف بمختلف معانيها وهي (بعض، وكلّ، جميع ...)، وما اتصل بوظائف نحوية مخصوصة كحروف التعليل أو ما تمحّض لوظيفة من

---

[١] يُنظر: العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربيّة : عزّ الدّين النّاجح ، مكتبة علاء الدين صفاقس ، ط١، ٢٠١١ : ١٦، ١٧.

[٢] اللغة والحجاج : أبو بكر العزاوي ٢٧.

الوظائف مثل (قط ، وابدا)، إنَّ رؤية ديكرو لهذه الوحدات أنها خليط من الروابط والعوامل الحجاجيّة[١]. " إنّ العامل إذ يخرج الملفوظ من الإبلاغية إلى الحجاجية ومن الحيادية إلى الالتزام بمهمّة حجاجية يقدح الموضع وينشّطه، وعلى هذا الموضع أن يحدّد المفهوم والاستلزام المقصود "[٢].

إنّ المواضع دعامة رئيسية تؤكد حجاجية الملفوظ بما توفّره من قيمة استدلالية مرجعية إليها ينشد الملفوظ وتتحدّد مدى صلاحيته، ولها دورٌ في الحِجَاج، وعلاوة على ما ذكر أنَّ العامل الحجاجي يخدم النظريّة القائلة بأنّ أساس اللُّغة أنّها حجاجية لا إبلاغية . ويفهم من تعريف انسكومبر للموضع أنه يعتمد عليه في الاستدلال والبرهنة، ويضرب انسكومبر مثالاً يوضح فيه متى إذا كانت المواضع أشكال فارغة، فأنها تمثل بنى منطقية خطابيّة توفرها عمليّة تبادليّة للرمزين، فأن أكثر يرمز له (+)، وأقل يرمز له (–) وكلّ شكل موضعي يعطي نتيجة محدّدة، فلا تتساوى النتائج لاختلاف الأشكال الموضعية الفارغة والمثال يوضح ذلك: سنأكل قليلا هذا المساء، لأنّنا أكلنا كثيراً في الغداء .

ولابُدَّ من الاشارة إلى أن بيرلمان وزميله قد تفطنا إلى أهميّة الموضع [٣] قبل ديكرو وأنسكومبر، وأن الباحثينِ اقترضا مصطلح الموضع من أرسطو وأعطياه معنى مغايراً[٤]. ومثال آخر يوضع معنى الموضع : إنه كثير العمل رغم ذلك لم ينجح، فالمواضع : كثير العمل ناجح ، فهذا الاعتقاد شائع لدى كثير الناس.

---

[١] يُنظر: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم : ٣٧٧.

[٢] العامل الحِجاجي والموضع : عز الدين الناجح ، ضمن كتاب الحِجاج والاستدلال الحجاجي دراسات في البلاغة الجديدة بإشراف حافظ اسماعيلي علوي ، دار ورد الاردنية للتوزيع والنشر ، ط١، ٢٠١١ :١١٤.

[٣]) الموضع : يراد به مجموعة من المبادئ والأفكار والعقائد المشتركة بين الناس، ينظر :رسائل الإمام علي في نهج البلاغة (دراسة حجاجية) : رائد مجيد جبار، كربلاء : العتبة الحسينية المقدسة ـ مؤسسة علوم نهج البلاغة ،ط١، ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م: ١٧٢.

[٤] يُنظر: العامل الحجاجي والموضع : عز الدين الناجح: ٩٥ ، ٩٦، ١٠٠، ١٠٤ ، ١٠٥

ومن ظائف العامل الحجاجي في نطاق ما يسمى بالحجاج التقني القائم على مبدأ القول بالتوجيه عندما يدخل على الملفوظ، حيث يكسب الملفوظ مظاهر حجاجيّة هي :

١ـ القضاء على تعدد الاستلزامات والنتائج كأن يقول شخص ما : زيد كاتب، لهذه الجملة عدة تأويلات، حيث إنّ زيد يمكن أن يكون له عمل غير الكتابة مثلا أن يكون شاعر أو فيلسوف إلى ...، ولكن حين ندخل عليه إحدى العوامل الحجاجية تتحدّد النتائج، فتكون نتيجة واحدة محدّدة مثل : ما زيد الا كاتب، حيث قيد العامل الحجاجي الملفوظ، من خلال ذلك تتقيد التأويلات بدخول العوامل الحجاجية، فالجملة الأولى اخبارية والجملة الثانية حجاجية بفعل العامل الحجاجي .

٣ـ تقوية التوجيه نحو النتيجة، وذلك على صعيد ما يسمّى بالمربّعات الحجاجية والسلالم الحجاجية [١] .

يوضحُ أبو بكر العزاوي مفهوم العامل الحجاجي بذكر مثالينِ عليه :

ـ الساعة تشير إلى الثامنة .

ـ لا تشير الساعة إلّا إلى الثامنة .

وعند دخول أداة القصر " لا ...إلّا " وهي عامل حجاجي أيضاً، لم يحدث أي اختلاف بين المثالين فيما يخص القيمة الإخبارية أو المحتوى الإعلامي، ولكن الذي تغير بهذا الإجراء هو القيمة الحجاجية للقول، فعند التأويل لهذه الملفوظ، الساعة تشير إلى الثامنة، أسرع، ولا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، فالمثال الأول سليم ومقبول، أما المثال الثاني ففيه نوع من الغرابة يتطلب مساراً تأويليا مختلفا، فالقول السابق (الساعة تشير إلى الثامنة) له إمكانات حجاجية متعدّدة، فقد يخدم هذا القول

[١] يُنظر: العوامل الحجاجيّة في اللّغة العربيّة : عز الدين الناجح : ٣٥.

نتائج من قبيل : الدعوة إلى الإسراع، التأخر والاستبطاء، موعد النشرة الأخبارية ... إلخ، ولكن عندما يدخل عليه العامل الحجاجي : "لا ...إلا "، فإن إمكاناته الحجاجيّة تقلصت، وصار الاستنتاج العادي والممكن هو :

ـ لا تشير الساعة إلّا إلى الثامنة، لا داعي للإسراع [١].

وبالنسبة للجانب التطبيقي للعوامل الحجاجية ستقتصر دراستنا هذه على بعض العوامل : هي (إنما، ما ... إلّا، ليس ...إلّا، لا ... إلّا ، خلا ... إلّا، لم)

عاملية الحِجاج بأدوات القصر:

ويمكن التعريف به (القصر): هو تخصيصُ أَمر بأَمر آخر من خلال وسيلة من وسائل القصر، وله طرق عدة منها : النفي والاستثناء بـ (ما ... إلا، وإنّما، وتقديم ما حقه التأخير)[٢]، ويُعدُّ صورة من صور التراكيب التي تأتي للإثبات، حيث إنه يخصص صفة معينة بموصوف معين[٣]، وسنذكر بعض هذه الأدوات التي وظفها الشاعر في نصه الشعري، واستعمل الشاعر أسلوب القصر بـ(إنّما) يبن مدى الكره والبغض والحقد الذي يكنه العبشمي[٤] للإمام علي (عليه السلام) وقوله :

فتنة راش سهمها عبد شمس فأصابت من هاشم أولاداً

إنّما العبشميُّ خصمُ عليّ وقِلاه[٥] يلازمُ الميلادا[٦]

---

[١] يُنظر: اللّغة والحجاج : أبو بكر العزاوي : ٢٨،٢٩.

[٢] يُنظر: الكافي في البلاغة : أيمن أمين عبد الغني ، دار التوفيقية للتراث . القاهرة : ٤٠٩، ٤٠٨.

[٣] يُنظر: القيمة الحجاجية لأسلوب القصر في اللغة العربية، محمود طلحة، جامعة الأغواط : ١١٣.

[٤] هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية ، أدرك الاسلام وطغى فشهد بدراً وقاتل قتالاً شديداً يوم بدر وقتل على يد الإمام علي (عليه السلام)،(... ـ٢هـ ،٦٢٤م)، ينظر: الاعلام : خيرالدين الزركلي،٤/٢٠٠.

[٥] قِلا : غاية البغض والكره، يُنظر القاموس المحيط : الفيروزبادي :١٣٦٢.

[٦] عيد الغدير :١٠٧.

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى اثبات الخصومة والعداوة من عبد شمس للإمام علي (عليه السلام) ـ فالعداء كان بسببه ـ والتي راح ضحيتها أولاد هاشم، وكان ذلك بسبب تسليم الإمام علي(عليه السلام) الخلافة بعد رفضها من قبله عدة مرات ليرى من هو أحق بها، وكذلك العداء الشخصي من قبل هذا الأول للإمام علي(عليه السلام).

فالحجة التي يقدمها الشاعر هي البغض والكره والعداوة التي يكنها العبشمي للإمام، أما النتيجة فهي الفتن التي راح ضحيتها بعض بني هاشم إذ سببت النزاعات والصراعات في ذلك الوقت، وتسليم الإمام علي(عليه السلام) الخلافة، وقد جاء العامل(إنما) لتنبيه المتلقي بأن عداء عبد شمس صبَّ على الإمام لا غير. فإنَّ إيراد بولس سلامة هذه الأداة في هذين البيتين ساهم في إبراز الجانب الحجاجي، حيث إنَّ السامع/المتلقي يشكُ في ذلك الأمر، وأتى الشاعر بهذه الأداة ليؤكد هذه القضية .

ونرى الشاعر يوظف هذا العامل الحجاجي مرة أخرى عن لسان حال زينب الحوراء (عليها السلام) من خلال الحوار الذي جرى بينها (عليها السلام)، وبين عُبيد الله بن زياد عندما أظهر الشماتة لها يقول الشاعر :

فـــأجـابت بـحكمـــةٍ وإباء ... هـاج فـــيـه شـــرارة الإيقـــاد

يـفضـحُ الـــجـوهر الـــقديـم هـجينّا ... محدَث الجاه زائف الأجداد

ذاك أن الـعـريـن يـبقـى عـريـقاً ... لايـضير الـــهـزالُ أصـلَ الـجـــواد

ربّ قـصـديـرة تغشُّ وتغـــــــري ... حـيـنمـا التـبـر ذائب في الرماد[1]

لا يـكون الـطود[2] الـعـتيّ خـصـيـباً ... إنّما الخـصـب في وديع الـوهـاد

يحدثنا بولس سلامة من خلال هذين البيتين عمَّا عبرت عنه عقيلة بني هاشم زينب (عليها السلام) واستشعارها بالفخر والإباء أمام عبيد الله بن زياد، حيث كان برفقتها

---

[1] عيد الغدير :٢١٤.

[2] يُنظر: الطود : الجبل ، الوهاد : الأرض المنخفضة ، القاموس المحيط : الفيروز بادي : ١٠٢٣، ١٧٨٣.

علي بن الحسين(عليه السلام)، وهو عليل، بعد حادثة مقتل الحسين (عليه السلام)،مظهراً شماتته بأهل البيت (عليهم السلام)، فعبرت من خلال ذلك أيضاً عن استيائها منه، فكأنَّها تعقد مقارنة في الحسب والنسب بين عبيد الله بن زياد، وبين أهل بيتها، فشبهت أعماله بالشيء الفاني كالقصدير مثلاُ، في حين شبهت أهل بيتها بالذهب؛ لما لهم من سلطان وعزة.

فقد ورد العامل الحِجَاجي (إنّما)، ليفضي إلى حصر الحُجَّة نحو نتيجة واحدة، فالمتكلم يريد أن يثبت للمتلقي أنه رغم تشفي ابن زياد بآل البيت ـ لتجرده من الخصال الحميدة كالفسق والكذب والطيش ـ وما يُقابل ذلك موقفها عليها السلام الذي يتسم بالتحلي بالصبر ووقوفها بصلابة أمام ابن زياد، فهو مهزوم رغم البهرجة والزينة التي تزين القصر، ومقابل ذلك هي مُنتصرة رغم أنها منكوبة بأهل بيتها (عليهم السلام) لما جرت عليهم من مصائب، فالنتيجة تتمثل في انتصارها (عليها السلام) معنوياً وبالعكس من ابن زياد.

ومن الأمثلة على هذا العامل الحجاجي، وصف بولس سلامة حالة استنفار الخوارج في مواجهة خصمهم يقول :

وتنادت خوارج لضلال يفسدون التحليل والتحريما

أمَّهُمْ غيُّهمْ فكانوا خفافيش عتماةً، ترى الضياء بهيما

أو فراشاً على المصابح يهوي يحسب النار بابه المرسوما

إنَّ شرّ الضلال رأيُ عنيدٍ لا يرى غيرُ رأيه مستقيما

كلُّ رأس من دونه، وظهور النـ ـاس لانت لتنحني تسليما

لا يرى من سواه غير حواشٍ فبه يصبح العظيم عظيما

إنـما الـكبـريـاء آفـة إبـلـيـــــــس، مـلاك غـوى، فـعـاد رجـيـمـــــــا[1]

تكشفُ هذه الأبيات عن حالة نقض العهود من قبل الخوارج وبثهم للفتن، ومخالفتهم لسياسة الإمام علي(عليه السلام)، واتباعهم سياسة معاوية بن أبي سفيان بقيادة عمر بن العاص، فيتضح من هذا أنهم فئة انحرفوا عن الحق واتبعوا الباطل، وهذا بفعل النفس الأمَّارة بالسوء التي دعتهم إلى إشاعة الفحشاء، فسقطوا في ظلمات الفساد وأثبتت قلوبهم على الشر والطغيان وعميت ابصارهم، فيرون أنفسهم أكثر استقامة من غيرهم، وبعد ذلك قاموا بضم الناس أليهم، فترى ظهورهم محنية لمبايعتهم، فكان لهم كبرياء عظيم، فأبوا أن يبايعوا الإمام (عليه السلام).

إنَّ القول: (إنما الكبرياء آفة ابليس...) يوجه النص الشعري نحو نتيجة مضمرة تتمثل في(اتصاف الخوارج بالتعنَّت والتكبر)، وبفضل العامل الحجاجي (إنما) تحولت العبارة من الابلاغية إلى الحجاجية، فالقول : الكبرياء آفة ابليس، هذه جملة اخبارية، ولكن عند دخول العامل الحجاجي (إنما) قيد الملفوظ نحو نتيجة معينة. ونلتمس عامل حجاجي آخر يكمن في القول :إنَّ شر الضلال رأيُ عنيد لا يرى غير رأيه مستقيما، والقول : لا يرى من سواه غير...، فالعامل الحجاجي (لا ...غير) يعد أحد اساليب الاستثناء فهي ـ غير ـ بمعنى مثل[2] فإن وظيفتها الحجاجية تحدُّ الامكانات التأويلية للملفوظ وتقيده، فالملفوظان أعلاه يوجهان النص نحو نتيجة مضمرة مفادها(تعصب الخوارج لارائهم رغم أنها غير صحيحة) بوساطة العامل الحجاجي (لا ... غير).

ومن العوامل التي وظفها بولس سلامة العامل الحجاجي الذي يدلُّ على النفي والاستثناء(ما ...إلّا) يقول:

يَـشْـهدُ الله أنّـكـم خَـنْـتَمـونِي مـا رَضـِيْـتُ التـحكيـمَ إلا كـظـيـمـا

---

[1] عيد الغدير :١٢٧.

[2] يُنظر: الكتاب(كتاب سيبويه) :أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ٢/ ٣٤٣ـ ٣٤٤.

كـنتُ حـذّرتـكم عـواقـب غـدرٍ فـأبـيـتـم إلّا الـمـقـال السـقـيـمـا[1]

يتضمن الخطاب لسان حال الإمام علي (عليه السلام) وهو يلقي اللوم على الخوارج، وتأكيده على ما قامت به، ويذكرهم خيانتهم الأمانات وأنهم قد اضلوا الطريق.

يسوق لنا بولس سلامة في موضع الخطاب الشعري الحجج التي أوردها الإمام علي (عليه السلام) يمثلها قوله: إنكم خنتموني، وتحذيره لهم (عليه السلام)، ومخالفتهم له واتباعهم الأقاويل الباطلة لصالح نتيجة واحدة مفادها(قبوله التحكيم عن غضب وسخط واكراه وعصيانهم له، وهذا كله تم بهذا العامل الحجاجي الذي قلص الأمكانات التأويلية للقول، وأعطى الملفوظ قوة حجاجية، محاولة منه أن يقنع المتلقي أن يغير موقفه.

لقد وظَّف الشاعر العامل الحجاجي (ليس ...ألّا) لإقناع المتلقين بقضية هي (وقوع أبو موسى الأشعري في خداع عمرو بن العاص فيما يخص التحكيم بعزل الإمام علي ومعاوية من الحكم وإحلال مكانهم عبد الله بن عمر يقول بولس سلامة :

عـلـق الـشـيـخ فـي حبـالـة عـمـــرو مثـلـمـا تـأخـذ الحـبال الظـلـيـمـــا

قـال: هـذي الـحـروب قـد هـدت الإســ ــلام هـداً فـــصـار جسـما كـلـيـمـا

ليس بـيـت إلّا يـضـمُّ عـجـــــــــوزاً ثـاكـلا أو يـرى غـلامـاً يـتـيـــمـاً[2]

يستذكر الشاعر في هذه الأبيات الحوار الذي جرى بين أبي موسى الأشعري شيخ المسلمين وعمرو بن العاص، والخطاب صادر من عمرو بن العاص إلى الأشعري، فسرعان ما أصبح النقاش حاداً لأن كليهما قاما بالاتفاق على تولية عبد الله بن عمر والياً على المسلمين واستبعاد معاوية والإمام علي (عليه السلام) من الحكم، خلال هذه المدة أكشف الأشعري ما ينوي عليه عمر، فغضب لذلك الأمر، تبع ذلك شعوره

---

[1] عيد الغدير :١٢٧.

[2] عيد الغدير : ١٢٥

بالخيبات لما آل إليه حال المسلمين من حروب ودماء كانوا في غنى عنها، فهذا الإسلام المتداعي كان نتاجاً لهذه التمزقات لا يستطيع أن يكونَ سقفاً لعجوز كهل أوغلاماً يتيماً[١] .

فالمتأمل في الخطاب يجد أن وحدة الإسلام أصبحت متداعية في الوقت أنذاك، فوظيفة العامل الحجاجي جاءت لتزيل الشك من ذهن المتلقي بشأن وضع الإسلام في ظل تلك الحقبة وما آل إليه من تداعيات. إنَّ هذا العامل قد ازال الوهم عن استقرار وحدة الإسلام وتشتتها .

استعمل الشاعر العامل الحجاجي النفي والاستثناء بـ (ليس ...إلّا)، ونجده يتحدثُ من خلال هذه الأبيات عن الحملة التي شنها أصحاب مسلم بن عقيل بقيادته وخاصة بعد ما شاع خبر اعتقال هانئ بن عروة من قبل عُبيد الله بن زياد، وهو أحد اصحاب مسلم، ووصل أصحابه إلى قصر الامارة في الكوفة ثائرين لما حدث، حيث كانت أعدادهم ما يقارب أربعة آلاف، وعند تهديدهم من قبل الحرس والتي كانت أعدادهم قليلة بالنسبة لأصحاب مسلم انسحبوا، وبعد ذلك لم يبقَ من أصحابه إلا عدد قليل جداً، وهذا يدلُّ على موقف أصحابه المتخاذلين، وهذا يناقض تماما موقف مسلم حيث إنه شجاع لا يهاب أحداً الا الله سبحانه وتعالى[٢] يقول الشاعر في ذلك:

قـادهـم مـسلـم إلى القـصر كـثـراً فـعـبـاب يـموج فـوق عبـاب

بـلـغـوه، وليس فـيـه، من الحُـجَّـ ـاب ،إلا زعـــانف الحـجَّـاب [٣]

استعمل الشاعر عاملية الحصر بالنفي والاستثناء عن طريق توظيفه هاتين الوحدتين الدلاليتين حيث تَدلُّ الوحدة الأولى (ليس) على النفي، والوحدة الثانية (إلّا) على الاثبات، إن هذا الأسلوب يحصرُ فعالية الحِجاج في وجهة حِجاجية واحدة؛

---

[١] يُنظر : عيد الغدير ١٢٣.

[٢] يُنظر: عيد الغدير الهامش : ١٦٥.

[٣] عيد الغدير : ١٦٥.

ليضفي على الكلام قوة حِجَاجيَّة تزيد من طاقته في توجيهه نحو النتيجة المُضمرة[١]، فالحُجَّة تتمثلُ في أنه رغم كثرة أصحاب مسلم بن عقيل في التوجه نحو قصر الكوفة ألا أنهم لم يستطيعوا أن يغلبوا حرس القصر رغم قلتهم؛ لغلبة صفة التخاذل عليهم، فهذا النَّصُّ الحِجَاجي يحملُ في طياته حُجَجاً مُضمرةً تتمثلُ في اعتقال هانئ بن عروة لصالح نتيجة ثورة الأصحاب بقيادة مسلم بن عقيل، ونلمس ذلك أن العامل حدد إمكانات الكلام ووجهه نحو شيء مؤكد.

وفي الصدد نفسه نجد الشاعر يتوجعُ لما مرَّ به مسلم بن عقيل من غدرٍ وخيانةٍ في الكوفة، ويصف أصحاب مسلم وأهل الكوفة بالذئاب التي تأكل وتفترس الفريسة وهي ضعيفة حينما تجوع، هكذا فعلوا أهل الكوفة بقيادة بن زياد بالسيطرة على مسلم بعد ما واجههم بكل شجاعة وبسالة مُدافعاً عن الحق، بعد ذلك استنفد كامل قواه الجسمانية، حيث عاملوه بوحشية وانهالوا عليه بالضرب كما أكدت الروايات ذلك، والذي يؤكد ذلك استشهاد الشاعر بقوله :

لا تخـونُ السبــاع إلّا جيــاعـاً فـتـلبّي تـضــوّر[٢] الأنيــاب[٣]

نجد في هذا النموذج أن بنية الملفوظ اعتمدت على العامل الحجاجي (لا ...إلا)، حيثُ تُعدّ أحدى أدوات الحصر كما ذكرت الدراسات النحوية والبلاغية، وقد أحسن الشاعر في توظيفه، وعمل هذا الأسلوب على توجيه الملفوظ نحو وجهة محددة، فالحجة تتمثلُ في المؤامرة المُدبرة لمسلم بن عقيل من قبل مُحَمَّد بن الأشعث وقلة حيلته لصالح نتيجة مُوحدة هي تعرضه للخيانة والخذلان، وبهذا العامل قيد

---

[١] يُنظر: الحِجَاج في كلام الإمام الحسين : عايد جدّوع حنّون، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، ط١، ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م : ١٣٢.

[٢] "التَّضوُّرُ: الصِّياح والتلوي عند الضرب أو الجوع ، الصِّحاح :أبو نصر إسماعيل بن حماد الجُوْهَري، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الحديث القاهرة : ٦٨٧.

[٣] عيد الغدير : ١٦٦.

الملفوظ وحدد إمكانات تَأْويل الكلام، فالخيانة حصرت في أهل الكوفة وصحبه دون غيرهم .

قام العامل الحجاجي(خلا ...إلّا) في هذه المقطوعة بتقييد الإمكانات للملفوظ، وتعدُّ هنا خلا حرف استثناء تخفض ما بعدها [١]، وهذا ما نجده في القول:

وتداعت أعداؤه مثل صـــــرح يتهاوى على الصعيد رميـــــما

كرقيقِ الزجاجِ في قبضة الزلـ ــزال يهوي محطَّما تحطيمـــــا

وخلا النهروان إلا من العقبـــ **ــان[٢] والوحش لم يعد منهوما[٣]**

تنبئ هذه الأبيات عن شجاعة الإمام علي(عليه السلام)، في مقابلة الخوارج وكيف سيفه فتك بهم فتكا، والخسائر التي لحقت بهم مثل الصروح التي تسقط على الأرض وتتحطم، ولم يَبقَ في أرض النهروان إلّا القليل من الحيوانات، أي خلت من المقاتلين الأعداء بعد أن قاتلهم (عليه السلام) قتالاً شديداً. إنَّ الملفوظ (وخلا النهروان إلّا من العقبان...)، وجه النص وجهة حجاجية، بأن الخوارج قد ولى زمانهم.

وظف الشاعر هذه الأداة (لم) في النص وكرر استعمالها ليوضح للمتلقي أمراً يجهله أو يشك فيه . حيث تدخل على الفعل المضارع وتخلصه للماضي [٤]، هذه دلالتها من الناحية النحوية، أما من الوجهة الحِجَاجِيَّة، فقد وظفها الشاعر في مقام ذكر مناقب الغفاري مؤكد نفيه عدم موته وحيداً رغم أنه بعيد عن دياره؛ لأنّ الله سخَّر له من يقوم بِمراسِيم دفنه من المؤْمنينَ، وهذا بسبب قربه من النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حيثُ إنَّه عالمٌ غزيرٌ العلمِ يستقي وينهل العلماء من

---

(١) يُنظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني : للإمام أحمد بن عبد النور المالقي (ت ٧٠٢هـ) ، تحقيق: أحمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللُّغة العربية بدمشق : ١٨٥.

(٢) العقبان : عِناق الطير العِقْبانُ، وسباعُ الطير التي تصيد، والذي لم يَصِدْ الخَشاشُ. لسان العرب : مادة (عقب) ١/ ٦٢١.

(٣) عيد الغدير: ١٢٨.

(٤) يُنظر: رَصف المباني في حُروفِ شرح المعاني: للإمام أحمد بن عبد النور المالقي: ٢٨٠

علمه، ويرى الشاعر أنه في منزلة الشهداء تلك المنزلة الرفيعة لما جرى له من مأساة وشقاء في مواجهة الظلم من أجل تحقيق العدالة والانتصار للإسلام، وقد كرر النفي لغرض الرد على من يعتقد أنه مات وحيداً، بل حمل معه أعماله الصالحة فضلاً عن الخصال الحميدة التي كان يتمتع بها فأكدَّ شهادته؛ كون الشهيد لا يموت يبقى مُخْلّداً، ويقول الشاعر في ذلك :

لـم يمتْ نائي الـدِّيار وحـيـــــــداً مَنْ تَســـيِر العــقــول فـي أنـوارهِ

لــم يمــتْ مُــفــرداً شــهيـدٌ يغض العـــدلُ حــزناً لبـؤسه واحتـضــاره[1]

فالحجَّة لأنه عالم وما حواه من معرفة ودين لم يمت وحيداً رغم ما حصل له الكثير من المُعاناة، والنتيجة عُدَّ من الشُهداء، والعامل الحجاجي (لم)، قيدت العربية حروف مختصة للنفي وهي (لا، لن، لم، ما)، وهذا يصدق على قول انسكومبر، والذي يرى أن في اللغة عوامل حجاجية تقوي الملفوظ وتوجهه نحو نتيجة معينة، [2]، وأما النتيجة فتتمثل غزارة علمه حيث يستفيد منه من أراد التزود بالعلم والمعرفة ، واما النتيجة الأخرى التي يمثلها البيت الثاني، فهي ضمنية ذلك أنه صحابي جليل وصاحب مأثر كثيرة ...الخ .

---

[1] عيد الغدير : ١٠٢.

[2] يُنظر: العوامل الحجاجية : عز الدين الناجح :٤٧ .

المبحث الثالث : السلم الحجاجي في ملحمة عيد الغدير

- **مفهوم السلم الحجاجي**

يُعرِّف السلّم الحجاجي بأنه " عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ومُوفِّية بالشرطين التاليين :

أ . كُلّ قول يقع في مرتبة ما من السُلَّم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه .

ب . كُلّ قول كان في السلم يدلّ على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه .

يتبين ذلك في الرسم الآتي:

نا[زيد من أنبل الناس خلقا]

د أكرم زيد عدوه

ج أكرم زيد صديقه

ب أكرم زيد أخاه

حيث ب وج ود ترمز إلى الأدلة "[1] .ويُرمَز للنتيجة بالرمز (نا) وقد يلاحظُ في هذا المثالِ أنَّ العناصَر الحجاجيّة تَنتمي إلى فئةِ حجاجيةِ موحدةِ بوساطة العلاقة الحجاجيَّة، وهذا يخدم نتيجة مضمرة فضلاً عن ذلك انتماؤها إلى نفس السلَّم الحجاجي، ويَرَى عزّ الدّين النّاجح أن تعدّد الحِجج ، وتعدّد المقامات مَدْعَاة للترتيب والسلّمية . وترتيب الحجج وسلميتها يسند الملفوظ طاقة للظفر بالنتيجة، ولا يَكُونُ هذا إلّا بما يوفّره العَامِل من حسن توجيه للملفوظ [2]. وقد عرّف أبو بكر العزاوي

---

[1] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : طه عبد الرحمن المركز الثقافي العربي ، ط١، ١٩٩٨م : ٢٧٧.

[2] يُنظر: العوامل الحجاجية في اللّغة العربية : عز الدين الناجح ، دار نهى صفاقس ـ تونس، ط١ ، ٢٠١١: ١٣٢، والحجاج مفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة) : حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث ، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م :١٠٥/٢ ، السلميات الحجاجية : أزفالد ديكرو ، ترجمة وتقديم : أبو بكر العزاوي ، ط١ ، ٢٠٢٠:٢٠ .

السلَّم الحجاجي بإنّه فئةُ حجاجيَّةُ مُوجّهة نحو نتيجة معيّنة، وهو علاقة ترتيبية للحجج الموجهة نحو نتيجة معينة[١] .

وقد يؤدي السلّمُ الحجاجي دوراً مهماً في عملية الإقناع عبر مراتبه أي درجاته، فكلما كثرت الحجج زاد التأثير في المتلقي أي السامع [٢]. ولديكرو تصورٌ عن نظام الحجج قائم على معيار التفاوت في درجات القوة والضعف، وعلى سلمية ممكنة بين الحجة الأكثر قوة، وبين الحجة الأكثر ضعفاً، ويمكن القول إن متكلماً ما وضع فئة حجاجية حين توافرت لديه حجتان ونتيجة، فالحجة الأقوى على سبيل المثال يرمز لها بالرمز ج١، والحجة الأضعف يرمز لها بالرمز ج حيثُ إنّ هاتين الحجتين تخدم نتيجة معينة يمكن أن يرمز لها بالرمز م، وهذا التصور يسميه ديكرو السلميات الحجاجية كما ترجمه العزاوي[٣].

- **قوانين السلم الحجاجي :**

استطاع الدارسون تلخيص القوانين التي تسهم في ضبط السلّم الحجاجي وهي عبارة عن ثلاثة قوانين تتمثل في :

١. قانون الخفض : يَرى طه عبد الرحمن أنَّ مضمون هذا القانون هو " يتلخص فيما إذا صدق القول في مراتب معيَّنة من السلّم، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها "[٤]. وقد يوضح هذا القانون (Loid'abaissement) الفكرة التي تَرَى أن النَّفي اللغوي الوصفي مساوٍ للعبارة :"moins que"، وقد استعملَ أبو بكر العزاوي بعض الأمثلة لتوضيح هذا القانون، والقوانين الأخرى :

ـ الجوُّ ليس بارداً .

---

[١] يُنظر: اللُّغة والحجاج : أبو بكر العزاوي :٢٠،٢١.

[٢] يُنظر: السلالم الحجاجية في خطب الإمام علي : الساكر وداد، وقصة فطوم رسالة ماجستير : ٥٠ .

[٣] يُنظر: النظرية الحِجَاجِيَّة من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية : محمد طروس ، دار الثقافة ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م : ٩٥، السلم الحجاجي في الخطاب الشعري (نماذج من شعر عز الدين مهيوبي) : زيار فوزية ، مجلة الاشعاع، العدد الخامس ـ ديسمبر ٢٠١٥ : ٢٢٤.

[٤] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : طه عبد الرحمن :٢٧٧.

ـ لَم يحضرْ كَثِيْر من الأصدقاءِ إلى الحفلِ .

ويَرى هذا الأخير ضرورة استبعاد التأويلات وهي (إنَّ البردَ قارسٌ وشديدٌ) أو أن الأصدقاء كُلهم حضروا إلى الحفل، فتأويل القول الأول على النحو الآتي :

_ إذا لم يكنْ الجوُّ بارداً، فهو دافئٌ او حارٌ، وأما القول الثاني يؤولُ (لم يحضرْ إلا القليل إلى الحفلِ)، ومن الملاحظِ في هذهِ الأقوال الإثباتية ـ الجوُّ بارد ـ أنها لا تتدرجُ ، والأقوال المنفية ـ الجوُّ ليس باردا ـ في نفسِ الفئة الحجاجية، وهذا يعني أنّ الخفض الذي ينتجُ عن النَّفي لا يتموقعُ في السلّمِ الحجاجي، ولا يتموقعُ أيضاً في سلمية موضوعية يمكن تعريفها بوساطة معايير فيزيائية[1].

٢. قانون النفي : وقد يسمّى هذا القانون (قانون تبديل السلّم) : إنَّ مضمون هذا القانون يتحقق بشرط أن كان القول دليلاً على مدلول مُعيّن، فإن نقيض هذا القول دليل على نقِيْض مدلوله[2]، والمقصود بذلك أنه إذا كان قول المرسل في الخطاب موجها لِيخدم نَتِيجَة مُعيّنة، فإنّ نفيه سَيْكُون لصالحِ النتيجة المضادة، ويمكن أنّ نمثل لهذا بالمثاليين الآتيين:

ـ عبدُ البارئ صَدِيْقي، فهو يَقفُ بِجَانبِي دَائماً في أوقاتِ الملماتِ، فهذا حجاج واقع بين طرفين، عند نقد إحداهما عمل عبد البارئ، في حين الآخر يبرره، ففي هذا المثالِ يتضّحُ أنه حتى لا يَظن الطرف الآخر أنّ الطرف الأول يكره عبد البارئ فإنّه يُبيِّن له عدم كرهه، فهذا قد وضعه في درجة من سلّم العلاقات الشخصيّة، التي تَبدأ قَاعدتها من عدوّ صعوداً في الترتيب إلى الصدِيقِ الحَمِيمِ، مروراً بوصفِ الصَدِيق، والواضح من هذا الخطاب ليس المقصود (عبد البارئ عدوّي)، وإنّما المقصود من ذلك أنّ (عبد البارئ ليس عدوّي)، وهنا تكمن الحجّة بهذا الشكل [3] .

---

[1] يُنظر: اللُّغة والحجاج : أبو بكر العزاوي :٢٤.

[2] يُنظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : طه عبد الرحمن :٢٧٨.

[3]) يُنظر : استراتيجيات الخطاب : عبد الهادي بن ظافر الشهري : ٥٠٢.

٣ ـ **قانون القلب** : يَرتبطُ هذا القانون أيضاً بالنَّفي، ويُعدّ تَتمِيماً للقانونِ ومُضمُونه، أن السلَّم الحجاجي للأقوالِ المنَّفية هو عكس سلَّم الأقوال الاثباتيّة، ويمكن التعبير عن هذهِ الفكرة بالقولِ: إذا كانت إحدى الحجتينِ أقوى من الأخرى في التدليلِ على نَتِيجَةِ معينة، فإنّ نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيضِ الحجة الأولى في التدليلِ على النتيجةِ المضادةِ . ويمكن التمثيل لهذا القانون بوساطة السلّمينِ الحِجَاجِيينِ :

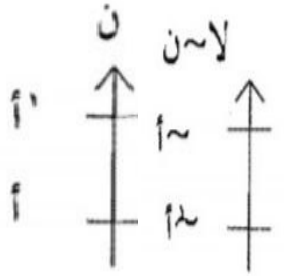

حيث (أ) حجة ضعيفة، (أ١) حجة قوية، (ن) نتيجة .

ولتوضيح ذلك بالمثاليين التاليين:

ـ حَصَلَ زيدُ على الماجستيرِ، وحتَّى الدكتوراه .

ـ لم يحصلْ زيدُ على الدكتوراه، بل لم يحصلْ على الماجستيرِ.

حَصُول زيد على الدكتوراه أقوى دَلِيل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير بَيْدَ أن عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه[١] .

- **السلالم الحِجَاجِيَّة في ملحمة عيد الغدير:**

تَمَثَّلَتْ الحججُ في الديوانِ بشكلِ سلالم حجاجيّة ، ويَظهرُ هذا بشكل جَلّي من خلالِ ما وظفه بولس سلامة من أبياتِ شعرية أسهمت إسهاماً فعّالا في إقناعِ المتلقي والتأثير فيه، ويمكن أن نمثّل لها بقولِ الشاعر :

وَأتـى يـثْرباً يـرُوم نبـــــــــــيّاً أبـعدته حُـسَّادهُ عـن دِيــارهِ

[١] يُنظر: اللغة والحجاج ، أبو بكر العزاوي :٢٢،٢٣.

كـانَ أدنـى إِلى النـبيّ من الأنـصـ ار بـل كان فِلـذة من شعارِهِ[1]

بيّن الشّاعر مجيء النبي محمد (ﷺ) إلى يثرب .

نلحظ في هذهِ الأبيات أنّ هذه الأقوال لم تكنْ على درجةٍ واحدةٍ من القوة، وإنّما تتفاوت ما بين القوة والضعف، فإن الحجج في هذه الابيات جاءت مربوطة بالرابط الحجاجي (بل) التي تربط بين حجتين تؤديان نتيجة واحدة وتكون الحجّة بعدها أقوى من التي قبلها يمكن التمثيل لهذه الأقوال وفق الشكل الآتي للسلم الحجاجي :

ن :هجرة النبي محمد (ﷺ) .

ح٢ كان فِلذة من شعاره .

ح١ كان أدنى إلى النبي من الأنصار

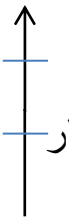

ويمكن لنا تطبيق هذه القوانينَ الثلاثة على هذا الشاهد يقول بولس سلامة بشأن شجاعة الإمام علي (عليه السلام) في مقابلة ابن ود العامري :

مـــا دَرَى أنّـه يُـلاقـي حـــديـداً تَستِجيرُ الرمـضـاء في رمضـائـهِ

مـــا دَرَى أنّـه يُنـازلُ شـــبـلاً غـضـبـات الدهور في أصـــدائه [2]

السياقُ هنا فخر، حيثُ يفخر الشاعر بشجاعة الإمام علي(عليه السلام) خلال لقائه بعمرو بن ود العامري عاقداً مقارنة بينه(عليه السلام)، وبين عمرو بن ود العامري، حيثُ الفرق الشاسع بين هاتينِ الشخصيتينِ من نواحٍ متعددة، واصفاً شجاعته (عليه السلام)، وبسالته وصموده وصلابته في موقعة الخندق، مبيناً عدم زعزعة الثقة في منازلة العدو.

---

[1] عيد الغدير :٩٩.

[2] عيد الغدير :٦٠.

ويمكن تمثيل السلّم الحِجَاجِي وفقاً لقانونِ الخفض على النحو الآتي :

ن: قوة وشجاعة الإمام في ملاقاة الخصم، والثبات بوجهه .

ح٢ ما دَرَى أنه يُنازلُ شبلا

ح١ ما دَرَى أنه يُلاقي حديداً

في العادة يكون الحديد أقوى من الشبل فيكون السلم معكوساً من الأقوى (الحديد) إلى الأضعف (الشبل)، ولكن مع الإمام علي (عليه السلام) فهو أقوى من الحديد.

وعند تخفيض الحجة الأقوى في هذا السلَّم المنفي والتي هي (ما دَرَى أنه يُنازلُ شبلا) صِيَّرتْ الحجة التي بعدها (ما دَرَى أنه يُلاقي حديدا) أقوى منها، فتبعا لذلك انخفضتْ النتيجة، فأصبحت الحجتان (ح١،ح٢) تخدمان نتيجة من قبل (قوة وشجاعة الإمام)، أمَّا الحجة الثّانية فتخدمُ نتيجة مضادة من قبيل شجاعة الإمام علي (عليه السلام)، ولا تتدرجُ في نفس السلَّم الحجاجي؛ لأنها تخدم نتيجة مضادة . نلحظ أنّ الشَّاعر رَتبَ الحجج من الأضعف دلالة إلى الأقوى دلالة، وقدَ رتبهَا ترتيباً تَصَاعدِياً علماً أن هذه الحجج منفية بـ (ما)، حتَّى تخدم نتيجة مفادها شجاعة الإمام كما ذكرناها آنِفا فالشاعر يضع الإمام في أعلى مراتب السلّم الحِجَاجِي .

أخذ الشاعر في هذا البيت يصف شدة احتياج أبي ذر الغفاري لمقومات العيش بعد ما تم نفيه يقول في ذلك :

لا رقــادَ لا مــأكلَ لا شــرابَ لا ظلالَ تـبلُّ وهـج سـعـاره [1]

عرض بولس سلامة هنا ما مرَّ بأبي ذر الغفاري، ويعبَّر عن مدى احتياج أبي ذر الغفاري إلى النوم والراحة بعد ما تم نفيه إلى المكان الخالي الذي لا ماء فيه، ولا أكل، ولا ظلال يستظل بها؛ لشدة الحرارة لكون هذه القفر خالية من النباتات

[1] عيد الغدير :١٠٠.

والأشجار. قدَّمَ الشَّاعرُ الحجج المنفية بـ (لا) مُتمثلة في ح١(لا رقاد)، وح٢(لا مأكل)، وح٣(لا شَراب)، وح٤(لا ظِلال)، حيثُ إنّ هذه الحجج تخدم نتيجة واحدة مفادها (عدم توافر هذه العوامل التي تساعد الغفاري للعيش حيث أشرف على الهلاك بل الموت)، ويمكن تجسيدها على السلّم الحِجَاجي تبعاً للقوانين الثلاثة لِنختمُ بهذا التطبيق على هذه القوانين :

ن : الهلاكُ الذي حلَّ بأبي ذر الغفاري، ومن ثم موته .

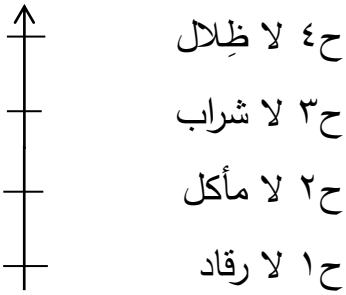

نلحظ هنا ترتيب الحجج ترتيباً تصاعدياً أي من الحجة الأضعف دلالة إلى الحجة الأقوى دلالة ضمن نتيجة واحدة، وهي عدم توفر سُبل العيش لأبي ذر الغفاري أو الهلاك الذي حلَّ به، ومن ثُمَّ موته لعدم توفر تلك السُبل، وبتطبيق قانون الخفض إذن هذه الأقوال ليست على درجة واحدة من القوة، وتنتمي إلى الفئة الحجاجية نفسها، فالحجة التي حصل لها تخفيض هي ح٤ (لا ظِلال ـ أشجار أو نباتات ـ تَقِي الغفاري من حرارة الشَّمس اللَّاهبة)، فتصبحُ الحجةُ مثبتةً (وجود الظِلال التي تقي الغفاري من شدة الحرارة)؛ لِتخدمُ نتيجة مضادة هي (عدم الهلاك لأبي ذر الغفاري)، أمَّا بالنسبة إلى قانون النفي ـ تبديل السلّم ـ فيتحول إلى سلم مثبت، ومن ثم تتغيرُ النتيجة تبعاً لذلك إلى نتيجة مضادة وهي (عدم الهلاك)، وأمَّا قانون السلّم المنفي فيكون بعكسه أي يصيُر السلّمُ مثبتاً، والنتيجة مثبتة، فتصبحُ الحجة الأقوى في السلم المنفي هي الأضعف نحو(لا ظِلال)، والحجة الأضعف (لا رِقَاد) هي الأقوى والعكس .

وسنعرضُ لمراتبِ السلَّمِ الحجاجي من خلال هذه الأبيات؛ لِيبيّن بولس سلامة المراحلَ التي مرَّ بها الرسول مُحمد (ﷺ) في رِحلته منطلقاً بالقول :

وأشبَّ الغُـلامُ فـامـتـدّ صـيتّـــا كـامـتـدادِ الشـعـاع في الدِيجـورِ[1]

طبـعـهُ الصـدقِ والأمـانـةِ فـالأراءُ تَـهـدي هدي الصـبـاح المنِيـر

واصـطـفـتـه خـديجةُ لا تّـجـــارٍ عَـــادَ منـهُ والـربح فِـيـض بحُـور

فـاصطـفـته لنفـسهـا فَـحـبـاهـا شـرَفـا أن تَكُون فـوق الحـور[2]

يَبدو جلياً من خلال هذه الأبياتِ أن الشَّاعرَ يتحدثُ عن مراحلِ اشتداد بأس الرسول (ﷺ)، وبرزه كفارس عربي أصيل مشبهاً أيّاه بانسياب النور في الظلمة، فإنَّ الصدقَ والأمانة هي من الطبائع التي جُبلَّ النبيّ عليها، وهذا الشيء نابع من فطرتهِ وعرُوبتهِ، فاختارته السيدة خَديجة(رضوان الله عليها)، أميناً لتجارتها؛ لصدقهِ وأمانتهِ، ورجاحة عقلهِ، وآرائهِ السديدة؛ نتيجة لذلك ازدهرتْ التجارة، وعادَ إلى مكةِ بخير وفير، وبركةٍ كَبيرةٍ، وحينما علّمتْ بشمائلهِ الكَريمةِ، وفكرهِ القويمِ، فاختارته زوجاً لها، ومن خلال ذلك وضّح الشَّاعر مكانتها العالية والرفيعة عند النبيّ مُحَمَّد (ﷺ). يُقدمُ بولس سلامة حججه بوساطة هذه الأقوال وفق السلم الحجاجي، فتكونُ هذهِ الأقوالِ أي الحجج مرتبة ترتيباً تصاعدياً، ويمكن التمثيل لهذهِ الأقوال بمخطط يُوضّح درجات التفاوت في دلالة الأقوال على القوة والضعف كالآتي :

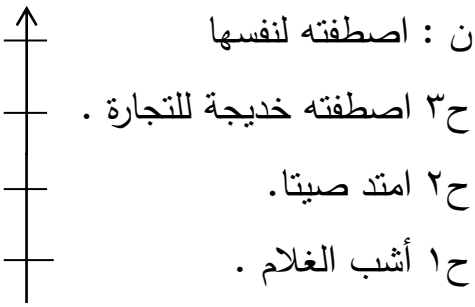

[1] الدَّيجور: الظلام، وليلةٌ دَيجور مُظلمة، الصحاح : الجوهري ، حرف الدال :٣٦١.

[2] عيد الغدير :٢٦.

استهل الشاعر أقواله بحجة دلالتها أقل من الحجج التي تليها متمثلة بـ (أشب الغلام)، وتأتي بعده الحجة بمرتبة أعلى من سابقتها هي (امتد صيتا)، وبعدها أتت الحجة الأقوى دلالة وهي متمثلة بـ (اصطفته خديجة للتجارة)، ومن ثُمَّ أتت الحجة الأقوى دلالة، وكلّ ذلك تم بوساطة تكرار الروابط الحجاجية ـ الواو والفاء ـ التي ساعدت على تناسق النص الحجاجي وترابطه لتظهر الحجج للمتلقي بشكل جلي، وهذا عمل على ترسيخ الحجج في ذهن المتلقي وفق ترتيبها من الحجة الأضعف دلالة إلى الحجة الأقوى دلالة كما قُلنا فيما سبق .

تَحدث الشَّاعرُ في هذهِ الأبياتِ عن بعضِ ما حَدثَ في موقعةِ بدر من أحداثٍ عن طَرِيق رؤيا حَصَلتْ للرسولِ (ﷺ) :

وإذا بالنبيّ في شبهِ رُؤيا ... تَكْشفُ الغِيثُ واضحاً للرَّائي[1]

مدّ سبَّابَة يَشِيرُ إلى الغبراء، ... يَحصي مصارعُ الأشقياء

لا تسلُّوا السيوفَ إلَّا دِفاعاً ... ودعوا للعدو بدء العِداء

وانضحوهم بالنُّبلِ[2] **وادخّروا الأنصـ ... ـال حتَّى تقاربوا في اللِّقاء** [3]

يُكشفُ بولس سلامة في هذهِ الأبياتِ بأنَّ النبيّ (ﷺ) وَأَتتّه رُؤيا أظهرتْ له الخير الكثيَر مُشِير بسبابتهِ إلى ساحة احتدام القتال مُتأملاً برؤيته أرض مصرع الأعداء أمراً من تَنوَّرت قلوبهم بأنَّ لا يُشهروا سيوفهم أَلّا لذوداً عن أبناء جِلْدتِهم، وعن صَون حرية سُلبتْ، تاركين للعدو فرصة التقدّم أولاً، لا يَبغون ظلماً، ولا يَبغون عداءً، وإنَّما ذوداً عن أنفسِهم، وأمرهم النبيّ (ﷺ) بأن ينهالوا عليهم بالنبالِ مُحتفظِين بأنصال سيوفهم إلى أن يحتدمَ القتال ويشتدَّ بأسه .

---

[1] عيد الغدير :٤٣

[2] النبل: السهم والسيف والسكين والرمح : الصحاح : الجوهري مادة (نصل): ١١٤٤.

ن: دعوة النبيّ (ﷺ) اتباعه من خلالِ الرُّؤيا إلى ضبط النّفس حين القتال.

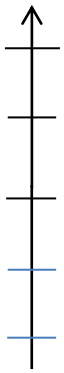

ح٥ حتَّى تقاربوا في اللقاء.

ح٤ انضحوهم بالنُبل وادّخروا النصال .

ح٣ ودعوا للعدو.

ح٢ لا تسلُّوا السيوف إلَّا دفاعا .

ح١ يحصي مصارعَ الاشقياء .

فغاية الشَّاعر الحجاجية هي إقناع المتلقي بأنَّ الرسول مُحَمّد (ﷺ) يوجه المسلمينَ عن طريقِ هذهِ الرُّؤيا الّتي كشفتْ الكثير من الأمور الغامضة لهُ بِتَقدِّيم النصحِ والإرشادِ الممزوج ببعضِ الأوامر الّتي يجبُ عَلِيهم الإلتزام بتطبيقها لهم في كيفية ملاقاة العدو هذهِ الحججِ التي قدَّمها الشَّاعر مبتدئاً بالحجةِ الضعيفةِ، والتي تُعدُّ في أدنى مراتب السلَّم، وهي الحجة الأولى، ثَمّ ينتقل إلى القَوْلِ الثاني، والذي يمثِّل الحجة الثانية، وهو أقوى دَلالة مِنْ الحجة التي سبقتها، وهو نهي الرسول عن سلّ السيوف إلّا دفاعاً عن النفس، وتَمَّ هذا بوساطة العامل الحجاجي ـ النفي والاستثناء ـ الذي له دورٌ بَيِّن في إبرازِ حجاجية القول، وهذا زاد مِنْ التأثيرِ واقناعِ المتلقي، وبعد ذلك ننتقلُ إلى الحجة الثالثة، والتي هي ـ دعوا للعدو ـ حيثُ تُعدُّ هذهِ الحجة في المرتبة العُليا مِنْ مراتب السلَّم، ثم ننتقلُ إلى حجة أقوى وهي ـ أمر الرسول بأنَّ ينضحوا النبل ويدّخروا الأنصال ـ وصولاً إلى الحجة الأعلى المُتَمثَّلَة في مقاربة اللقاء بين العدو، حيث تم ربط هذه الحجة بالأقوال التي سبقتها، وهذه الحجج تخدم نتيجة واحدة الا وهي دعوة الرسول وتوجيهاته للمسلمين عند مقابلة العدو، والأقوال الحجاجية هنا موجهة نحو نتيجة ايجابية .

مع شاهد آخر يوضّحُ بولس سلامة ما جرت من أحداثٍ في موقعة أُحد يقول في ذلك :

واستحرّ الضرابُ ، وانهزم الأبطال، ناسين أن فـــــيـــــهم رسـول [١]

وأصيـبَ الرأس الشريف بجرحٍ لفـــــه الله بالسنا [٢] **منديـلاً**

ينقل بولس سلامة في هذه الأبيات واقعة ارتفاع صليل السيوف مستدلاً بذلك على اشتداد الضراب بعد ما دُحر جيش المسلمين في معركة(أحد) بعد أن تغلغلت الهزيمة في قلوب من لم ينصحْ للنبي (ﷺ)، بعد أن أصيب بهامتهِ الشريفةِ تاركيه مخضباً بجراحهِ،[٣].

ويمكن توضيح مراتب السلم الحجاجي وعلاقته بالقوة الحجاجية من خلال التمثيل له بالمخطط الآتي :

ن : الهزيمة لجيش المسلمين .

ح٣ أصيب الرأس الشريف.

ح٢ انهزم الأبطال (الأصحاب)

ح١ استحرّ الضراب

لابُدَّ لنا من التعريفِ بمفهومِ القُوَّة الحجاجية، فإذا كانتْ البراهينَ المنطقية والرياضية متكافئة ومتساوية من حيث قُوَّتها، ومتماثلة من حيث الطبيعة، فإنّ الحججَ التي يتَضمَّنها الخطاب الطبيعي ليست كذلك، إنّها متفاوتة من حيث قُوَّتها الحجاجية ، فهناك الحجج القوية والضعيفة، وهناك الأكثر قوة، والحجج الأكثر ضعفا فهي ترى أن الحجج لا تتوزع اعتباطاً بل تحكمها تراتبية دقيقة من حيث القوة والضعف[٤].

---

[١] عيد الغدير : ٥٣

[٢] السنا : سنا إلى معالي الأمور ارتفع، ويدل كذلك على ارتفاع العلو والمنزلة عند الله، ينظر: لسان العرب مادة (سنا): ٤٠٥/٧.

[٣] يُنظر: عيد الغدير:٥٣.

[٤] يُنظر: التداولية أصولها واتجاهاتها : جواد ختام :١٤٨.

ولنوضح علاقة السلَّم الحجاجي بالقُوَّة الحجاجية فالحجة الأولى هي (واستحرّ الضراب)، والحجة الثانية هي (وانهزمَ الابطالُ)، والحجة الثالثة هي (أصِيب الراسُ الشريفُ) : هذهِ الحججُ تخدمُ النتيجة الواردة في النص هي(الهزيمة لجيش المسلمين)، أن هذهِ الحجج لم ترِدْ في الدرجة نفسها مِنْ درجات السلّم، فالحجة الثالثة هي الحجة الأقوى، أمَّا الحجتان (ح١ ، وح٢) تؤكد هذهِ الحجج ضعف الأبطالِ وانهزامِهم ويمكن أن تؤدي هذهِ الحجج إلى نتيجةِ ضمنية مفادها تخاذل بعض المسلمينَ والتردد الذي أصابهم، وهذا ولَّد نوعا من التعاليق والترابط بين الحجج والنتائج بوساطة الروابط الحجاجية ـ الواو ـ الذي تضمَّنهُ الشاهد الشعري، وجعل الاستدلال الحجاجي كُلّه مُتسلِسلا ومُتماسكا، ومُتناميا وحفظَ لهُ وحدته وانسجامه، ومِنْ خلالِ ذلك نستنتجُ أن القول الذي يعلو السلَّم يكون دليلا أقوى منه بالنسبة إلى النتيجة المقصودة [١].

وفي موضع آخر نلمسُ ما مرَّ بأهل البيت (عليهم السلام) من مصاعب في واقعة الطف الأليمة، وقد عبر بولس سلامة عن مأساتهم مشيراً لها بهذهِ الأبيات يقول:

شَهِدَ الطفُّ قَسْوة الأوغادِ وذئاباً تختال في أجنادِ[٢]

يَدخلون الخيام، ينتهبون الحفـ ش والرحل أو بقية زادِ

لمحوا المدنف المريض عليّا وعليه لونُ المنية باد

سلبوه الوساد قسرا وكادوا يدفعون الصبيّ للجلّادِ

ثم عادوا إلى الحنان فغلُّوه أسيراً يئنُّ في الأصفادِ[٣]

---

[١] ينظر: الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللُّغوي: نادية رمضان النجار : ١١٤، ١١٥ .

[٢] عيد الغدير :٢١١، ٢١٢

[٣] الأصفاد: قيل هي الأغلال أي القيود، وحدها صفد، والجمع الأصفاد ، يُنظر: لسان العرب مادة (صفد) :٣٥٧/٧.

في هذا المقطع يعبَّر بولس سلامة عن الظلمِ والمأساةِ التي تعرض لها أهل البيت (عليهم السلام) في واقعةِ الطفِ مشيراً إلى بأس وغلظة بني أمية مشبهاً أيَّاهم بأفعال الذئاب، حيث من صفاتها الغدر والخيانة، ويصف الشاعر هيأة دخول بني أمية وهم متكبرين، فكانت أفعالهم الشنيعة هي دخول خيام أهل البيت حيث سرقوا ونهبوا ما تبقى في خيامهم القليل من الأثاث والطعام البسيط، وبعد ذلك ابصروا علي بن الحسين (عليه السلام)، وهو عليل على فراشه، وكاد الشمر أن يقتله[1] . وفي ما يأتي نبيِّن قوة الحجج وفقا للسلم الحجاجي في هذا المقطع الشعري :

ن : المأساة التي مرّ بها أهل البيت بوجه عام وعلي بن الحسين (عليه السلام) بوجه خاص.

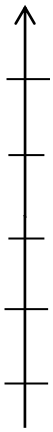

ح٥ غلوه أسيراً أي قيدوه .

ح٤ سلبوه الوساد.

ح٣ لمحو علياً (عليه السلام) مريضاً، وعليه لون المنية (علامة الموت).

ح٢ ينتهبون الحفش والرحل.

ح١ يدخلون الخيام .

إنَّ هذه الحجج أدت إلى نتيجة مفادها الأفعال الشنيعة والظلم والتعذيب الذي جرى على أهل البيت (عليهم السلام) بوجه عام، وعلي بن الحسين (عليه السلام) بوجه خاص، وأن الروابط الحجاجية لها دور بين في إظهار حجاجية النص الشعري وبروزها، فنلاحظ أن الشاعر بدأ بذكر الأقوال(الحجج) من الحجة الضعيفة متمثلة بدخول بني أمية خيام أهل البيت (عليهم السلام)، ومن ثم بعد ذلك ننتقل إلى الحجة الأقوى دلالة وهي نهب وسلب بني أمية الأمتعة والأثاث، وتأتي بعد هذه الحجة الأقوى دلالة وهي رؤيتهم لعلي بن الحسين (عليه السلام) وهو- مريض - ورغم ذلك سلبوه

[1] يُنظر: عيد الغدير :٢١١.

الفراش وهذه حجة أقوى من سابقتها، ثم تقييده (عليه السلام) وهو أسير وهذه تُعدُّ من أقوى الحجج أي الأقوال التي وردت في هذا النص الشعري، وهذه الحجج مترابطة مع بعضها البعض بفضل الروابط الحجاجية .

إنَّ القضيَّة المحورية في هذهِ الأبيات الآتية تَتمثلُ في مقتل حمزة وقد جسَّد هذه الحادثة بولس سلامة من خلال هذه الأبيات يقول :

شَـحذتْ خَنجراً وقَامت إليـــــــه فَرَأى نـصلهُ قـراباً جَـمِـيلاً

غَـاص في الهيكلِ الشَـهِيد وحَـالَ الحقد في جسمِ حمزة تمْثِيلاً

أعـمَلتْ ذئبة النسـاءِ بـكبدِ اللَّيثِ نـاباً لعلَّ تَشـفِي الغَلِيـــــلا

فَـرتْ الكبد مِنْ فَمِ العهرِ، فرّ البكرِ، مِنْ غَـاصِبٍ لِـتبقى بـتـــــولا[1]

يَلْفَتُ الشَاعر الانتباه إلى تَصوِير هذهِ الحادثةِ المُؤلِمَةِ والمروعةِ، وَقَد رَصَد المَشهدَ الّذي حَدَثَ في موقعةِ أحد، وهي التَمثيل بجثةِ الحمزةَ، حيثُ صَوَّر الوقائعَ الّتي تعاقبتْ بَعد غزوة أحد، فَبعد استشهاد الحمزة على يد مِنْ ائتمر بقتله، دنتْ مِنْ جثمانه (هند بنت عتبة)، بعد أن قَامتْ بشحذ خنجرها، ضامرة في نفسِها حقداً خانقاً؛ راغبة أن تَشْفي غَلِيلُها، وتَنَاولتْ هَنْدُ خنجرَ الأحقادِ، ومَررته بنسيجِ جَسدَ الحمزة أعلى يَمِين بطنه مُستخرجة كبده، وبعد ذلِك يُشِير في البيتِ الثالث إلى (هند بنت عتبة) بذئبةِ النساء؛ لِيمعن القارئ بحقيقةِ النار المستعرة بداخلِها، والتي لَنْ تَلينَ أو تنطفئ، إلى أن تصبَّ قهرها في نفسِ من انتَزَعَ أباها مْنهَا، وبعد ذلك قَامتْ بغرسِ أنيابها في الكبدِ، وبعدما أن توارت أمام أنظار الرسول مُحمَّد (صلى الله عليه وآله) قامت بنزع الكبد من ثغرها، وفرّت منهم خوفاً. من الممكن أن نمثل هذه الأقوال حجاجياً على النحو الاتي:

---

[1] عيد الغدير :٥٥.

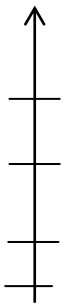

ن: انتقام هند بنت عتبة من الحمزة .

ح٤ فرتْ الكَبد من فمِ العهرِ.

ح٣ أعملتْ ذئبةُ النساءِ بِكَبدِ الليثِ نابا .

ح٢ غَاصَ في الهيكلِ الشَهيد، ويقصد الخنجر.

ح١شَحذتْ هَنْدُ خنجرها .

نلحظ من خلالِ هذهِ الأقوالِ أن الحجج موجَّهة نحو استنتاج سلبي هو مدى الكره والحقد التي تضمره[١]. عمد الشَّاعر في هذهِ الأبياتِ إلى ذكرِ الحجج مرتبة في سلَّم حجاجي تصاعدياً، فشحذ هند خنجرها هو حجة أولى وهي حجَّة ضعيفة، وغرسها الخنجر في جسد الحمزة هي حجَة أقوى من الأولى، وصبَ غَضبُهَا وحقُدُهَا في جسده وقِيامُهَا بانتزاع الكبد بعد غرس أنيابها هي أقوى الأدلة على انتقامها[٢].

ويلجأُ بولس سلامة إلى بيان حالة الرسول مُحَمَّد حيث نال منه المرض ويصفها الشاعر من خلال هذه الأبيات بقوله :

ورأت حكمة السماء ثوابا وخلوداً لكرمها أن يزولا

غلغل البرد في أصول الدوالي وتمشَّى على الجفون ذبولا

دب الفناء في جسم طه فالنبي العظيم بات عليلا

ورآه العبَّاس كالشمعة الصفراء يذوي ويستدق نحولا [٣]

يشير بولس سلامة إلى علامة أو اشارة دنو أجل رسول الله محمد (ﷺ) . اقتضت حكمة الله أن يحين وقت رحيل رسول الله، حيث أصابه البرد وذبلت عيناه الشريفتان، وبدا الضعف على جسمه الطاهر، فصار عليلاً، حيث رأى العباس جسمه مثل الشمعة، فنال منه المرض، ونَحَلَ جسمه الشريف.

---

[١] يُنظر: التداولية والحجاج ، صابر الحباشة : ٧١.

[٢] يُنظر: الحجاج مفهومه، ومجالاته، حافظ اسماعيلي علوي :١ /٩٦.

[٣] عيد الغدير:٨٤.

أنتج النص الشعري سلَّما حجاجياً رتبت الحجج فيه تصاعدياً على الشكل الآتي :

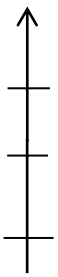

ن: علامات الموت عند الرسول (ﷺ)

ح٣ رآه العباس كالشمعة الصفراء يذوي ويستدق

ح٢ بات عليلاً

ح١ دخول البرد إلى جسده، ودب وهن الفناء في جسم طه

جاءتْ الحجَّةُ الأولى، والتي تَمثلتْ بدخولِ البردِ إلى جسدِه الطاهر، حيثُ تُعِدّ حجة ظاهرة ضعيفة بالنسبةِ إلى الأقوالِ التي تسبقها أو تعلوها، لتأتي بعدها حجّة أقوى مِنْها، وهي الضعف الذي بَدَا في جسمِ الرسولِ مُحَمّد(ﷺ)، ثُمَّ تأتي الحجّة الثالثة، وهي حجة أقوى من سابقتها، وقد تمثلتْ برؤيا العبَّاس له، وهو كالشمعةِ الصفراءِ مِنْ شدة المرض وهو ذَابِل، كُلّ هذهِ الأقوالِ تَخدمُ نَتِيجة معيّنة، وهي علامات الموت التي ظَهرت عليه. وتدعيماً لتلك الحجج يُعرّفُ الشهري السلَّم الحجاجي بأنه " يمثل صلب الحجاج في تدافع الحجج وترتبها حسب قوتها، إذ لا يثبت غالباً إلّا الحجّة التي تفرض ذاتها على أنها أقوى الحجج في السياق. ولذلك يرتّب المرسل الحجج التي يرى أنّها تتمتّع بالقوّة اللازمة التي تدعم دعواه "[1] .

ويصف الشاعر حالة الاضطراب والتغيرات التي حدثت في الكوفة حول مبايعة الإمام علي (عليه السلام) من خلال هذه الأبيات :

أفـــعـم الجـــوَّ بالمـآثم حـــــــتَّى لا تطيقُ الخـيـــاشم استنشـاقـا

فـإذا اســتنشَقَ النـســـيم أبـــــــيّ كـاد من ثقله يـموت اخـتنـاقـــا

وتـداعت في الـكوفـة النـاس همســاً لحـــسين تؤهّب الميـثـاقـــــا

حـجبتـــهم دار الخـزاعـيّ بثُّـــــوا حـولـها من عيـونـهم أطـواقـــا

وسليـمـان قـام فـيـهم خـطيـباً قـال يـا قـوم قـد سـئمـنا النفـاقـــا

[1] استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) : عبد الهادي بن ظافر الشهري : ٤٩٩، ٥٠٠.

أرهـقـتنا بـنو أمـيـــــة فـالأفـــ واه كُـمَّت والـعقـل شُـدّ وثاقـــا [1]

التمَس بولس سلامة في هذهِ الأبياتِ حالة الجوّ المَشحُون بالمأثمِ على يديّ يزيد بن معاوية، حيث لامس طغيانه منتهى الغاية؛ إذ ضاق الخُلق بالمأثم ذَرْعَا (الجزع الذي أصابهم)، حيث تُمثّل حالة النفور مِنْ قبل يزيد بعدَ الأحداث التي دارت في الكوفة، اجتمعَ النَّاسُ قَاصدين مُبَايعة الإمام الحسين (عليه السلام)، وبعدَ ذلك تَجَمَّعَ أهلُ الكوفةِ حول سيلمان الخزاعي دعاهم إلى اقرار العَهد مع الإمام مُخاطبا ايَّاهم؛ إذ كثر النفاق وتأجج في نفوسهم بعد أن أخرسوا أفواه الناس وحجموا عقولهم فتهاوى جسدهم (وحدة أهل الكوفة تشتتت أي تزعزعت أي اصابتهم الفرقة)[2] .

نُمثّلُ لهذهِ الحجج بالسلَّم الحجاجي على النحو الاتي :

ن: الارهاصات التي حدثت في الكوفة، وظلم بني أمية وتدخلهم .

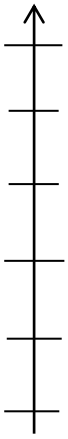

ح٦ الأفواه كُمَّت والعقل شّد وثاقا.

ح٥ أرهقتنا بنو أمية.

ح٤ قال: يا قوم سئمنا النفاقا.

ح٣ سليمان قام فيهم خطيبا.

ح٢ تؤهب الميثاقا.

ح١ أفعم الجوّ بالمأثم.

يتَضمنُ هذا النَّصُ الشعري العَدِيد مِنْ الحججِ التي تَكُونُ مُتَرَابطة وَمُتناسقة الروابط الحجاجية، والتي تَعملُ على تحقيق نَتِيجة واحدة تَخدمُ هذهِ الأقوالِ، ومِنْ المُلاحظِ أن كُلّ حجّة مِنْ هذهِ الحجج تَكُونُ لها درجةٍ عاليةٍ مِنْ القوّة مِنْ حيث الدلالة، وهذا يمكن أن يتمشَّى مع ما تقترحه اللسانيات الحديثة إذا كَانتْ تنفي وجود حجج قويّة أو ضعيفة أو حجج صَالحة أو غير صَالحة، مُؤمنة بأن قوّة الحجج لِيستْ خَاصيّة طَبِيعية فِيها آتية مِنْ وضعها، وإنّما تَرى قُوتها في مَحلِّها مِنْ المَلفُوظِ،

---

[1] عيد الغدير : ١٥٥.

[2] يُنظر: عيد الغدير : ١٥٤.

[١] . والذي يفهمُ مِنْ ذلك أن كُلّ حجة أو قول في مراتبِ السلّم الحجاجي تَكُونُ قوية في سَياقُهَا بغض النظر عن الحججِ التي تَعلُّوها في أي مرتبةٍ مِنْ مَرَاتبِ السلَّم الحجاجي، وهذا قد يَكُونُ بسب السياق الذي وردت فيه القول والمكان والمناسبة هذا من وجهة نظر الباحثة.

حيث طَرحَ الشَّاعرُ الحجج، وبدأ بإيراد الحجج هُنا تَصَاعديا أي من الحجة الضعيفة، فالقوية، ثم الحجة الأقوى، فالحجة الأولى تَمثلتْ في أنَّ الأجواء في الكُوفَةِ أصبحتْ مُعقدة، والوضعُ السياسي صَار مُعقداً حيثُ إنَّ مُوقع هذهِ الحجةِ في أسفل السلّم الحجاجي، ثم بعد ذلك اجتمعَ النَّاسُ في الكُوفة؛ مِنْ أجل مُبَايعة الإمام الحسين (عليه السلام)، وتُعَدّ حجة قوية، وهي الحجة الثانية، ثُمَّ أتتْ الحجة الأقوى دلالة، وهي الفتنة التي حَدثتْ في الكُوفَةِ حيثُ قَام سُليمان فِيهم خَطِيبا، لِتَاتي حجة أقوى من ذلك، وهي الأفواه كُمت والعقل شد وثاقا، كُلّ هذهِ الأقوالِ أي الحجج التي أوردها بولس سلامة تَمّتْ بوساطة الروابط الحجاجية في النَّص الشعري، والتي هي (حتَّى، كاد، الواو، والفاء) حيثُ قُويت الحجج بفضل هذه الروابط . ومعلوم أن الحجة التي تأتي بعد الرابط هي الحجة الأقوى كـ (حتَّى) التي تربط بين حجج عديدة مُتساوقة أي أنها تَخدمُ نَتِيجةٌ واحدةٌ وتَتمثّلُ في قول الشعر : حتّى لا تطيقُ الخياشم استنشاقا[٢].

---

[١] يُنظر: الحجاج الجدلي (خصائصه الفنية وتشكيلاته الاجناسية) في نماذج من التراث اليوناني والعربي: عبد الله البهلول ، مطبعة دار نهى للطباعة صفاقس ـ تونس ، ط١ ، ٢٠١٣: ٧٢.

[٢] يُنظر: اللُّغة والحجاج : أبو بكر العزاوي:٧١، ٧٢.

الخاتمـــــــــــة

الخاتمـــــة

في رحاب ملحمة (عيد الغدير) توصلنا إلى نتائج عدة حول الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري والحجاج اللُّغوي من هنا يمكن الوصول إلى أبرز النتائج التي يشير إليها البحث والدراسة والتي منها :

١. وردت الأفعال الكلامية غير المباشرة بنسبة أكثر من الأفعال الكلامية المباشرة وذلك ما نجده مثلاً تحت صنف الإخباريات عند ذكر الشاعر حادثة الغدير، ووصفه هجرة الإمام الحسين (عليه السلام) إلى آخرها من الحوادث التي مثلها الشاعر خير تمثيل لتضمنها الجانب التخيلي ... وأما الافعال الكلامية المباشرة، فهي وصف الشاعر إحدى أحداث كربلاء ... الخ، أما التوجيهية وغير المباشرة منها تمثلها حادثة قتل الرضيع (عبد الله بن الحسين)، وخطاب الإمام الحسين (عليه السلام) عندما حث رجاله على مقاتلة العدو... ،والخطاب الموجه لابن زياد، وأما الوعديات فنجد الفعل الكلامي غير المباشر حاضر؛ إذ وصف بولس لحضة إعلان الرياحي توبته، أما صنف التعبيريات ويمثلها تعبير الشاعر عن ما مربه وندب حظه، ووصفه نسل آل زياد ولسان حال مسلم بن عقيل (رضوان الله عليه)، وهذه كلها أفعال كلامية غير مباشرة، فضلاً عن ذلك نجد عنصر التفاعل حاضراً في أغلب الخطابات الشعرية، وهذا له دورٌ كبيرٌ في جعل الخطاب الشعري مؤثراً في القارئ، والذي يدلُّ على ذلك نقل الشاعر الأخبار نقلاً أمينا.

٢. إن الهدف من تحليل الخطاب للوصول إلى المعاني المستلزمة، ولمعرفة الخرق الحاصل في القواعد في المبادئ الغرايسية (الكيف، والكم، والصيغة، والمناسبة)، وهذا لا يحصل اعتباطاً وإنما لسبب يعرفه الشاعر؛ بفضل تمكنه بمعرفة المعاني المجازية ولا سيما الاستعارة أي امتلاكه الحصيلة اللغوية من المعلومات والمعارف، والمامه بكافة الجوانب الثقافية والاجتماعية والسياسية والتاريخية، فضلاً عن كثرة العبارات غير الصريحة والتي توحي إلى المعنى المستلزم، ولا

ننسى أن نشير إلى كمية الخرق الحاصل في الجملة داخل الحوار، أي أن الخطاب يحمل أكثر من خرق للمعنى الواحد في العبارة الواحدة، فضلاً عن ذلك نجد أن المعنى الضمني هو المعنى المستلزم .

٣. يُعدّ الخطاب الشعري الذي أنتجه بولس سلامة تمثيلاً للأحداث والمشاهد التي عاشها الرسول (ﷺ)، وأهل البيت (عليهم السلام)، محاولة منه أن يتتبع الأحداث التي مروا بها، وألفينا أن بولس استعمل تقنيات الحجاج في شعره ووظفها ليدعم خطابه ويدفع المتلقي إلى الإقتناع، ومن هذه الآليات توظيفه للروابط الحجاجية، والتي لها دورٌ مُهم في تعزيز خطابية النَّص الشعري، فأكثر الروابط وروداً هي (الواو) وتتجلى وظيفتها في الجمع بين الحُجَّة والنتيجة، و(ثم)، والتي تدلُّ على تراتيبية الحجج وتناسقها و(بل)، و(لكن) الذي يدلُّ على التعارض الحجاجي ويستعمل على نطاق ضيق في المدونة قياساً بالروابط الحجاجية الاخرى، و(حتَّى) التي تربط الحُجَّة بالنتيجة والحُجَّة التي بعدها أقوى، والرابط المدرج للنتيجة(إذن) حيث ورد في الديوان مرتين ...الخ .

٤. ومن التقنيات التي استعملها الشاعر، العوامل الحجاجية مُتَمثلة بـ (إنَّما، والنفي والاستثناء، وعامل النفي)، والتي عملت على تحقيق القيمة الإقناعية لدى المتلقي، ويحصل هذا الأمر بتوفر الحُجَّة والنتيجة.

٥. إنَّ السلَّم الحجاجي يشكل الباعث الأساس للتأثير والإقناع، فمن ينعم النظر في النصوص الشعرية يجد السلَّميَّة الحجاجية في النصوص الشعرية ظاهرة ، فنرى من خلال هذه النصوص تدرج الحُجَّة ابتداءا من الحُجَّة الضعيفة وصولاً إلى الحُجَّة الأقوى لصالح نتيجة مُعينة، أي التدرج في بناء الأفكار لصالح نتيجة معينة.

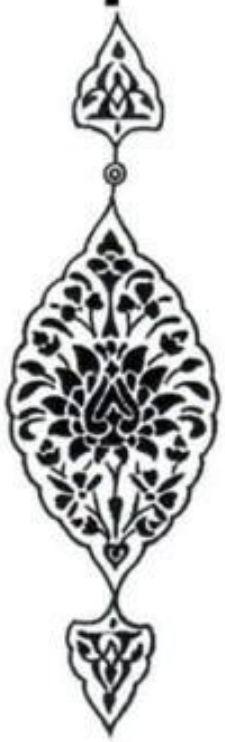

المصادر والمراجـــــــع

المصـــــادر والمراجـــــــع

- القرآن الكريم
- المصادر والمراجع :

١. الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللُّغوي، نادية رمضان النجار، ط١، ٢٠١٣م – ١٤٣٤هـ.

٢. الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب والخطاب، علي عزت، دار نوبار للطباعة – القاهرة، ط١، ١٩٦٩م .

٣. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٨م.

٤. الإحكام في أصول الاحكام، علي بن محمد الامدي، تحقيق :عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣م.

٥. الارشاد : محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي الملقب (تـ ٤١٣هـ)، منشورات الحيدرية ومكتباتها في النجف الاشرف،١٩٦٢م،١٣١٨هـ .

٦. الأساليب الإنشائية في النحو العربي، محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط٥، ٢٠٠١م.

٧. الأساليب الإنشائية وأسرار البلاغة في القرآن الكريم، صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة – مصر، ط١، ١٩٨٦م.

٨. أساليب الطّلب عند النحويين والبلاغيين : قيس اسماعيل الأوسي، رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٥٤لسنة ١٩٨٨.

٩. استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت – لبنان ، ط١، ٢٠٠٤م.

١٠. استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي: باسم خيري خضير، العتبة الحسينية المقدسة ـــ مؤسسة علوم نهج البلاغة، ط١، ٢٠١٧م.

١١. الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي، دار الامان – الرباط، ٢٠١١م.

١٢. اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي (تنظير وتطبيق على السور المكية)، مثنى كاظم صادق، لبنان، ط١، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥م.

١٣. الاعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيروت ـ لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م.

١٤. الأعمال اللُّغوية (بحث في فلسفة اللغة) جون ر. سورل، ترجمة : أميرة غنيم، المركز الوطني للترجمة دار بناش – تونس، ط١، ٢٠١٥م.

١٥. أعيان الشيعة، محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات – بيروت.

١٦. آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجديدة – مصر، ٢٠٠٢ م.

١٧. الاقتضاء العرفي والتخاطبي (دراسة مقارنة بين جرايس والمدرسة الشافعية): عبده سيد حمادي، جامعة الكويت، د.ط، ١٩٩٧م.

١٨. الامامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري، تحقيق، طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاؤه، ١٣٨٧ ـ ١٩٦٧م.

١٩. الإمبراطورية الخطابية والحجاج، شاييم بيرلمان، ترجمة :الحسين بن هاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٢٢م.

٢٠. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (ت٧٦١هـ)، القاهرة، دار الطلائع، ٢٠٠٩م.

٢١. الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، الخطيب القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر أحمد بن محمد (ت ٧٣٩هـ)، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ.

١. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ لبنان،ط٢، ١٩٨٣.

٢٢. بلاغة الإقناع في المناظرة (دراسة نظرية وتطبيقية)، عبد العالي، دار كنوز المعرفة والنشر، ط١، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م.

٢٣. البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان م.

٢٤. البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع)، على الجارم، ومصطفى أمين، دار المعارف، د. ط، د. ت.

٢. بولس سلامة شاع الغدير وكربلاء في الزمن ، كمال السيد، الغدير بيروت – لبنان، د. ط،، (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م)

٢٥. تاريخ التمدن الاسلامي، جرجي زيدان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م.

٣. تبسط التداولية من أفعال اللُّغة إلى بلاغة الخطاب السياسي ، بهاء الدين محمد مزيد، شمس للنشر والتوزيع – القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

٤. تحليل الخطاب المسرحي (في ضوء النظرية التداولية)،عمر بالخير، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة تيزي وزو، ط٢.

٥. تحليل الخطاب، براون، و. ج. يول، ترجمة: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، النشر العلمي والمطابع – جامعة الملك سعود، د. ط، ١٤١٢م.

٦. التحليل اللُّغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، دار التنوير – بيروت – لبنان، ط١،١٩٩٣م.

٧. التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة – عمان، ط١، ٢٠١٦م – ١٤٣٧.

٨. التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، آن روبول، جاك موشلار، ترجمة : سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة : لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٣.

٩. التداولية عند العلماء العرب (دراسة لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، مسعود صحراوي، دار الطليعة – بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

١٠. التداولية في الدراسات النحوية، عبد الله جاد الكريم، مكتبة الآداب – القاهرة، ط١، ٢٠١٤.

١١. التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيلب بلانشيه، تعريب : صابر الحباشة، عبد الرزاق الجمايعي، عالم الكتب الحديث، اربد – الاردن، ٢٠١٢م

١٢. التداولية والحجاج (مداخل ونصوص)، صابر الحباشة، دمشق، ٢٠٠٨ م.

١٣. التداولية، جورج يول، ترجمة : قصي العتابي، دار العربية للعلوم ناشرون بيروت – لبنان دار الامان، ط١، ٢٠١٠ م، ١٤١٣هـ.

١٤. التعريفات: السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن الحسين الجرجاني ،تحقيق :محمد باسل عيون السود(تـ ٨١٦)، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، ط٢، ٢٠٠٣م.

١٥. تكملة معجم المؤلفين (وفيات ١٣٩٧– ١٤١٥هـ)،(١٩٧٧– ١٩٩٥م)، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط١، (١٤١٨هـ)،(١٩٧٧– ١٩٩٥ م).

١٦. الجنى الداني في حروف المعاني، الحسين بن قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١٧. الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، عدنان محمد زرزور، مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

١٨. الحجاج الجدلي (خصائصه الفنية وتشكيلاته الاجناسية) في نماذج من التراث اليوناني والعربي، عبد الله البهلول، مطبعة دار نهى للطباعة صفاقس – تونس، ط١، ٢٠١٣م.

١٩. الحجاج في الحديث النبوي (دراسة تداولية)، امال يوسف المغامسي، الدار المتوسطية للنشر، ط١، ٢٠١٦م.

٢٠. الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث أربد – الاردن، ط٢، ٢٠١١م.

٢١. الحجاج في كلام الحسين، عابد جدوع حنّون، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، ط١، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م.

٢٢. الحجاج مفهومه، مجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة)، حافظ اسماعيلي علوي عالم الكتب الحديثة أربد – الأردن، ط١، ١٤٣٤هـ ٢٠١٠م.

٢٣. الحوار في شعر محمد فقي (دراسة تداولية)، محمد بن عبد الله المشهوري، جامعة الملك سعود – الرياض، ٢٠١٣م.

٢٤. الحوار وخصائص التفاعل (دراسة تطبيقيّة في اللسانيات التداولية)، محمد نظيف، أفريقيا الشرق – المغرب، د. ط، ٢٠١٠ م .

٢٥. الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مؤيد آل صوينت، مكتبة الحضارات، بيروت – لبنان.

٢٦. رسائل الإمام علي في نهج البلاغة (دراسة حجاجية)، رائد مجيد جبار، كربلاء ـ العتبة الحسينية المقدسة ـ مؤسسة علوم نهج البلاغة ،ط١، ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م.

٢٧. رصف المباني في شرح حروف المعاني، للإمام أحمد بن عبد النور المالقي (ت٧٠٢هـ)، تحقيق :أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٢٨. السلميات الحجاجية، ازفالد ديكرو، ترجمة وتقديم :ابو بكر العزاوي، ط١، ٢٠٢٠م.

٢٩. السيميائية وفلسفة اللغة :أمبرتو أيكو، ترجمة أحمد الصمعي، المنظمة العربية للنشر ــ بيروت،ط١، ٢٠٠٥م.

٣٠. شرح إحقاق الحق: السيد المرعشي تحقيق محمود المرعشي، ط ١، ١٤١٥.

٣١. شرح المفصل، لابن يعيش موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي للزمخشري (ت٦٤٣هـ)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١ ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٣٢. الصحاح، أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق :محمد محمد تامر، دار الحديث القاهرة.

٣٣. طرق حديث الغدير برواية بن عساكر (ت٥٧١)، الحافظ القاسم بن علي بن الحسن الدمشقي الشافعي، تحقيق : أمير التقدمي المعصومي، منشورات الدليل، ط١ ٢٠٠٠م.

٣٤. العامل الحجاجي والموضع، عز الدين الناجح ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي دراسات في البلاغة الجديدة بإشراف حافظ اسماعيلي علوي، دار ورد الاردنية للتوزيع والنشر، ط١، ٢٠١١م.

٣٥. عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق – المغرب، د. ط، ٢٠٠٦م..

٣٦. العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين صفاقس – تونس، ط١، ٢٠١١م.

٣٧. عيد الغدير (أول ملحمة)، بولس سلامة، مكتبة الروضة الحيدرية، بيروت، د. ط، د. ت.

٣٨. عيد الغدير، بولس سلامة ، الشركة العالمية للكتاب ـ بيروت، ط٢، ١٩٩٩.

٣٩. الغدير رحلة التاريخ والمستقبل، احمد مصري، دار الغدير – لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٤٠. الغدير والمعارضون، جعفر مرتضى العاملي، دار السيرة – بيروت – لبنان، ط،١٩٩٦.

٤١. الفلسفة التحليلية (ماهيتها، مصادرها ومفكروها)، أحمد عبد الحليم عطية، لبنان – بيروت، ط١، ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م.

٤٢. الفلسفة واللغة نقد (المنعطف اللغوي) في الفلسفة المعاصرة، الزواوي بغروه، دار الطليعة – بيروت، ط١، ٢٠٠٥ م.

٤٣. فنون الأدب العربية، نبيل راغب، الشركة العالمية للنشر – لونجمان، ط١، ١٩٩٦م.

٤٤. في البراجماتية (الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي)، علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب – القاهرة، ط١، ٢٠١٠ م.

٤٥. في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، جامعة صطيف – الجزائر، ط١، ٢٠٠٩.

٤٦. في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٨٦م.

٤٧. في ظلال الغدير، جمال محمد صالح، مركز الأبحاث العقائدية ،ط١، ٢٠٠٠م.

٤٨. في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع – تونس، ط١، ٢٠١١م.

٤٩. قاموس التداولية، جوليان لونجي، جورج إيليا سرفاتي، ترجمة :لطفي السيد منصور، لبنان – بيروت، ط١، ٢٠٢٠م.

٥٠. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز بادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق : انس محمد الشامي، وزكريا جابر احمد، دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٥١. القاموس الموسوعي في التداولية، جاك موشلر، آن ريبول، ترجمة، مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة خالد ميلاد، منشورات دار سينا ترا – تونس، د. ط، ٢٠١٠ م.

٥٢. الكافي في البلاغة (البيان البديع والمعاني)، أيمن أمين عبد الغني، دار التوفيقية ــ القاهرة، دـ ط ،٢٠١١م.

٢٦. الكتاب (كتاب سيبويه): أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٥٣. كتاب معاني الحروف، أبي الحسن بن عيسى الرماني النحوي (ت٢٩٦ – ٣٨٤هـ) :حققه وخرج شواهده وعلق عليه وقدم له وترجم له : عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق – جدة للنشر والتوزيع والطباعة، ط٢، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

٥٤. لسان العرب، ابن منظور، تحقيق : أمين محمد عبد الوهاب، محمد صادق العبيدي، دار احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩.

٥٥. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨م.

٥٦. لسانيات التلفظ تداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، الأمل ـ المدينة الجديدة– تيزي وز، ط٢، ٢٠١٢م.

٥٧. اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١ ،٢٠١٠ م.

٥٨. لغة الحكم القضائي (دراسة تركيبة دلالية)، سعيد أحمد بيومي، مكتبة الآداب – القاهرة، ٢٠٠٧ م.

٥٩. محاضرات في فلسفة اللغة، عادل فاخوري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٣م

٦٠. مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ترجمة: محمد يحياتن، جامعة تيزي وزون الساحة المركزية بن عنكون – الجزائر.

٦١. مدخل إلى دراسة التداولية (مبدأ التعاون نظرية الملاءمة والتأويل)، فرانتيسكو يوس راموس، ترجمة :يحيى حمداي، دار نيبور للطباعة العراق، ط١، ٢٠١٤ م.

٦٢. مدخل للتحليل اللساني للخطاب الشعري، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨ م.

٦٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر، الإمام أبو الحسن المسعودي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٥ م.

٦٤. مسرد التداولية، مجيد الماشطة، أمجد الركابي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٨

٦٥. معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – عمان، ط١، ٢٠٠٠م.

٦٦. معجم أعلام المورد (موسوعة تراجم لأشهر أعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقلة من موسوعة المورد)، منير البعلبكي، دار العلم الملايين – بيروت، ط١، ١٩٩٢.

٦٧. معجم أكسفورد للتداولية، يانغ هوانغ، ترجمة : هشام إبراهيم عبدالله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٢٠م.

٦٨. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين – لبنان، ط١، ١٩٧٩

٦٩. معجم البلدان، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرّومي البغدادي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان، (د ـ ط)، (دـ ت).

٧٠. المعجم المفصل في الإعراب، طاهر يوسف الخطيب، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م.

٧١. معجم مقاييس اللغة: ابي الحسين بن زكريا (ت٣٩٥ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٢. المعنى في لغة الحوار (مدخل إلى البرجماتية التداولية)، جيني توماس، ترجمة : نازك إبراهيم عبد الفتاح، دار الزهراء – الرياض ط١، ٢٠١٠ م.

٧٣. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق وشرح :عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٧٤. مقاتل الطالبين، ابي فرج (٣٦٥هـ)، تحقيق : احمد صقر، طبع بدار أحياء الكتب العربية – القاهرة، د ط هـ١٣٦٨– ١٩٤٩م.

٧٥. المقاربة التداولية للأدب، الفى بولان، ترجمة :محمد تنفو، ليلى احمياني، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة –، ط١، ٢٠١٨.

٧٦. المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة :سعيد علوش، مركز الأنماء القومي (د.ط)، (د. ت).

٧٧. موسوعة معاني الحروف العربية، علي جاسم سلمان للنشر والتوزيع الأردن – عمان، ٢٠٠٣م.

٧٨. النص والاجراء والخطاب: روبرت بوجراند: ترجمة تمام حسان، القاهرة، ط١٩٩٨،١٤١٨،١م.

٧٩. نظرة إلى الغدير، علي أصغر المروجي الخرساني، مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرقة، ط١، ١٤١٦.

٨٠. نظرية افعال الكلام (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، أوستين، ترجمة :عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، ١٩٩٠ م.

٨١. النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم و النشأة والمبادئ، محمود عكاشة، مكتبة الآداب – القاهرة، ط١، ٢٠١٣.

٨٢. نظرية التلويح الحواري، هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، ط١ ٢٠١٣م.

٨٣. نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، بإشراف حمادي صمود، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، د. ط، د. ت.

٨٤. النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الثقافة، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٨٥. نظرية الفعل الكلامي (بين علم اللّغة الحديث والمباحث اللّغوية في التراث العربي والاسلامي)، هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠٠٧م.

٨٦. وقعة الطف، لابي مخنف (لوط بن يحيى الأزدي الغامدي الكوفي (ت ١٥٨هـ. ق)، تحقيق : الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة الدارسين بقم المشرفة.

الرسائل والأطاريح

١. التحليل التداولي للخطاب الشعري (روميات أبي فراس الحمداني أنموذجاً) أطروحة ، عمار العويجي، جامعة محمد بوضياف ، ٢٠١٥ .. ٢٠١٦.

٢. تداولية الخطاب الشعري (ديوان الإمام الشافعي نموذجا)، ريم لعبادلية، رسالة ماجستير، الجزائر، ٢٠١٦.

٣. تداولية النص الشعري (جمهرة أشعار العرب نموذجا)، أطروحة، شيتر رحيمة، ٢٠٠٨- ٢٠٠٩م، ١٤٢٩ - ١٤٣٠هـ.

٤. تقنيات الحجاج في قصيدة القدس، صفاء منيب، وخديجة هزرش، رسالة ماجستير، جامعة محمد خضير بسكرة / كلية الآداب واللغات، ٢٠١٩م.

٥. السلالم الحجاجية في خطب الإمام علي، الساكر وداد، وقصة فطوم، رسالة ماجستير.

٦. المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية (ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجاً)، ليلى كادة، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر ـ باتنة.

٧. ملحمة (عيد الغدير) لبولس سلامة دراسة نحوية، عقيل عباس، رسالة ماجستير، ٢٠٢١م.

٨. ملحمة الغدير لبولس سلامة (دراسة بلاغيّة)، دعاء عدنان توفيق، رسالة ماجستير، ٢٠١٢م.

المجلات والدوريات :

١. الابعاد التداولية في خطبة زيد بن علي (عليه السلام) الافعال الكلامية اختيارا، عماد فاضل عبد، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية الإنسانية، العدد ٤٥، ٢٠١٩م.

٢. آليات التحليل التداولي للخطاب (قضايا نظرية ونماذج تطبيقية، راضية خفيف بوبكري، مجلة التواصل والآداب، المجلد ٤٢ /٤، ٢٠١٨م.

٣. تداولية مبدأ التأدب في إنجازية الفعل الكلامي، عبد الحليم بن عيسى، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية جوان ، العدد ١٠، ٢٠١٩م.

٤. تقنيات الحجاج في الدرس اللغوي العربي والغربي ودورهما في توجيه الخطاب، سهيلة سلطاني، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعة، المجلد الأول / العدد ٣، ٢٠٢٠م.

٥. الحجاج اللُّغوي عند ديكرو وأنسكومبر، يعمرانن نعيمة، مجلة الممارسات اللغوية – مخبر الممارسات اللغوية – جامعة مولود يعمري تيزي وزو – الجزائر، العدد ١٤، ٢٠١٢م.

٦. الروابط الحجاجية في توقيع أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) إلى اسحق بن اسماعيل النيسابوري، عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداوي، مجلة دواة

٧. الروابط الحجاجية في شعر أبن القيروان (قصيدة رثاء القيروان أنموذجاً) أحمد حمامة، وبوزيزة علي، مجلة القارئ للدراسات الأدبية النقدية واللغوية، المجلد ٤٠،العدد ٣، ٢٠٢١م.

٨. القيمة الحجاجية لأسلوب القصر في اللغة العربية، محمود طلحة، جامعة الأغواط.

٩. مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، محمد الولي ضمن مجلة عالم الفكر العدد ٢٠١،٢م.
١٠. المقاربة التداولية في الشعر المعاصر قصيدة (لا تصالح للشاعر أمل دنقل نموذجا)، حمدة خلف مقبل العنزي، جامعة الازهر حولية كلية اللغة العربية، العدد ٢٤/ ١٤، ١٤٤٢ هـ- ٢٠٢٠ م.
١١. نظريات الحجاج ، جميل حمداوي، www.alukh.net
١٢. وسائل الحجاج في خطب الإمام علي بن الحسين، هادي سعدون هنون العارضي، مجلة مركز دراسات الكوفة.

Abstract

This study seeks to approach the text (The Epic of Eid al-Ghadeer) by Poles Salameh in a pragmatic approach. Because of its linguistic, religious, historical, and political value, through the application of some deliberative concepts represented by (speech verbs, dialogue imperative, pilgrims) on selected models from (The Epic of Eid al-Ghadir) and came under the title (The Epic of Ghadir by Poles Salameh, a Deliberative Study), and the nature of the subject was imposed Relying on the Deliberative approach, as it analyzed some poetic verses deliberatively; For the purpose of highlighting some of the deliberative aspects of the blog. Contemporary poetry is a fertile field for studying and searching for the Deliberative features, i.e. the hidden potentials or implicit ones in the poetic discourse. That is, this study took a course in which it expressed the intentions of the speaker in the poetic discourse. In addition, this study focus on the persuasive aspect, and this is represented by the argumentative aspect, as the poetic discourse is based on a set of foundations and criteria that govern both sides of the communicative process (speaker / listener); Language carries with it persuasion and influence on the recipient / listener. This study include three chapters preceded by a preface. The preamble dealt with the concept of the epic and the concept of deliberativeness in language and terminology, tracing its roots in the West, the relationship of poetry with deliberativeness, talking about the Day of Ghadir, defining the life of the poet, his upbringing and the traces he left behind, as well as the concept of the epic.

As for the first chapter, it includes defining the concept of the verbal act of Austin and Searle, and studying the verbs of speech in the epic (Eid al-Ghadeer) according to Searle's classification of it into (illustrative, directive, promising, expressive, and declarative). By the principle of cooperation, and the violation of the four instinctive principles, which are: (quantity, quality, appropriateness or appropriateness, and the destination), and applying them to selected models of the blog, and the recipient can understand that only by referring to the context of the poetic text, where he can know what the speaker says, as it includes Below it is the meaning intended by the

University of Misan
Translation Unit
College of Education

speaker, and the fact that the poetic text is an interactive, communicative, argumentative text that affects the recipient and tries to change his point of view on a particular issue. And the definition of the mechanisms of linguistic arguments represented by (argumentative links, argumentative factors, and argumentative ladder) that the interlocutor uses in order to persuade the other party to take a specific position, and a conclusion that summarizes the most important findings of the study.

University of Misan
Translation Unit
College of Education

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Misan
College of Education
Department of Arabic

Al-Ghadir Epic by Poles Salameh

APragmatic Study

University of Misan
Translation Unit
College of Education

A Thesis Submitted by
Marwa Reshak Jasim

To the Council of the College of Education –University of Misan as a Fulfillment of Requirements for Master's Degree in Arabic Language and its Arts

Under the Supervision of
Asst. Prof. Dr. Muwafaq Majid Lilo

2023 A D

1444 A. H